

مَسَاهِدَاتُ سَائِحِ فِي الْمَمَالِكِ الْأَوْرَبِيَّةِ

بقلم

عبد الوهاب أبو الصبورة

المدرس بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بالقاهرة

يطلب هذا الكتاب من

المكتبة الحديثة

بشارع خيرت بالإسكندرية

« ملزمة طبعه ونشره »

مَنَاهِجُ سَائِحِ

فِي الْمَمَالِكِ الْأَوْرُبِيَّةِ

بقلم

عبد الوهاب أبو العيون

المدرس بمدرسة فؤاد الأول الثانوية بالقاهرة

يطلب هذا الكتاب من

المكتبة المحمدية

بشارع خيرت بالقاهرة

« ملتزمة طبعه ونشره »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد، فقد دعاني حب الاستطلاع إلى زيارة أهم ممالك أوربا لمشاهدة ما فيها من المحاسن ، وبعد عودتي إلى الوطن العزيز، وصفت كل مشاهدت من آداب وأخلاق وعادات ومتاحف وآثار ومعارض ، وكل ما ينبغي اسأخ أن يطلع عليه ، ونشرت تلك المشاهدات في صحيفة الأهرام الغراء تباعا فحازت لدى الجمهور رضاء وإقبالا ، وألح عليّ كثير من القراء راجين جمعها في كتاب ليعم نفعها وتكثر فائدها ، فلم يسعني إلا إجابة ملتمسهم وتحقيق رجاؤهم . وقد بدأتها بإرشادات هامة رأيت الحاجة إليها داعية لكل من يريد الرحيل إلى تلك الديار حتى تخف عنه مصاعب السفر هذا ولا يفوتني أن أذكر بالثناء الجم والشكر العاطر ما لقيته من حضرة صديقي وزميلتي الأستاذ علي أفندي فهمي الرشيدى من جميل المرافقة وعظيم المساعدة أثناء هذه الرحلة

والله أسأل أن يعم النفع بهذه المشاهدات ، ويفيض عليها من القبول ما يحقق غرضي منها ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

عبد الوهاب أبو العيون

اهداء الكتاب

مولاي حضرة صاحب الجلالة مليك مصر المعظم فؤاد الأول زاده
الله جلالاته واقبالا ١

في زمنك الزاهر الذي أينعت فيه ثمار العلم وامتد ظله وتدانت
قطوفه، فأنجباب ضلام الجهل وانباج ضياء المعرفة ونهل من مورده كل صا،
وتطلعت أنظار المجدين إلى الوقوف على أحوال الأم المتمدينة الراقية حتى
تتشبع النفوس بما عندهم من محاسن وأخلاق وعادات، كنت من بين
الذين تطلعت أنظارهم إلى ورود ذلك المنهل العذب فأخذت عن القوم،
معارفته عنهم حسا ومعنى، وثقلت الى أبناء وطني الأعزاء ما يحملهم إلى بذل
الغاية القصوى في التجميل بتلك الأخلاق والعادات

هذا، يا مولاي، ما أردت أن أقدمه بين يدي جلالتك، وأرفعه إلى
سدتكم العلية، في وقت شيدت فيه صرح العلم، وأعليت مناره، وعقدت
ألويته فوق رءوس ابنائك، وذالت لهم ما وقف أمامهم حجر عثرة منا طويلا
فإليك، يا صاحب الجلالة، ويادوحة الاسرة المحمدية العلوية، استشرف
بذلك الكتاب الذي اتوجه باسمك الكريم، واحلى طروسه برسمك
الشريف، وأشرفه بالنسبة إليك

ولى الفخر الدائم والشرف الاثيل أن ينال من لدن جلالتك رعاية
ويحوز لديكم قبولا. أطال الله مدتك، وأنتم عليكم نعمتكم، واقر عينك بولى
عهدك الفاروق، واطلعه غرة في جبين الدهر، وجعله لسان صدق في
الآخرين م

عبدكم الخاضع

عبد الوهاب ابو العيون



م. حضرة مناديب الجمهورية مور لانا ملك رتبه المعظم : أنوار الدول



عبد الوهاب ابو المبروك

ارشادات هامة

الامور الهامة التي يعدها المسافر قبل سفره هي :

(١) الحصول على جواز السفر من قلم الاجوزة بمدينة القاهرة أو الاسكندرية أو بورسعيد أو السويس. وفي هذه المحال استثمارات خاصة لذلك، يملأ المسافر خاناتها باسمه واسم والده وعمره ومحل سكنه وغرضه من السفر، ثم يمهرها من الأمور ان كان من الاهالى أو يحضر شهادة من المصلحة التابع لها ان كان موظفا. وتقدم هذه الاستثمار بعد تمام الاجراءات المتقدم ذكرها

(٢) يرسم صورته الشمسية صغيرة ويرفقها بالطلب وبعد اجراءات التحريات اللازمة للتثبت من صحة ما جاء بالاستثمار المتقدم ذكرها يؤمر بترك طلبه مدة معينة ثم يرجع لاستلامه بعد مصيها فيسلم له الجواز بعد ان يدفع الرسم المعين (٣) اذا اردت أن تزور ممالك عديدة يلزم أن يكون على جوازك توقيع من ممثلى (قناصل) الدول التي تريد زيارتها، وتدفع لذلك رسما يختلف باختلاف الممالك. واذا لم تفعل ذلك فلا يسمح لك بزيارة المملكة الا اذا استعنت بممثل (قنصل) مصرى، كما حصل لى ذلك عندما أردت زيارة مملكة انكلترا: فانه لم يكن قد توقع على جوازي من ممثل انكلترا فى مصر ولذا امتنع ممثل انكلترا فى باريس عن السماح لى بزيارتها فالتجأت الى ممثل مصر فيها فوقع عليه بما يفيد السماح لى، فلما قدمته الى ممثل انكلترا لم يتردد فى قبوله. وكلا مررت بمملكة من الممالك طلبوا منك جوازك ليقتفوا على صحة ما فيه حتى يسمحوا لك بدخول مملكتهم

(٤) عند تمام جميع الاجراءات اقصد شركات طرق الملاحة بالقاهرة أو الاسكندرية أو بورسعيد أو السويس لتعلم منها مواعيد قيام البواخر فتختار

اليوم المناسب لسفرك وتجهز حجرة في المكان الذي تختاره من الباخرة بعد عرض امكنتها عليك في خارطة ، ويستحسن أن يكون ذلك قبل سفرك بخمسة عشر يوما

(٥) وإذا أردت أن تقف على معلومات تهيك فعليك بمحل شركة كوك فهو الكفيل بأرشادك

(٦) لا يحسن بك أن تحمل معك نفودا لأنها تعرض للخطر والحوادث ولذا يلزمك أن تأخذ تحويلا معك بالجنيهات الانكليزية على المصارف في كل مدينة حلت بها حتى تصرف ما تريده بالقطع الخاضر مثنيا بالجنيه الانكليزي فهو عملة ثابتة القيمة متداولة في كل مملكة

(٧) قبل اليوم الذي تقصد السفر فيه اذهب الى محل الشركة التي تريد السفر في سفنها فيسألك أوراقا مكتوبا عليها اسم أول مدينة تريد النزول بها من أي مملكة فتلصقها بكل حقائبك

(٨) اذا كنت موظفا في مصلحة من مصالح الحكومة يلزمك أن تستخرج منها شهادتين بأنك من مستخدميها شهادة المذهب وأخرى للإياب وبذلك يمكنك أن تنتفع من بعض شركات الملاحة بتزويل ٢٠ ٪ أو أكثر من اجرة السفر ذهابا وإيابا فتخف عنك اجرة السفر الباهظة

(٩) اذا ركبت القطار من محطة مصر الى الاسكندرية يمر بك شخص من مستخدمي كوك ويعرض عليك أن يستلم أمتعتك عند نزولك من القطار الى الباخرة فاذا ما قبلت ذلك - ويستحسن منك أن تقبل - تدفع له عن كل حقيبة مبلغا يقدره لك ويعطيك ورقة به تبرزها عند وصولك المكس وهناك تجد حمالين قد كتب على صدورهم اسم كوك فتنادي أي واحد

منهم فيقبل عليك فاذا أظهرت له تلك الورقة أخذ جميع أمتعتك وعمل كل مايلزم في المكس وحمل الامتعة الى سلم الباخرة، فتعطى له رضيخة (بقشيش) ثم يتسلم منه خادم الباخرة ويعرف منك رقم حجرتك فيحمل أمتعتك اليها وبعد أن تدخل الباخرة تذهب الى رجل فيها قد اجتمع عليه الناس لتقديم اجوزتهم اليه فتقدم اليه الجواز وبعد يوم أو أقل يردك اليك موقعا عليه منه

(١٠) تجد عند دخولك الى الباخرة قوما يبيعون نقودا أجنبية فتشترى بالعملة المصرية نقود المملكة التي ستذهب اليها، كما اشترينا نقودا ايطالية لان الماملة بالباخرة والمدن التي تمر بها لا تكون إلا بها حيث الذهاب إلى ايطاليا (١١) عليك تأجير كرسي طويل بمجرد نزولك الى الباخرة يكتب عليه اسمك فيكون الموثل لك طول اليوم وجل الليل، تجلس عليه عند قراءتك وراحتك وهذا هو أهم ما يعمل به المسافر قبل مبارحة الميناء حتى تكون قد هيات ما ينبغي لراحتك

(١٢) اياك ان كنت تريد زيارة عدة ممالك أن تبقى معك شيئا من نقود المملكة التي تريد الخروج منها الى غيرها فانها لا تقبل في المملكة الاخرى الا اذا بعثها بشمن بخس لاسيما ان كانت من الممدن

(١٣) يلزم المسافر أن يصحب معه ملابس سميكة ومعطف (بالطو) لأن الجو في بعض الممالك بارد كأيام الشتاء عندنا خصوصا في مملكة انجلترا واذا لا تجد شخصا فيها يلبس ملابس بيضاء صيفا كما أنه يأخذ معه معطفا يقيه شر المطر (١٤) اذا نزلت من القطار وسلمت للحمال أمتعتك فاتبعه لان رقمه

لا يكفي دليلا عليه اذا فر منك لان الرقم ربما كان مزيفا فتضيع حقائبك وما فيها وترضى من الغنيمة بالاياب إن كنت سعيدا والا فالشقاء

في الباخرة

قصدت قضاء العطلة الصيفية في مرابع أوروبا لمشاهدة متاحفها وآثارها
وزيارة معاهدها العلمية بقدر ما تسمح الظروف والاحوال

وقد اعتزمت أن أدون مذكرات مختصرة عن أهم ما أراه في تلك
الممالك أثناء سياحتي حتى لا أحرم أبناء وطني من الاطلاع على ما يهمهم
الاطلاع عليه ، مقتصر على مشاهداتي غير متعرض لذكر تاريخها

أقلت بنا الباخرة من الاسكندرية الساعة الثالثة مساء فوصلنا الى
«سرقسطة» بجزيرة صقلية في اليوم الثالث لاقلاعها. فألفت مراسيها على بعد مائة
متر تقريبا من الشاطئ لضخامتها ، ثم جعلت الزوارق تحف بنا لنقل من يرغب
في النزول الى المدينة ، وكنت ممن يرغب في زيارة آثارها فدفعت أربعين «ليرة»
إيطالية أجرة الركوب والمترجم ذهابا ورجعة . فعبرنا بقية الميناء الى الشاطئ
في أحد الزوارق . وحين نزولنا تسلم منا رجل ابصلا بما دفعنا من الاجرة
وركبنا عجلة أقلتنا الى أهم أنرف في المدينة ، وهو جبل ضخيم صخري حفر
داخله الى مسافة بعيدة تربو على مائة متر بعساو يختلف ما بين عشرين الى
ثلاثين مترا تقريبا وهو أملس من الداخل ، وكلما أوغلت فيه أظلم حتى
لا تسكاد تبصر شيئا . وقد حفره الرومان القدماء قبل المسيح ليكون سجننا
لأشد الناس إجراما . وقد سألت عن كوة في أعلاه ينفذه منها خيط ضئيل من النور
الى داخله ، فقيل لي إن الحارس كان يتسمع منها حديث المسجونين فيعرف
نوع الحديث والمتحدثين ، فيوقع الجزاء الصارم على كل من يتحدث حديثا

مُحْظُورًا لَا يَتَّفَقُ مَعَ رَغْبَةِ الْحَاكِمِ ، وَلِذَا كَانَ يَخْشَى الْمَسْجُونُونَ أَنْ يَتَحَدَّثَ إِلَى صَاحِبِهِ أَى حَدِيثٍ

وَمِنْ مَدَهْشَاتِ هَذَا الْأَثَرِ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَهُ وَمَزَقْتَ أَى وَرَقَةً تَرُدُّ صَوْتَهَا بِدَوَى مَزَعِيجٍ . وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ الْمُتَحَدِّثِينَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وَاجَهَ الْحَائِطَ وَتَكَلَّمَ هَمْسًا يَسْمَعُ صَوْتَهُ عَالِيًا عَلَى بَعْدِ مِائَةِ مِترٍ . وَحَدَّثَ أَنَّهُ حِينَ خَرَجْنَا سَمِعْنَا دَوَى هَائِلًا وَفِرْقَةً مَزَعِيجَةً ، اضْطَرَبَ لَهَا كُلُّ السَّائِحِينَ ، فَنَظَرْنَا فَإِذَا الْحَارِسُ يَغْلِقُ الْبَابَ لِيَعْرِفَ السَّائِحِينَ أَعْجُوبَةً مِنْ أَعْجَابِ هَذَا الْأَثَرِ . وَهَذَا الْحَفَرُ غَايَةٌ فِي الْفَخَامَةِ وَالْعِظَمَةِ يَهُولُكَ مَنْظَرُهُ مِنَ الدَّخْلِ وَالخَارِجِ ، وَتَرَادُ مَكْسُورًا بِالْحَشَائِشِ الْخَضِرَاءِ الَّتِي أَكْسَبَتْهُ رَوْنَقًا وَجَمَالًا . وَتَعَاوَدَ دَارٌ قَدِيمَةٌ جَدًّا لِلتَّمْثِيلِ الْقَدِيمِ مَقَاعِدُهَا الْمُدْرَجَةُ مَنْحُوتَةٌ فِي الْجَبَلِ صِفُوفًا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ عَلَى شَكْلِ دَائِرَةٍ يَنْتَهَى مِنْ أَسْفَلِهِ بِمَقَاعِدِ وَحِجَرِ صَغِيرَةٍ أَعْدَتْ لِلْقَائِمِينَ بِالتَّمْثِيلِ . وَهُوَ غَايَةٌ فِي الْإِبْدَاعِ وَالْإِتْقَانِ ، يَدْخُلُ فِي قَلْبِ النَّازِلِ رُوعَةٌ وَجَلَالًا ، ثُمَّ سَرْنَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَشَاهِدَةِ الْإِنْقِشَارِ وَ«الْمُدْرَجِ» وَهُوَ أَيْضًا مَنْحُوتٌ فِي الصَّخْرِ عَلَى هَيْئَةِ الْمُدْرَجِ الْأَوَّلِ غَيْرَ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ عَنْهُ فِي أَنَّ مَقَاعِدَهُ تَحِيطُ بِرُوحَةٍ وَاسِعَةٍ

وَقَدْ أَخَذَنِي الْعَجَبُ لِقِيَامِ الْإِنْسَانِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الْجَسِيمَةِ مَعَ عَدَمِ تَوَافُرِ الْآلَاتِ الَّتِي تَسَاعِدُهُ عَلَى الْقِيَامِ بِذَلِكَ

وَإِذَا ضَاهَيْتُ أَعْمَالَ الْمَصْرِيِّينَ الْقَدَمَاءِ وَالرُّومَانِيِّينَ الْقَدَمَاءَ أَيْضًا وَجَدْتُ مَدِينَةَ الْأَمْتِينَ عَلَى جَانِبِ عَظِيمٍ مِنَ الْعِظَمَةِ وَالْفَخَامَةِ الدَّالَّتِينَ عَلَى الْعِلْمِ الْوَاسِعِ وَالْمَقْدَرَةِ الْفَائِقَةِ . وَيُظَنُّ أَنَّهُ كَانَ لَهُمْ آلَاتٌ عَجِيبَةٌ سَهَّلَتْ لَهُمُ الْقِيَامَ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يَقِفُ الْإِنْسَانُ أَمَامَهَا حَائِرًا مَذْهُولًا . وَهَذِهِ الْآلَاتُ الَّتِي حَفَرَتْ

الجبال وجوفتها، وحددت المسلات الهائلة من الصخور وأقامتها، ونقشت على سطوحها الكتابة والرسوم وزينتها، لم تصل إلينا أخبارها، إمالان المؤرخين لم يقيدوها أو أنهم قيدوها ولكن أبادتها الحوادث وأهملتها الأيام وجر عليها الدهر ذبول النسيان وبقيت بعض أعمالهم وآلاتهم العظيمة مجهولة. وربما كشفتها الأيام القادمة كما كشفت كثيراً من أعمال المصريين القدماء وبرزها الاستكشاف شيئاً فشيئاً

رجعنا إلى الباخرة بعد زيارة مدينة « سرقسطة » فقلعت بنا قاصدة مدينة « نابلي » وسارت تشق عباب البحر، غير مكترثة بامواجه الهائلة إلى أن وافت الساعة السادسة والنصف مساءً فظهر لنا من بعد بركان « اتنة » ولكوني لم أشاهد بركاناً قبل الآن، والمصورات الجغرافية لا تبرز صورة صحيحة ذهلت لرؤية ذلك البركان، وامسيت واقفاً أمامه صامتاً كالعابد لا أحول عنه نظري لحظة، أتأمل فيه وفي قدرة الخالق القدير الذي يخرج من جوف البحار ناراً ولهباً

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

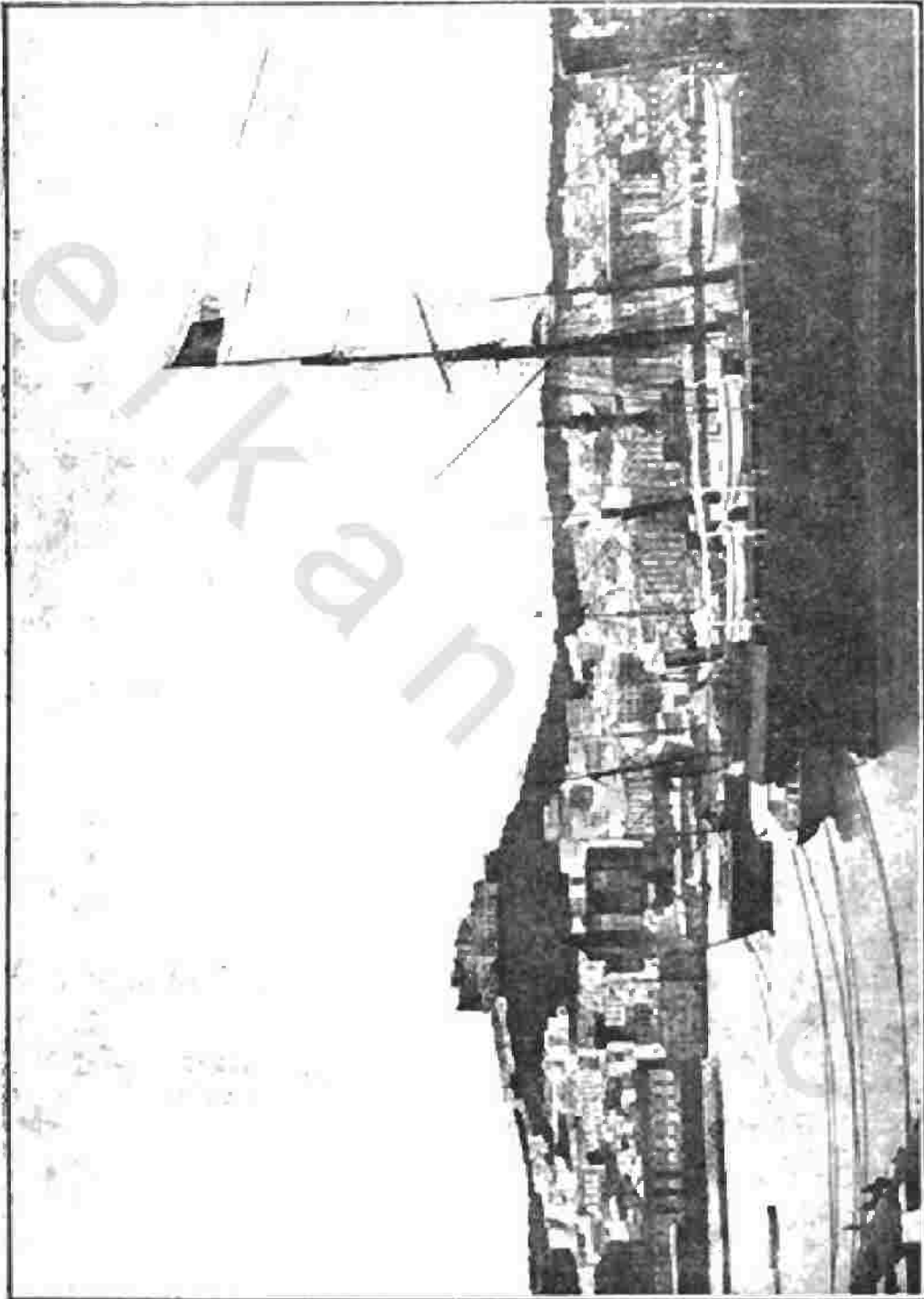
وكما قربت منه ازداد ضخامة وارتفاعاً، وتبينت دخانه المتصاعد الذي لا ينقطع أبداً وما زلت أشاهد عظمتة وضخامته حتى أسدل الظلام بيننا وبينه حجاباً كثيفاً، ومرت السفينة بسرعة الظلم حتى أشرفت على مدينتي ريجيو ومسينا إذ كانت الساعة الثامنة مساءً. ولقد بهرني منظرهما بهراً، ذلك لأنوارهما الساطعة التي تشق الظلام، إلى شوارعهما التي كانها أسلاك من نور ممتدة إلى مسافات طويلة، مرصعة بأجزاء سوداء هي المنازل مجللة بالأضواء، فكان شكلها رائعاً. والمدينتان مشيدتان على

سفحى جبلين يكتنفان المضيق — رجيو من اليمين ، ومسينى من اليسار —
تتدرج منازلها من أسفل الجبل الى أعلاه كما اكسبهما روعة وجمالا ، وزادها
بهاء نظام شوارعها المستطيلة المتوازية الصاعدة من أسفل الجبل الى أعلاه .
وعلى الجملة فان الكاتب القدير يعجز عن وصف تينك المدينتين ونظامهما
وجمال وضعهما واتساع شوارعهما . وقد تساءلت كيف أمن الناس غائلة هذا
البركان فأعادوا تشييدها تين المدينتين بنظام حديث وترتيب بديع ، وكيف
امشوا ثورانهم مرة أخرى فيكون نصيبهم منه اخيرا نصيبهم منه أولا . مرت
بنا السفينة سراعا وقد أخذ العجب مأخذه من قلوبنا ، لعظمة البركان ،
وجمال مدينتيه ، ونمنا هذه الليلة ملء الجفون وفى الساعة الخامسة صباحا
تيقظت على صياح الرفاق وضجيجهم فرحوا وسرورا ، لظهور الباخرة بين رأس
« اسبرنتو » وجزيرة « كبرى » الجميلة ، والتي يعدها السياح جنة الدنيا لما
تحويه من الفنادق البديعة التى يقصدها المصطافون والحدائق الغناء التى
تحيط بمنازلها الحسناء الشاهقة . ومع أن سكانها قليلون فقد هيئوا فيها أسباب
الراحة والهناء لكل مصطاف يقصدها . وبها مغارة تسمى المغارة الزرقاء
لزرقة مياهها ، ولأن المنعس فيها يراه الناظر أزرق كالفيروز ، ويسير الناس
فيها بالزوارق ، ويبلغ طول تلك المغارة نحو ١٧٥ قدما ، وعرضها يبلغ نحو
عشرة أقدام ، وارتفاع سقفها فوق رؤوس السائرين لا يزيد عن أربعة أقدام
وتظهر جزيرة « كبرى » من بعد كأنها قاحلة ، ولكنك اذا دخلتها
ألقيتها جنة عالية قطوفها دانية ، أهلة بالسكان ، عامرة بالمصطافين والمتفرجين
ثم ظهر لنا بركان « فيزوف » العظيم حين دخول السفينة خليج « نابلى »
وسنذكره بعد زيارتنا مدينة « بومبي » . وفى الساعة السابعة صباحا

أَلَقْتُ البَاخِرَةَ مَراسِيهَا فَاسْرَعَ مَنْدُوبُو الْفَنَادِقِ إِلَى الرِّكَابِ صَائِحِينَ كُلُّ بِاسْمِ
فَنَدَقِهِ فَاخْتَرْنَا النُّزُولَ فِي فَنَدَقِ (رِيفِيرَا) وَلِذَا سَرْنَا مَعَ مَنْدُوبِهَا إِلَى مَكْتَبِ
التَّفْتِيشِ حَيْثُ فَتَشَتْ حَقَائِبُنَا ، ثُمَّ رَكِبْنَا سِيَارَةَ إِلَى الْفَنَدَقِ الَّتِي قَصَدْنَا
إِلَيْهِ فَوَجَدْنَاهُ فَنَدَقًا جَمِيلًا يُشْرِفُ عَلَى مَنَازِلِهِ وَاسِعٍ مُسْتَطِيلٍ جَدًّا وَمُمْتَدٍّ إِلَى
شَاطِئِ الْبَحْرِ تَزِينُهُ الْأَشْجَارُ الْبَاسِقَةُ وَالْأَزْهَارُ النَّضْرَةُ ، وَقَدْ أُقِيمَتْ عَلَى
أَبْوَابِهِ الْكَثِيرَةِ عِدَّةُ تَمَاثِيلَ مُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ ، غَايَةً فِي الْأَبْدَاعِ وَالْإِتْقَانِ ،
وَبِهِ طَرِيقٌ مَعْبُودٌ وَمَلَاهُ مُتَعَدِّدَةٌ يَقْصِدُهَا النَّاسُ زَرَافَاتٍ وَوَحْدَانًا ، وَلَا يَخْلُو
الْمَنَازِلُ مِنَ الزَّائِرِينَ أَكْثَرَ النَّاسِ .

مَدِينَةُ نَابِلِي

مَدِينَةُ « نَابِلِي » مِنْ أَعْظَمِ مَدَنِ إِيطَالِيَا الْمَعْرُوفَةِ بِحُجْرِ رَفِخَامِهِ
مَبَانِيهَا وَجُودَةِ هَوَائِهَا وَعَدْوِيَّةِ مَائِهَا وَكَثْرَةِ غُرَائِبِهَا مَحْفٍ بِمَبَانِيهَا الْعَجِيبَةِ
عِدَّةُ عِمَارَاتٍ وَمَبَانٍ غَايَةً فِي الْإِتْقَانِ وَالْمُهَنْدَامِ وَتَتَّصِلُ هَذِهِ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةُ
بِالْمَبَانِي الْمَشِيدَةِ عَلَى سَفُوحِ الْجِبَالِ وَالتَّلَالِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى قِمَّتِهَا وَهِيَ غَايَةُ
بِالْحَدَائِقِ الْبَدِيعَةِ وَالْحَمَائِلِ الْعَجِيبَةِ فَتَرَى الْمَنَازِلَ مُحْدَثَةً مِنْ بَعْدِ قَدْرِ رِصَتِ
بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ بِحَالَةٍ تَقِيدُ الْأَنْظَارَ وَتَحْيِرُ الْأَفْكَارَ . وَأَغْلَبَ شَوَارِعُهَا
يَبْتَدِءُ مِنْ أَسْفَلِ التَّلَالِ وَالْجِبَالِ صَاعِدَةً إِلَى أَعْلَاهَا فَيَعْبُرُ عَلَيْكَ الصَّعُودُ
إِلَى مَبَانِيهَا الْمَشِيدَةِ فَوْقَ رَوَائِبِهَا فَتَسْتَعِينُ « بِالْإِتْقَانِ » الَّتِي يَصْعَدُ مُسْتَعِينًا
بِالْأَتْرَاسِ وَالسَّلَاسِلِ الَّتِي تَمْنَعُ انْخِدَادَهُ ، وَهَنَالِكَ تَتَجَلَّى لَكَ مَنَازِلُ ضَوَائِحِهَا
وَمَزَارِعُهَا وَمَبَانِيهَا فَتَتَقَفَّ مَشْرِفًا عَلَيْهَا بِاهْتِمَامٍ لِحُسْنِ مَنَظَرِهَا وَجَمَالِ مَوْقِعِهَا
وَعَلَى الْجَمَلَةِ فَإِنَّ « نَابِلِي » تَعُدُّ مِنَ الْمَدَنِ الْكَثِيرَةِ الْمَشَاهِدِ وَالْمَتَاحِفِ وَالْغُرَائِبِ



مناره بایک

فلا يمل السائح الإقامة فيها ويمكنه أن يقضي وقتا طيبا وعيشا هنيئا
وشوارع المدينة إذا قيست بشوارع بعض مدن أوربا تجدها متوسطة
الكثرة الحركة والزحام والبيع والشراء ، وحوالياتها غاصة بالسلع الرخيصة
في جميع شوارعها ، وأهم تلك الشوارع شارع «روما» وهو يمتد من
الشمال إلى الجنوب ، ويمتد حتى تصل نهايته إلى البحر ونهايته الأخرى
تصل إلى الجهات العالية من التلال والجبال ، والحركة فيه كثيرة مستمرة
طول اليوم

وفي المدينة ميادين كثيرة أشهرها ميدان كافور بالقرب من المتحف
العظيم الذي هو من أحسن متاحف إيطاليا

أهم مشاهد نابلي ومناظرها

شوارع نابلي كثيرة الزحام والحركة والبيع والشراء والاخذ والعطاء ،
تموج بالذاهبين والآيبين ، ولورأيتها يوم الأحد وهي تسكتظ بالناس اظننت
أهلها يحتفلون بمقدم فاتح عظيم فهي أكثر بلاد إيطاليا حركة وازدحاما

وقد أخبرني من له معرفة باحصاء سكانها أن كل شخص منهم يصيبه
متر ونصف متر من أرضها ، ولذا ترى مركباتها الكهربية مزدحمة بالراكبين
الجالسين والواقفين ، وما ركبت من محطة إلا رأيتهم مزدحمة ازدحاما يضطرون
إلى الوقوف في أي وقت من النهار أو الليل . وأجور تلك المركبات ترتفع
ايلا وكل راكب تقدم أجرته بدون طلب من العامل غير محاول الخلاص

من دفع الاجرة أو متهرب منها كما شاهدت عكس ذلك في مصر كثيراً، وهذا خلق فينا تجب محاربته فيعرف كل واجبه وتسير الاعمال على محور النظام.

وقد ذكرني ذكر معرفة الواجب ماسمعتة وأنا في مملكة سويسرة أن أهلها يحفلون بمحاكمة من محاكمها مضي عليها خمس وعشرون سنة لم يحكم فيها في جنابة . وسنذكر أمانة أهل سويسرة ومعرفتهم الواجب عند الكلام على

وتكثر في مدينة نابلي العجالات المظلمة بالمظلات الجميلة لدرء حرارة الشمس والأطمار لان جوها يشبه تمام المشابهة جو مصر

ولذا نجد الرطبات منتشرة في جميع نواحيها، ولقد طلبت مرة كوباً من شراب الليمون من أحد الباعة فملاً كوباً ماء بارداً من صنبور دائم الجريان وعصر فيها الليمونة وقدمها إلي فلم أقدر على تعاطيه لخلوه من السكر فدفعت له ثمنها وانصرفت

وماء نابلي بارد جداً لأنه يأتي من مجار تسيل من الجبال فتجري في الأنايب المعدة لذلك الى المنازل فهي أعذب بلاد إيطاليا ماء

لم أر في أخلاق أهل نابلي سوءاً كما قرأت وسمعت عنهم كثيراً من الغلظة والفظاظة والشدة في المعاملة ، والتضييق على السائحين ، والاستبداد في أجر الركوب والنقل . وقد سألت عن سبب تغير الحال فقيل لي أن حكم موسوليني ضيق على المجرمين والنشالين وأوقع بهم العقاب الصارم وزج أغلبهم في السجون ولم تأخذه فيهم رحمة ولا شفقة ، قد وقف لهم الشرطة بالمرصاد يسوقوهم إلى المحاكم ويعاقبونهم على أخف هفوة تصدر منهم فتغير الحال

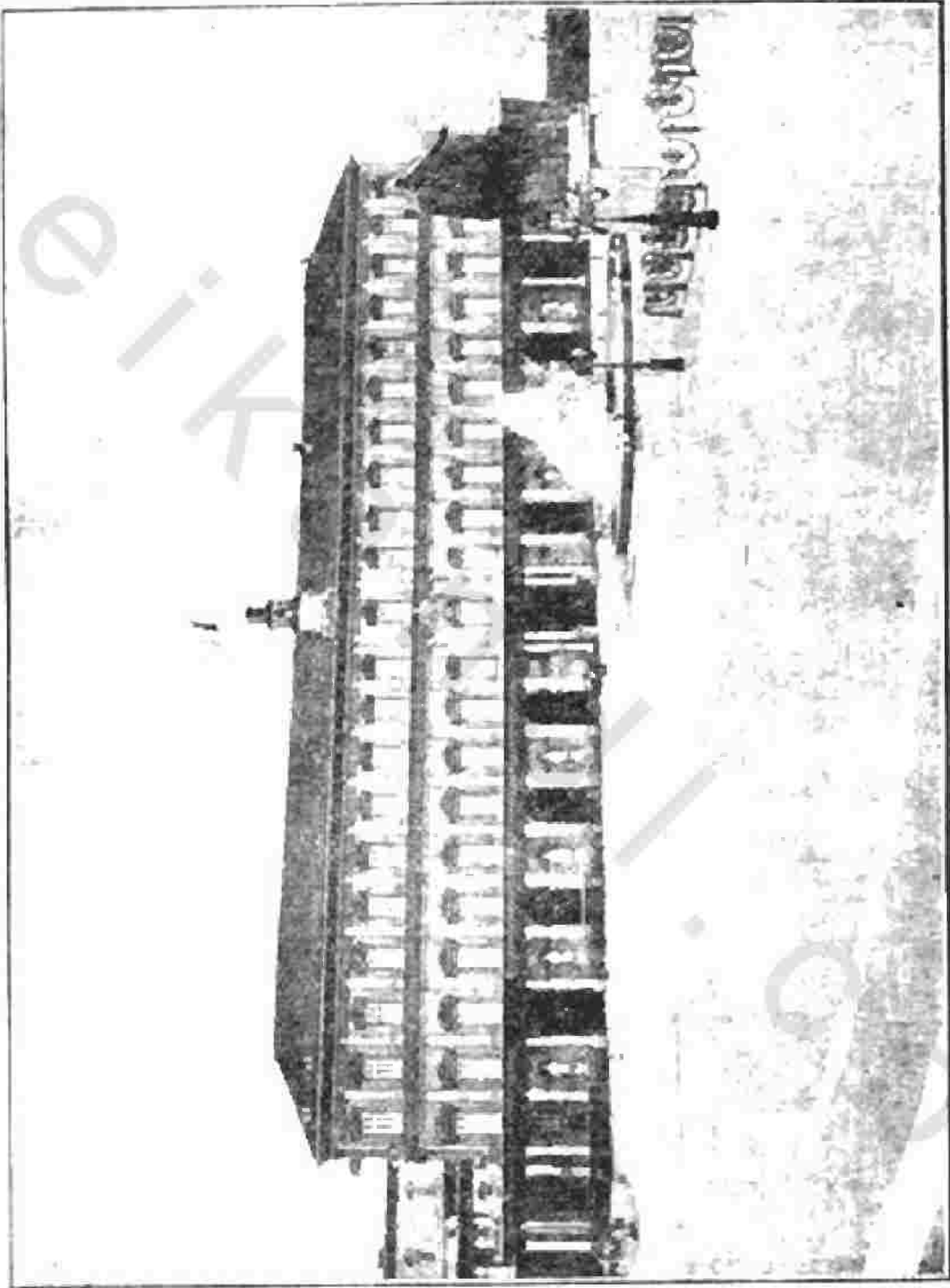
وتحسن ، وأمن الناس على جيوبهم وحقائبهم . ومع انتشار الشرطي الفاشيستي في كل دور الحكومة والمحطات لا تخلو مكاتب التفتيش (الجمارك) وغيرها من الرشوة واغتنام الفرص لأخذها ، فهم أكثر أهل أوروبا استعدادا لها فلم يقلع الحكم الفاشيستي من نفوسهم جذور الفوضى والأخلال في الأعمال والاضطراب فيها . وأنت لتتصور تلك الفوضى في أعمال البرق « التلغراف » من المقال الآتي :

لما أبحر صاحب المعالي ذو الفقار باشا سفير مصر إلى روما أرسل برقية من الاسكندرية إلى قنصل نابلي لينتظره على مينائها ، فلم تصل البرقية إلا بعد نزول معاليه في نابلي ، واستلمها هو بنفسه ولذا لم يجد أحدا في انتظاره . وهذا ما قصه على حضرة محمود بك عبده قنصل مصر في نابلي كما أن البريد يصل متأخرا عن ميعاده . وأمثال ذلك كثيرة

قصر الملك

هو من أجمل قصور إيطاليا الملكية بعد قصر روما ، مزين من الخارج بتماثيل ثمانية من أشهر ملوك إيطاليا داخلة في الحيطان ، مصنوعة من الرمر ، بملابسهم الرسمية التي كانت تستعمل في أزممتهم المختلفة بحالة تدل على براعة المصورين الإيطاليين ، وتشعر هيئة كل منها بما كان يتصف به الملك من حسن خلق وبشاشة وتواضع ، أو حرب وشجاعة ، أو كبر و صلف ، أو حب للرعية أو بغض لها ، إلى غير ذلك من المعاني والاشارات الرمزية .

وقد رأيت داخل القصر ما أدهشني : رأيت صور وتماثيل ملوك



العصر الملكي سابق

الثمانمائة سنة الذين حكموا هذا البلد ، وصورا تاريخية رمزية تدل على
حروبهم ومعاركهم وانتصاراتهم ووقائعهم وكثيرا مما كان يتصف به هؤلاء
الملوك من العظمة والأبهة . وقد أرانا الدليل ردهة الرقص البديعة التي
كانت تقام فيها المراقص للملك داخل قصره مموهة بالذهب ومحلى سقفها
بصور الراقصات في أبهى حالة . يبلغ طول تلك الردهة خمسة وعشرين
مترا تقريبا في مثلها عرضا . ورأيت حجرة الملك التي كان يقابل فيها الوزراء
غاية في الابداع والالتقان والزخرفة والرسوم وأشكال الزينة وفي صدرها
عرش الملك منخضم مكسو جميعه بالخمائل الأحمر . كما أن حجرة انتظار
الوزراء لا تقل قيمة ونخامة وعظمة عن حجرة الملك مما يدل على قوة الملك
وشوكرته . وقد مررت بنحو ثلاثين حجرة كلها آية في الابداع والزخرفة
مرصوفة أرضها إما بالخشب المنبديع أو الرخام الأبيض ، محلاة بالصور
التاريخية وكثير من هدايا الملوك والتحف . والنفائس وكل ردهاته الواسعة
مفروشة بالمرمر والرخام الجميل . وعلى الجملة فانه من أبدع القصور التي رأيتهاء
ومهما بالغ الانسان في الوصف فانه لا يقرب القارىء من الحقيقة إلا شيئا
يسيرا وليس الخبر كاليان . وقد تجللى لى من زيارة القصور الكبيرة جبروت
الملوك واستبدادهم باموال الامة وصرفها على ملاذهم وشهواتهم واشباع
نفسهم مما تميل اليه ، وهذا مادفع الشعب إلى الانتقام منهم والانتقال عليهم
والغدر بهم ، وإلى فكرة الاشتراكية والشيوعية التي انتشرت وراجت
في أغلب الممالك

وأمام هذا القصر ميدان واسع . وقد شيد في الجهة المقابلة له كنيسة
كبيرة أمامها تمثالان يمثلان جوادين على قاعدتين عاليتين من الحجر يبعد

كل منهما عن الآخر بمسافة تقدر بنحو عشرين مترا . وتمثل في ناحية من هذا الميدان الروايات الهزلية ليلا في قهوة من قهواته طلقة الهواء يتجمع داخلها وحولها كثير من الناس لرؤية الممثلين الهزليين الذين يجيدون تمثيل الهزل بأحسن أنواعه مما يضحك المشاهدين ضحكا عاليا

وبجوار هذا القصر مسرح « سان كارلو » وهو من أعظم مسارح إيطاليا لكنه يعطل صيفا فلم تتمكن من رؤية داخله . ومما يلفت النظر متحف نابلي العظيم الذي يقصده كثير من الناس لمشاهدة ما به من التماثيل والنقوش البديعة والحجر الكثيرة التي ملئت بالنقوش على الأحجار والتماثيل الرخامية والصور الزيتية التي لا تعد ولا تحصى مما يعجز الكاتب القدير عن وصفها . وهو من أحسن متاحف إيطاليا ، نقلت إليه آثار مدينة بومبي فشغلت منه جزءا كبيرا

ومما زرته في هذه المدينة حديقة الأسماك وفيها أمواه داخل ألواح زجاجية جمعت فيها أغرب أنواع الأسماك . فمنها ما يقرب شكله من الطير ، ومنها ما يماثل الأحجار أو الأزهار . بعضها ينقبض وبعضها ينبسط وكلها في حياض من البلور يتجدد ماؤها من وقت لآخر . وقد رأيت فيه السمك الكهربائي الذي إذا مسه المزمع شعر بقوة كهربائية ينتفض لها جسمه . وعلمت أن بعض الحكومات الأجنبية تدفع لحكومة إيطاليا إعانة تنشيطا لجمع ما يمكن جمعه من الجزر والخلجان .

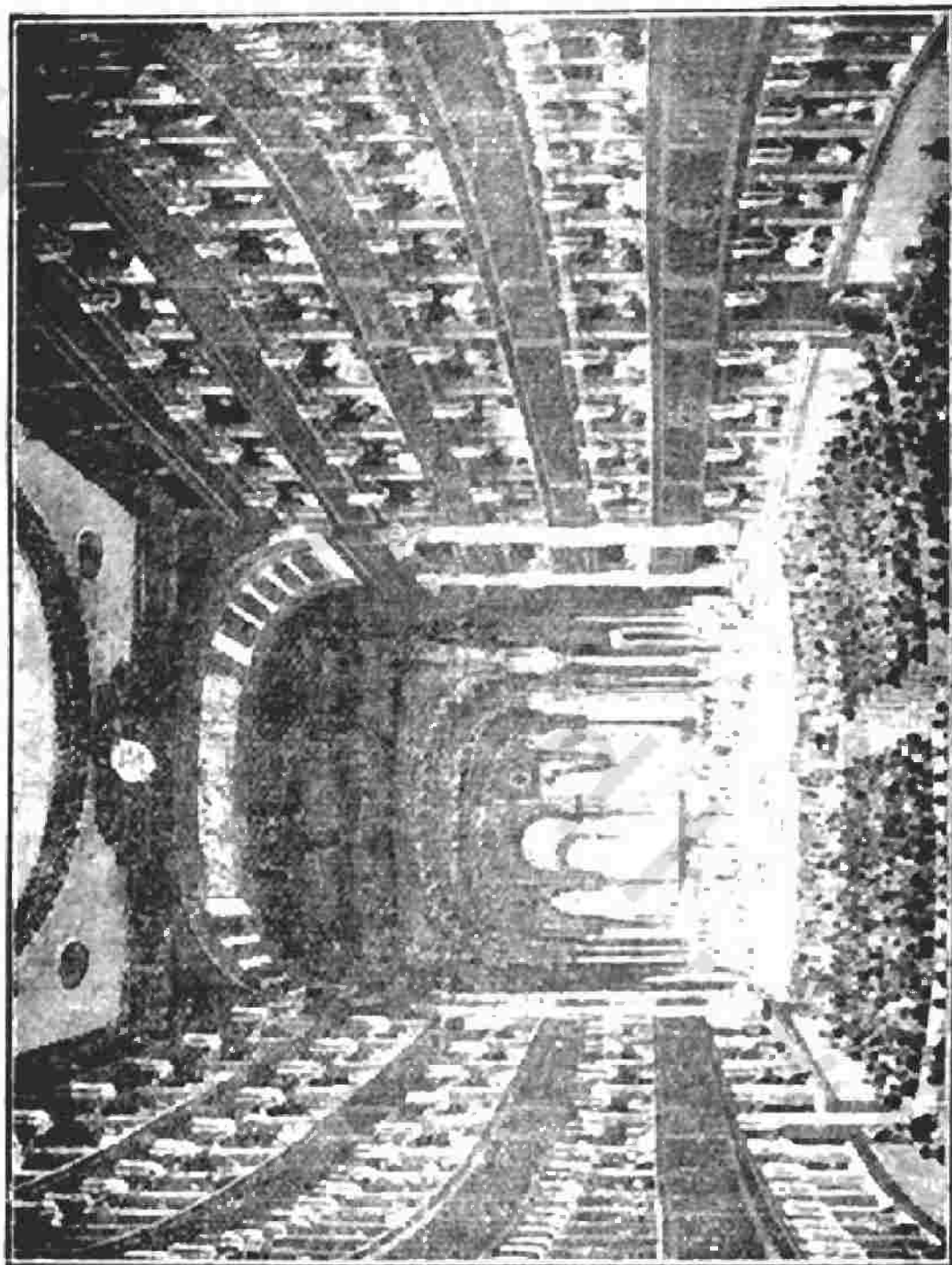
ومما هو غريب المنظر في هذه الأسماك نوع ينضم بعضه إلى بعض ويسبح في الماء حتى يدخل في أنبوبة زجاجية من أسفلها . ومتى ظهر على سطحها انبسط على هيئة وردة حمراء ثم ينقبض ويسبح في الماء ويدخل في

الأنبوبة ومتى وصل إلى سطحها انبسط وردة صفراء وهكذا تجري هذه العملية مرارا وتكرارا مما يبهر الانسان فيقف أمامه باهتا حائرا. ولا يتسنى له الحكم عليه أهو حيوان أم نبات وهذا المعرض من الأسماك يقل نظيره في ممالك العالم.

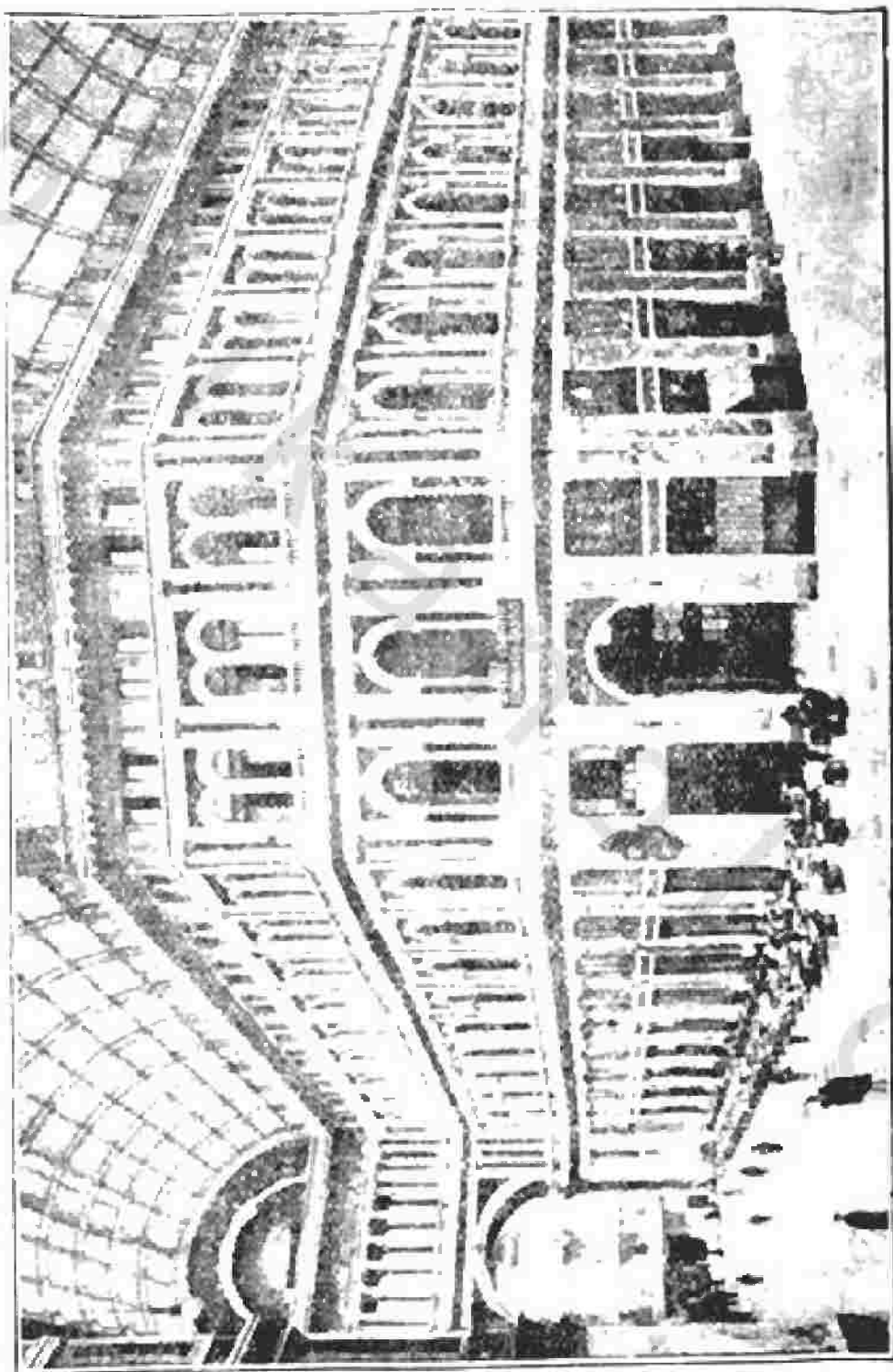
ومن العمارات التي افردت بها إيطاليا في أكثر مدنها ما يسمى عند أهلها « بالجلاريا » وهي تظهر للناظر كأنها معبد ديني عظيم لضخامة التماثيل المقامة في أعلى أبوابها الأربعة. وهذه الأبواب كشوارع تتقاطع على شكل صليب مستقوفة بالزجاج. وعلى نقطة ملتقاها قبة عالية من الزجاج. وترى داخل الجلاريا القهوة والحوانيت الخاصة بالسلع الغالية الثمن والمجوهرات الغريبة أو محال التمثيل والخيالة (السينما). وأرضها مرصوفة بالرخام الأبيض، يزدحم ازدحاما شديدا وقت العصر بالمتفرجين والجالسين على قهواتها. وقد جلست على بعضها وطلبت قهوة فلم يلذني طعمها لشدة مرارتها مع كثرة سكرها لأنهم يغلوها كما يغلي الشاي. ولذا تجدها عديمة الفقاوات على وجهها ولم أشرب قهوة لذيدة في أوروبا إلا في السفارات المصرية لأنها على الطريقة المصرية المعروفة

بركان فيزوف

إذا نظرت إلى بركان فيزوف من أعلى مدينة نابلي أو من مينائها تجلى لك منظر يدخل في قلبك الروعة والرعبة. تنظر جبلا شاهقا يخرج من فوهة في فته دخان متصاعدا مصحوب باللهب لا ينقطع ليل نهار وإذا قربت من فوهته سمعت دويا عظما رعبك ويزعجك حتى تهتم بالفرار. وعقب



راحتی مینوع - سان کارلو، ایتالی

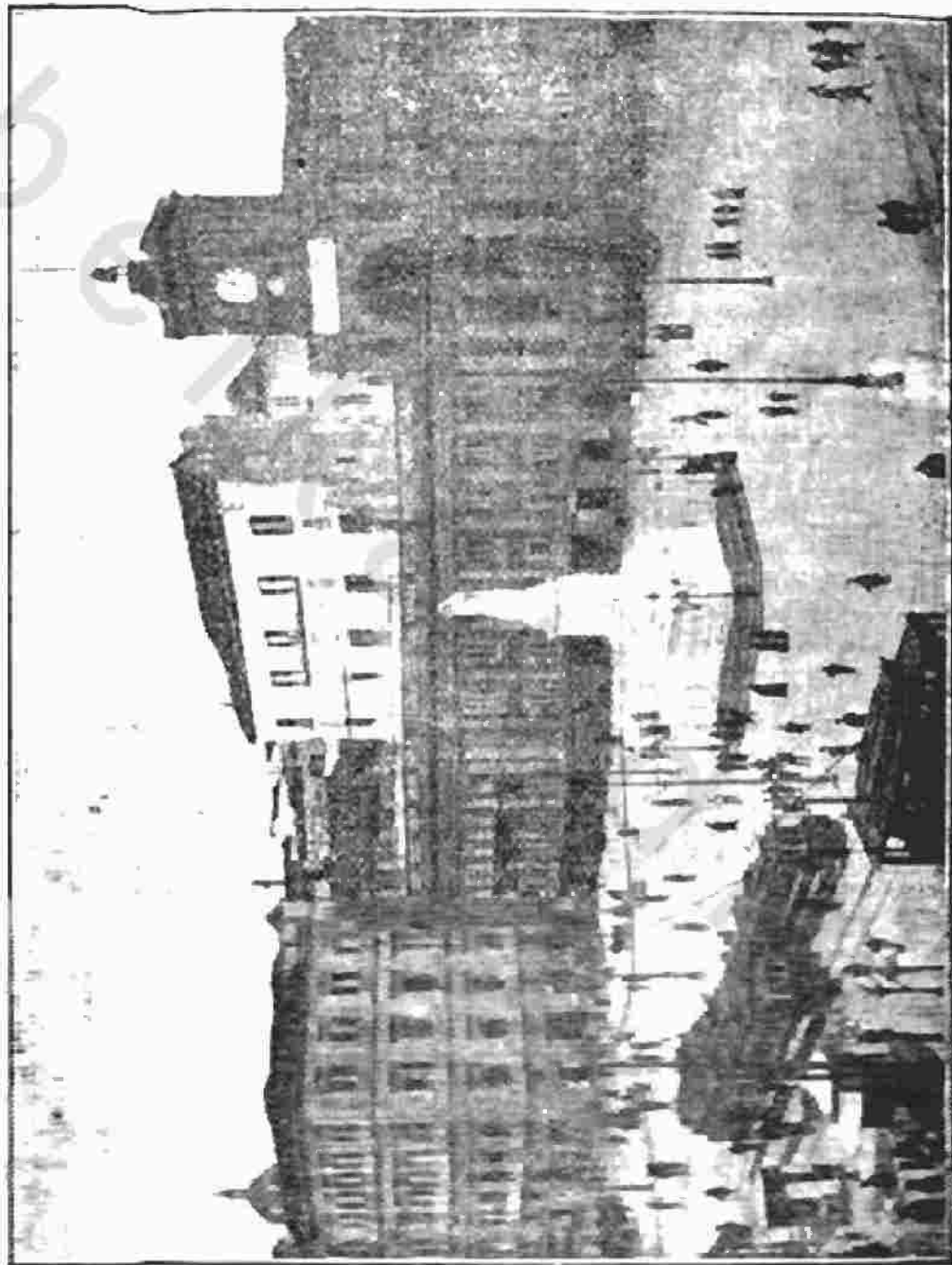


جداريا « اميرتو الاول » بنايل

هذا الدوى وتلك الفرقة يخرج الدخان الكثير مصحوبا باللهب . وكل خمس دقائق تقريبا تحصل هذه الفرقة والدوى فهو دائم الجيشان

وقد قامت شركة (كوك) المشهورة في العالم كله بتنظيم رحلات بقيمة ١٢٠ ليرة سهلت الصعود إلى قمته بسكة حديدية يسير عليها قطار يجر عجلات ويساعده آخر من الخلف يسير بالتراس ومشابك تمنع انحداره . ويدخل الرعب في قلوب الركاب عند قطع آخر محطة لأنه يصعد في علو قليل الميل وأغلب السائحين يزورونه ليلا أيام الصيف خصوصا الأمريكان لاستنشاق الهواء الجميل النقي ولمشاهدة طرقه المنارة بالمصابيح الكهربية التي تظهر للرأي منظرًا بديعًا يأخذ بالالباب . ولو رأيته بالليل لرأيت أسلاك ضخمة من النور ممتدة على مسافات بعيدة صاعدة من أسفل الجبل إلى أعلاه وقد تجلى لنا البركان بظهور تام عند خروجنا من ميناء نابلي ليلا حين العودة .

وإنه ليأخذك العجب عند ما ترى المنازل المتعددة في أسفلها وفي نواحيه منتشرة هنا وهناك وقد أمن الناس غضبه وصولته واضطرابه وهيجانه ومنظر نابلي بالليل جميل جدا لكثرة الأنوار الكهربية بشوارعها ومنازلها الصاعدة من أسفل جبالها وتلاها إلى أعلاها وفي نابلي ترى أنواع الخضر والفواكه كثيرة جدا ورخيصة الثمن وهي كبيرة الحجم لذينة الطعم



میدان وایفای

مدينة بومبي

ذهبنا إلى المحطة التي يسافر الناس منها إلى مدينة بومبي وأخذنا جوازا « بثلاث عشرة ليرة » ثم ركبنا القطار فسار بنا يخرق الطريق بين حدائق غناء ومزارع نضرة ، طوراً يعلو التلال وطوراً ينخفض ، وأخرى يدخل في نفق . وقد سار القطار ساعة في كروم العنب العظيمة الواسعة التي لم تر عيني أوسع منها ، وليست كروم العنب محمولة على حوامل كما في مصر ، بل معلقة في عمد قصيرة من الخشب ، وممتدة إلى ما جاورها من الأشجار الصغيرة علفت بها بخيوط غليظة من لفائف النبات والأغصان على مسافات شاسعة لا يدرك الناظر غايتها ، عناقيدها مدلاة تكاد تفس فم السائر تحتها . وما زال القطار يجد في السير ونحن وقوف في النوافذ نمتع النظر بهذه المشاهد الجميلة ، حتى وصلنا إلى محطة مدينة بومبي بعد سير ساعة وربع ساعة لم يقف القطار في أثناءها إلا مرة واحدة ، وهنا ذهبنا إلى حجرة أخذنا منها ورقة التصريح بالزيارة بعد دفع ثلاث « ليرات » وقد صحبنا مترجم دفعنا له ٢٥ « ليرة » ليرشدنا إلى أهم أماكن الزيارة

فندسكنة تاريخية عن مدينة بومبي

قد كان من أمر هذه المدينة أنه في سنة ٩٢ ميلادية ثار بركان ويزوف المجاور لها وقذف من الحجارة والطين واللحم والمواد الأخرى الملتببة المحرقة فوق هذه المدينة طبقة ردمتها وغطتها بسمك يقدر بنحو ٢٠ قدماً ، فهلك في هذا الحادث من الأهالي آلاف ، وفر من بقي من سكانها في جهات

الأرض حاملين ما خف حمله وغلت قيمته، وقد دفنت المدينة وطمست آثارها ومحيت أخبارها من الأذهان بتقادم الزمان، وبقيت سرا مكتوما في ضمير الدهر لا يعلم الناس عنها شيئا، حتى حدث في القرن الخامس عشر أن بعض المهندسين كان يقوم بعمل من الأعمال في تلك الجهة فعثر على أساس بناء مدفون فلم يهتم للبحث عنه ولم يعره التفاتاً، وبعد سنة ١٧٤٨ عثر أحد الفلاحين على بعض أوان منزلية من النحاس وغيره فتنبهت لذلك الأفكار واتجهت الأنظار إلى ما وراء ذلك وأخذ الناس يتحدثون بهذا الأثر حتى بلغ ذلك آذان الملك شارل الثالث فأمر بالبحث عن تلك الآثار، وقد استمر العمل أعواماً عديدة، وكلما وجدوا أثراً نقلوه إلى متحف نابلي حتى استكشفوها، ولا يزال البحث عنها يكشف منها بقية مبانيها. ويظهر أن فيها بعض آثار لم يصل البحث إلى كشف اللثام عنها.

سوارع المدينة

أهمها شارعان كبيران، أحدهما يمتد من الشرق إلى الغرب والثاني من الشمال إلى الجنوب، ويبلغ اتساعه نحو عشرة أمتار، وله إفريزان ضيقان، وأرضه مرصوفة بالحجارة بعضها مستوية منحوتة، وبعضها وعرة تتخللها حفر كثيرة. وقد سألت المترجم عن ذلك فآخبرني أن الحاكم كان يكلف كل شخص برصف ما أمام داره، فالغني يعني برصفه رصفاً جيداً، والفقير بهمله.

ويقطع شارعى المدينة شوارع مستقيمة متقاطعة كما هو الحال في المدن الحديثة، وعند تقابل الشوارع تبنى أحجاراً مرتفعة من سطح الشارع ليتمكن

المارون من العبور عليها عند حدوث الأخطار بحالة تسمح بمرور العجلات. وتلك الشوارع أضيق من الشارع العام ، وتشبه الدروب عندنا ، ويتفرع من هذه الشوارع الضيقة منعطفات تبتدىء من الشوارع وتنتهى ببيت فى آخرها.

وقد أرشدنا المترجم إلى منعطف فيه ماخور يدخله الانسان من باب صغير فيجد طرقة ضيقة مستطيلة قد شيد على جانبيها ست حجر ، كل حجرة داخلها بناء يشبه مقاعد الفلاحين فى القرى على ارتفاع نصف متر ، وفى منتهى كل ارتفاع ما يشبه الوسادة وفى نهاية الطرقة محل مرتفع يقف خلفه من يتقاضى الأجر من الداخلين إلى هذا الماخور ، وهو مقفل ممنوع دخوله إلا للساحين ، وكل شوارع المدينة على هذا النظام والترتيب . وقد أعجبنا حمام كبير جدا معتنى به كل الاعتناء ، أحواضه مبنية بالرخام الأبيض الجميل على شكل دائرة ، وهناك محل أول وثان ، وأحواض للماء الساخن والبارد ومحال أعدت للتدليك ، ومقاعد ممتدة بطول الحمام للجلوس عليها ، وأمكنة لخلع الملابس مشيدة بالرخام أو الآجر ، وكل حجرة قبو ، وبالحمام أحواض طويلة سوى التى ذكرناها كالتى تستعمل حديثا فى المنازل ، وجدرانها وسقفها مزينة بالصور والتماثيل البديعة

الحوانيت

تفتح فى الشوارع الكبيرة والصغيرة منها حوانيت كثيرة كان يساع فيه أنواع ما يحتاج اليه أهل المدينة من مأكول ومشروب وملبوس ، وجلها بنظام واحد ، ولا توجد حوانيت كبيرة انما الذى يلتفت النظر منها حوانيت

السوائل كالحمور والزيوت وغيرها ، فانها توضع في خواب من الرخام أو الخرف كالتى تستعمل عند الزياتين عندنا أفواهها في عارضة كبيرة من الرخام بعرض الدكان ، والمشتري يقف أمامها يأخذ ما يريد

ولم نجد في هذه المدينة محلا يستعمل كقهوة بل كل شخص يأخذ ما يريد وهو واقف كما في إنجلترا وأمريكا بلاد العمل الآن ، وعلى باب غالب الحوانيت تستعمل إشارة تدل على ما يباع فيه

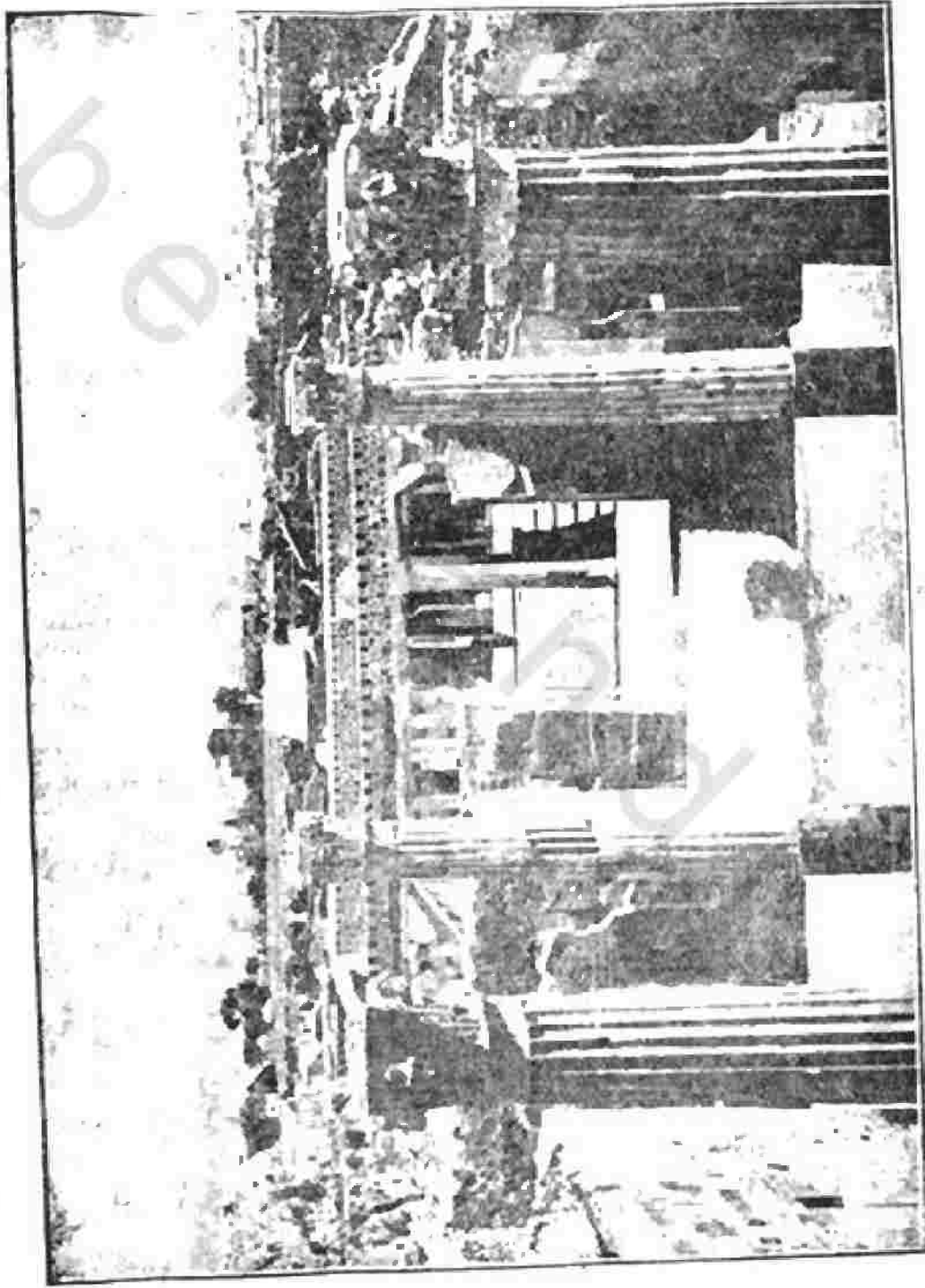
ومما يلاحظ في هذه المدينة أن أحياء الأغنياء والموسرين لا تجد في شوارعها حوانيت ولا محال للبيع والشراء ، وهذه الحالة تجدها الآن في أحياء الأغنياء والموسرين عندنا

المنازل

مما شاهدته في تشييد منازل الاغنياء منهم أن غالبها يبنى خلف الحوانيت يصل الانسان منها بطرقة ممتدة من الشارع حتى يصل الى باب الدار ، وليست لها نوافذ على الشارع ، يحيط بها سور داخله ردهة واسعة ، وحول هذه الردهة حجر تفتح فيها ، وليس بها نوافذ الا بابها ، وتلك الحجرة ضيقة لا تزيد عن ثلاثة أمتار في مثلها مع أن الردهة واسعة جدا ليست مسقوفة ليصل الى المنزل الضوء والحرارة ، وفي وسط الردهة فسقية تجتمع فيها مياه الامطار تسير منها الى صهريج تحت الدار تخزن فيه الى أيام القيظ ، وفي الردهة يفتح باب على حديقة واسعة من الجهة الشمالية غالبا ، وحول الحديقة حجرة للزائرين ، وحجرة الاكل وهي أوسعها ، وحجرة النوم وهي ضيقة ، وبين حجرة الزائرين وحجرة الاكل حجرة الخدم

وحجرة الاكل غابة في الفخامة بها كثير من الرسوم والنقوش
البديعة التي تسر النفس ، وتبعث على تناول الطعام بشهية . وفي كل بيت
من بيوت الأغنياء حجرة خاصة يقابل فيها رب المنزل السيدات الاجنبيات
منعزلة عن حجر الدار مزخرفة ومزينة باحسن ما يوجد من النقوش والصور ،
وتشتمل على صور تحمر لها وجه الانسانية خجلا ، ومن أجل ذلك قام على بابها
حارس لا يسمح للسيدات بدخولها . وقد حاولت بعض السيدات الامريكيات
ان تدخلها فلم تفلح وخرجنا من هذه الحجرة منا الضاحك ومنا الصاخب
ومنا الداهل من حيوانية الانسان وانغماسه في الشهوات بحالة تلحقه
بالحيوان الاعجم . وبجوانب المنزل دواخل وخوارج تستعمل لمنافع متعددة
كوضع مائدة الأكل وأواني الشرب والمصابيح ، وحجر داخل البناء ، وأخرى
يصعد لها بساكنين أو ينزل لها كذلك مما يشبه تمام الشبهة المنازل القديمة بمصر .
ومن زار منزل أنى الذهب في حارة الروم بمصر يمكنه أن يدرك حالة المنازل
عند الرومان القدماء ، غير أن منازلهم عديمة النوافذ من الخارج . وتكثر
النقوش والتماثيل حسب ثروة الرجل ومنزلته . وفي منازل الأغنياء عدة صور
واضحة ترمز الى حالة دينية وثنية وخرافات قديمة وزراعية وتجارية

وقد زرنا منزلا مستكشفا حديثا أخبرنا المترجم أنه كان لأخوين
تاجرين افرغا فيه جهدهما من حيث الزخرف والبناء وآثاره باقية لم تنقل
الى متحف نابلي لان كل اثر قيم ينقل الى متحف نابلي يوضع محله من الصور
الحديثة ما يشير الى الصور القديمة إلا هذا المنزل فانه لم ينقل ما فيه ولذا
عُنوا بعمل حواجز لا تاراه حتى لا تفسد يد السائحين ، وفي هذا المنزل



میرزا امیر ظہور حرمہ انانی نوی

حديقة جميلة محاطة بسياج من حديد نصب عليه عدة تماثيل وطيور وسباع وتماثيل غلمان صغار غاية في الأبداع والأتقان، وبه حجرة كبيرة زخرفت أكبر زخرف ورسم على جدرانها ما كانوا يتعاطونه من المهن بحالة واضحة جداً من زراعة وتجارة وحرث ودرس وصيد ورقص، وصور القرايين التي كانوا يقدمونها لآلهتهم وغير ذلك مما يبين حالتهم الدينية والمعاشية. وقد كثر السائحون في هذا المنزل وكذا الراسون وناقلو صورده. وهذا وصف بيت من بيوت الاغنياء أما منازل الفقراء فهي منحطة في كل زمان ومكان فالمنزل منها يحتوى على حجرتين أو ثلاث عديمة النوافذ حيث تحوى فرنا ورحى وهى عبارة عن قاعدة مرتفعة من الحجر الصلد تعلوها مثلها على هيئة اسطوانية مفرطحة من أعلاها. وتلك المنازل واطئة الاسقف تنتهى بقبو كمنازل الفلاحين في القرى الصغيرة عندنا. هذا ما يقال بوجه الاجمال عن منازل مدينة بومبي

المعابد

في هذه المدينة معابد كثيرة أرشدنا اليها المترجم فيها كثير من الاصنام والتماثيل، ورسومها بديعة باقية واضحة بها كيفية تقديم الذبائح للآلهة، ولهم اعتناء كبير ببيت العبادة الذي تظمر عليه الفخامة والعظمة وهذا المعبد متسع أقيم في صدره مذبح الآله والالاهة معبودى أهل المدينة وقد أقيم في جهته الشرقية والغربية ثمثالان لهما متقابلان يشيران الى بعضهما البعض. وقد رأينا ثقباً خلف رأس الآلهة كان يستعمله حكام تلك المدينة للأجابة عن أسئلة الاهالى التى كانت توجه للآلهة فتخرج نبرات الكلام

من فم الالهة فيعتقد السائل انها هي التي تحييه وبذا بقيت سلطة الحكام الدينية والزمانية سائدة زمنا طويلا

ومن الآثار التي تستحق الذكر ميدان واسع جدا يحيط به المباني من كل جهة ، مقامة على بوالك من الاحجار الضخمة ، وداخل هذه البواكي وخارجها عدة مقاعد . وفي نهايته الشمالية مبنى عال يقف عليه الخطيب ويلقى ما يريد من الأمور الهامة على عامة الشعب ، وفي نهايته الجنوبية محل لجلوس الحاكم وأسرته وهو غاية في الأبهة والعظمة

دار التمثيل

من الاشياء التي يقصدها السائح ويهتم لرؤيتها في هذه المدينة دار التمثيل فانها حفرت في الصخر على هيئة دائرة ، متاعدها مدرجة من أعلى الى أسفل تضيق كلما سفلت حتى تصل الى دائرة صغيرة . وقد أعدت في هذه الدار محال للحكام والأشراف والتوسطين والعامة والخدم فلا تتجاوز طائفة من هذه الطوائف محالها المعدة لها ، وقد شيد فوق هذا الحفر مباني تحيط به فيها يجلس الناس ليروا الممثلين من أعلاه وهذه الدائرة لا يتجاوزها الخدم وعامة الناس ، ويقدر عمق هذه الدار عن سطح الارض بنحو خمسة وعشرين مترا تقريبا وشكلها يشبه تمام المشابهة المدرج الروماني القديم الذي مر وصفه عند وصف آثار مدينة سرقسطة

منحرف رومي

عند ازالة الردم عن مساكن هذه المدينة وجدوا كثيرا من هياكل



المنزل الكبير في القاهرة

الرجال والنساء والاطفال وبعض الحيوانات محجرة، وانواع الحلى بين ذهبية وفضية مما لا يدخل تحت حصر . وقد وجدت هياكل بعضهم فى الازقة بهيئة تدل على الفزع والخوف . وقد شيّدوا متحفا فى هذه المدينة نقلوا اليه بعض آثارها فيه رأينا الرجال والنساء محجرة بالهيئة التى ماتوا عليها عند حلول الحادث فمنهم النائم على ظهره والنائم على جنبه والمنقبض الجسم والمنبسطة وغير ذلك من الاشكال التى يمكن ان يموت عليها الانسان، ومثل ذلك بعض الحيوانات والطيور والابواب الخشبية المتحجرة . وفيه جميع انواع النقود والموازين والمبكايل والحلى وغير ذلك مما كان يستعمل عندهم من تماثيل العبادات وآلات الدرس والحرف فسبحان من يرث الارض ومن عليها

من نابلى الى رومة

اذا فرغنا من زيارة اى مشاهد نابلى ومتاحفها ازمعنا السفر الى رومه قصبة مملكة ايطاليا فذهبنا الى محطة السكة الحديدية ومنها اخذنا جواز السفر (التذكرة) بعد أن دفعنا ثمنها احدى وسبعين ليره (اخذ وسبعين قرشا صاغا) ولما اردنا الدخول الى القطار اشار العامل المكلف بمراقبة المسافرين بان حقيبتين من حقائبنا يجب وزنها فالتخى الحمال بنا ناحية وقال يمكننى أن أدخلهما بدون وزن على شرط أن آخذ عشر ليرات فقبلنا منه ذلك وقد فعل واعطينا له مائتين . وقد قلت فيما سبق ان اهل ايطاليا لهم استعداد لقبول الرشوة متى وجدوا لذلك سبيلا . ولما دخلنا القطار لاحظنا أن حجره ضيقة تحوى ثمانية مقاعد متقابلة يفصل كل مقعد عن

منها حاجز ولها بابان من جانبها يقفلهما العامل عند سيره وليس بها نوافذ غير نافذتين تعلوان هذين البابين ولا طريقة امامها. وحجر القطر في ايطاليا أقل مما في مملكة سويسره وفرنسا وانجلترا نظافة وزخرفا والمقاعد مكسوة بنوع من الخمل الرمادى وقد اكتظ القطار بالمسافرين مما افضى الى وقوف بعضهم زمنا طويلا

وقد قام القطار بنا من المحطة الساعة السادسة والنصف وسار بنا في أرض ليست ذات خصوبة تارة يعلو تلالا وروابي وتارة ينحط واخرى يدخل في نفق وطورا يسير جبالا شامخة

ومازلت واقفا في نافذة القطار أمتع النظر بتلك المشاهد الجميلة البديعة حتى خيم الظلام وعدت لأرى الا الانوار في القرى المشيدة على التلال وسفوح الجبال الى ان لاحت لنا من بعد أنوار مدينة رومه بمنظرها الغريب الذى يأخذ بمجامع القلوب، وقد وصلنا محطتها الساعة الحادية عشرة والنصف مساء فحمل حقائبنا حمل ذهب بنا الى فندق الكوتيننتال وهو فندق جميل واقع في واجهة المحطة كثير الحجر واسع الردهات المزينة بالاشجار والازهار، وهو من أعظم الفنادق في ايطاليا يشرف على ميدان المحطة وعلى شارع من أهم شوارع المدينة وأجرة المبيت فيه خمس وثلاثون ليرة وإذا أضيف الى ذلك الا كل فيه ضوعف الاجر

ومما لفت نظرى ان كل نازل في فندق من فنادق اوربا يلزمه ضريبتان ضريبة الخدم وضريبة الحكومة وكل واحدة لا تقل عن عشرة في المائة من أجرة المبيت كما أنه يزداد على هاتين الضريبتين ضريبة ثالثة هي ضريبة الترف اذا كان الفندق راقيا كالذى نزلنا



منظر کلب منجم

ومما يدعو الى العجب والدهشة كثرة السائحين الاميركان فأنى رأيت منهم في رومة وغيرها من الممالك التي زرتها سيلا جارفا يملأ كل مكان نزلنا به ، وأكثرهم من الفتيات اللاتي لا يصحبن معهن رجالا إلا قليلا بل يعتمدن في جميع رحلاتهن على أنفسهن . وإنك لترى فيهن زينة الفنادق والردهات يرقصن ويغنين ويعزفن ويقمن بالأعيب متنوعة - ملابس غاية في البساطة يشبهون تمام المشابهة الفتيات الانكليزيات لونا ولغة لا يكاد يفرق الا ناسا بينهم ، وعجائزهن غاية في النشاط والخفة يقمن بما تقوم به الفتيات من الأسراع إلى زيارة الآثار والمتاحف ويقيدن الغريب منها ويأخذن المناظر بآلة التصوير الشمسى (الفوتوغرافيا) فلا تروا أثرا لا تجده غاصا بين

وأغلب الاميركان يعتمدون في سياحتهم على شركة كوك تقلهم سياراتها إلى المتاحف والآثار وغيرها مما يهيم السائح زيارته مصحوبين بترجميها العديدين

وهي تقوم بخدمات كثيرة تسهل على السائحين رحلاتهم من تقديم أدلة للبلدان والممالك بالمجان ومصور كل مدينة يوضح أما كتبها وآثارها ومتاحفها ومحال الزيارة فيها ومعلومات عن فنادق المدن واجورها وحالة المعيشة في الاسر (البنسيونات) فلا يجد السائح اقل صعوبة في الوصول الى غرضه ولها مكاتب في كل مدينة حتى القرى تسهل كل نوع من المعاملة والقيام بصرف «القطع» لكل ممالك العالم ولذا لا تخلو محاله من السائحين المختلفي الأجناس واللغات

تجد السيدة الاميريكية وهي في أخريات أيامها لا تقوى على السير في

المتاحف والآثار فيحملها العمال على كرسى احد لذلك حتى لا تحرم رؤيتها وتنفق في ذلك المال الكثير صابرة على مشاق السفر والتنقل برا وبحرا كل ذلك في سبيل حب الاستكشاف والاطلاع مما يدل على علو مكانة الأمير كان وضربهم في العلوم والمعارف بسهم كبير . وبهذه المناسبة أجدني أسفا جسد الأسف لعدم اهتمام المصريين بشأن السياحات والاطلاع على آثار الممالك ومتاحفها والوقوف على أخلاق الأمم وعاداتهم . فقد يذهب كل سنة منهم الى أوربا عدد كبير ومع هذا فلا نجد لأسفارهم أثرا يذكر في بلادهم لأنهم يفضلون الراحة واللهو واللعب والأقامة في مكان واحد عن الجولان في الممالك والبلدان — ولو علموا أن أيام السائح من ألد أيام حياته لما تأخروا عن قضاء أوقاتهم متنقلين يرون كل يوم منظرأ جديدا وخطقا نافعا وموعظة حسنة وعبرة مرشدة وحكمة بالغة وعلما واسعا لا يحصلون عليه بغير ذلك

روم

هي عاصمة بلاد الرومان ، مرت عليها أعوام كانت فيها سيدة عواصم الممالك ، وحكمة العالم المتمدين ، تاريخها القديم من أشهى التواريخ ، وأكثرها فائدة للقارئين . يعرض أمامك العبر ، ويوضح لك تقلبات الزمان ، ويملي عليك حكمة لقمان . وما زالت إلى الآن عاصمة إيطاليا مع مامر عليها من حوادث الأيام وعبر الدهور والأعوام . اجتمع فيها قديما عظماء الشعوب المختلفة فكان منهم الأمير ، ومنهم طالب العلم ، ومنهم المتجر ، وكانت مركز الملك والرياسة الدينية معاً . فلم تبلغ مدينة من مدن العالم ما بلغتة روما في العالم القديم

وباعتبار ما طرأ عليها من التغيرات أصبحت تنقسم إلى قسمين ، رومة
الحديثة ورومة القديمة

فرومة القديمة كانت محاطة بسور لا يقل عن اثني عشر ميلا تقريبا وله
سبعة وثلاثون بابا معدة لخروج الجنود ودخولهم

ولقد اشتهرت من قديم الزمان بردهاتها الواسعة ، وشوارعها الكبرى
أما رومة الحديثة فأنها قد بنيت على اطلال رومة القديمة ، أقيمت
على اثني عشر تلا ، فهي كثيرة المرتفعات والمنخفضات فلا تكاد تجد فيها
شارعا مستويا . ويشطرها نهر تير شطرين عظيمين ، شيدت على ضفافه
المنازل العالية والقصور الفخمة ، وفي ميادينها العامة كثير من التماثيل
البديعة الصنع

وأهمها نافورة بقرب ميدان المحطة آية في الأبداع وحسن المنظر
وإذا رأيته رأيت دائرة عظيمة محاطة بالتماثيل الكثيرة المتعددة الأنواع
المختلفة الأشكال ، وفي وسط هذه الدائرة تمثال لرجل ضخم يضم اليه تمثال
غلام يصعد الماء من قمة رأسه فينصب عليها بكثرة . وجميع التماثيل المقامة
على حافة هذه الدائرة بأشكال الرجال والنساء تقبض على تماثيل من الأسماك
والحيوانات ، يخرج من أفواهها الماء بقوة عظيمة منعكسا الى جو هذه
الدائرة ، ويقابل هذا الماء المنعكس ماء مقذوف بقوة يخرج من
أنابيب وسط هذه الدائرة ، فيتكون من ذلك منظر حسن يسر النفس ،
ويشرح الصدر

ويلى هذه النافورة في المرتبة نافورة أخرى تسمى « ريفي » من
النافورات الرومانية القديمة . أقيمت وسط رومة يخرج الماء من اثنتي عشرة

فتحة فيها ، يسمع لها دوى كدوى القناطر لكثرة المياه المتحدرة على الاحجار والصخور من تلك الفتحات ، ويعلو هذه الفتحات تماثيل كبير لرجل يكتنفه تماثيلان على صورة امرأتين أحدهما رمز للصحة والآخر للخصب والثناء بيده صورة عنقود من العنب العظيم ، وبأسفل هذه التماثيل تماثيلان لفارسين قويين يقبض كل منهما على عنان جواد جامع يعانيان في كبج جاحهما اشد العناء ، والمياه المتحدرة من هذه الفتحات جميعا تنصب بقوة عظيمة في حوض واسع جدا تضدت حوله المقاعد لجلوس من يشاهد المنحدر هذه المياه .

ومما سطر في دليل روما من المضحكات عن مياه هذا الحوض ان السائح اذا شرب من مائه ولم يقذف فيه « صلدا » سحرت مياهه واضطرتته الى الرجوع إليها في العام المقبل ، فشربت من مائه ولم اقذف فيه صلدا لعلى أرجع اليه مرة أخرى !

وشوارع رومة أغلبها كثيرة الحركة والزحام ، ولكنها أقل حركة من شوارع (نابلي) وحوالياتها أكثر ضخامة وسلعا ، مرصوفة بالاحجار المستوية أو الآجر (الاسمنت) ، ومما يزيد فخامة وعظما علو العمار الضخمة بها ، فان غالبها يتكون من ست طبقات أو سبع ، مما يكسب الشوارع بهجة وعظمة ، وأغلب شوارعها محلاة بالتماثيل التي تقابلك أينما سرت ، إما في الشوارع وإما في شرفات المنازل ، أو مزدانة بها الحوانيت وميادينها العامة ، أو مزخرفة بها الكنائس الكثيرة المنتشرة في جميع نواحيها . والمركبات الكهربائية تنساب في تلك الشوارع تارة تعلو وتارة تنخفض تبعاً لحالة الشوارع ، ولها سائقون مهرة ، يجلسون على كرسي يفصله عن

الواقفين حاجز من الحديد ، فلا يزاحمه أحد مهما كثر الواقفون ، وكل مركبة فيها عدة أجراس يقرعها الراكبون اذا أرادوا النزول . وهو لا يفوق المركبات الكهربائية برمل الاسكندرية من حيث النظافة والترتيب ، والسيارات أجورها رخيصة جدا كما أن العجلات لها عداد (تكس) يجرها جواد واحد واذا زاد الراكبون على اثنين دفع عنه ليره (قرشا صاغا) عما يستحقه العداد . والحوذيون لا يسمون الخيل بسياطهم شفقة ورحة بالحيوان . ومما يضحك أن تاركبنا عجلة وأراد الحوذي أن يوجه الجواد الى ما يريد فلم يقبل أن يسير الا اتباعا لهواه ولم يجسر الحوذي أن يمسه بأذى فكان ينزل ويجره مسافة كبيرة واسكنه يأبى أن يسير إلا حسبما يريد ، فأخذ منا التعب مأخذه ، وقلنا هذا حال حوذي مع جواد لم يجرؤ على ايدائه ونحن في بلادنا نقيد ارادة خدمنا وارادة أبنائنا والويل ثم الويل اذا تأخر الحيوان عن الركض لثقل حمله أو لمرضه أو تعبته فان سياقة ينقض عليه انقضاض الصاعقة فيوسعه وكزا وضربا ونحسا حتى يسيل دمه

ولهذه المناسبة اذكر اني مارأيت في سياحتي هذه سيدا يلفت نظر خادمه بل كل خادم يقوم بواجبه . وقد رأيت في لندن خدمات الفنادق يقمن بالخدمة أكثر من اللازم ينظفن درجات السلم وهن جاثيات على ركبهن لشدة اعتنائهن بالنظافة وقيامهن بالواجب ، كما أن للخدم أوقات راحة لا يسألون فيها عن عمل شيء مطلقا يرتدون ملابس نظيفة ويخرجون للنزهة سواء في ذلك الفتيان والفتيات فاذا قابلت احدهم في الخارج قابلت شخصا جميل النزة حسن الطلعة لا يتسرب الى عقلك أنه خادم له حسن حديث وذوق وأدب

ولم أر مدة اقامتي في رومه ما كنت أسمع من الطليان من المظاهرة والغلظة والشدة والطيش الا قليلا جداً في الطبقات الواطئة انما الذي يؤخذون به عدم التحديد في أثمان السلع فلا يدل الثمن المكتوب عليها على الحقيقة . فاذا كنت أجنبياً عن البلاد ابتعت الشيء كما هو مكتوب عليه . وقد أرشدنا أحد أصدقائنا الى أن المساومة واجبة فكنا ننقص من الثمن المكتوب على السلع الثالث أو الربع ولم نر أمة من الأمم في أوروبا تفعل مثل هذا وهم ليس حسناً من أمة اوروبية راقية فاذا تمكن بعضهم من الغش لا يتأخر مثال ذلك :

اننا دخلنا مطعماً وتغذينا فيه فقدم لنا صاحب المطعم بيان الحساب فوجدنا الثمن المطلوب لا يتفق مع طلبنا فبحثنا الاثمان فوجدناه قد أضاف الليرات الى البنسات وجعلها جميعها ليرات فلما أرشدناه الى غلظه خجل واعتذر عن فعلته ، كما أنه اعجبني في ايطاليا ما سمعته من تشدد حكومة موسليني على النساء المتبرجات في الشوارع فانه شدد في عقوبتهن ان كن ايطاليايات والا فهاهن الى الخارج ، وقد اخذ يضيق عليهن الخناق في الشوارع والمنازل وتتبع منازل السر وصادرها ووقع على اصحابها العقاب مما جعلهم يفرون من امام الشرطة ويختفون عن الانظار . وقد ساعده على ذلك معاضدة قداسة البابا فاصدر امراً بابوياً يمنع كل امرأة عارية السواعد من دخول الكنيسة فاتفقت السلطان الدينية والمدنية على ذلك مما جعلهن مخشين العقاب

فما كان أجدر بحكومتنا السنية أن تبذل جهدها في مطاردة المغا

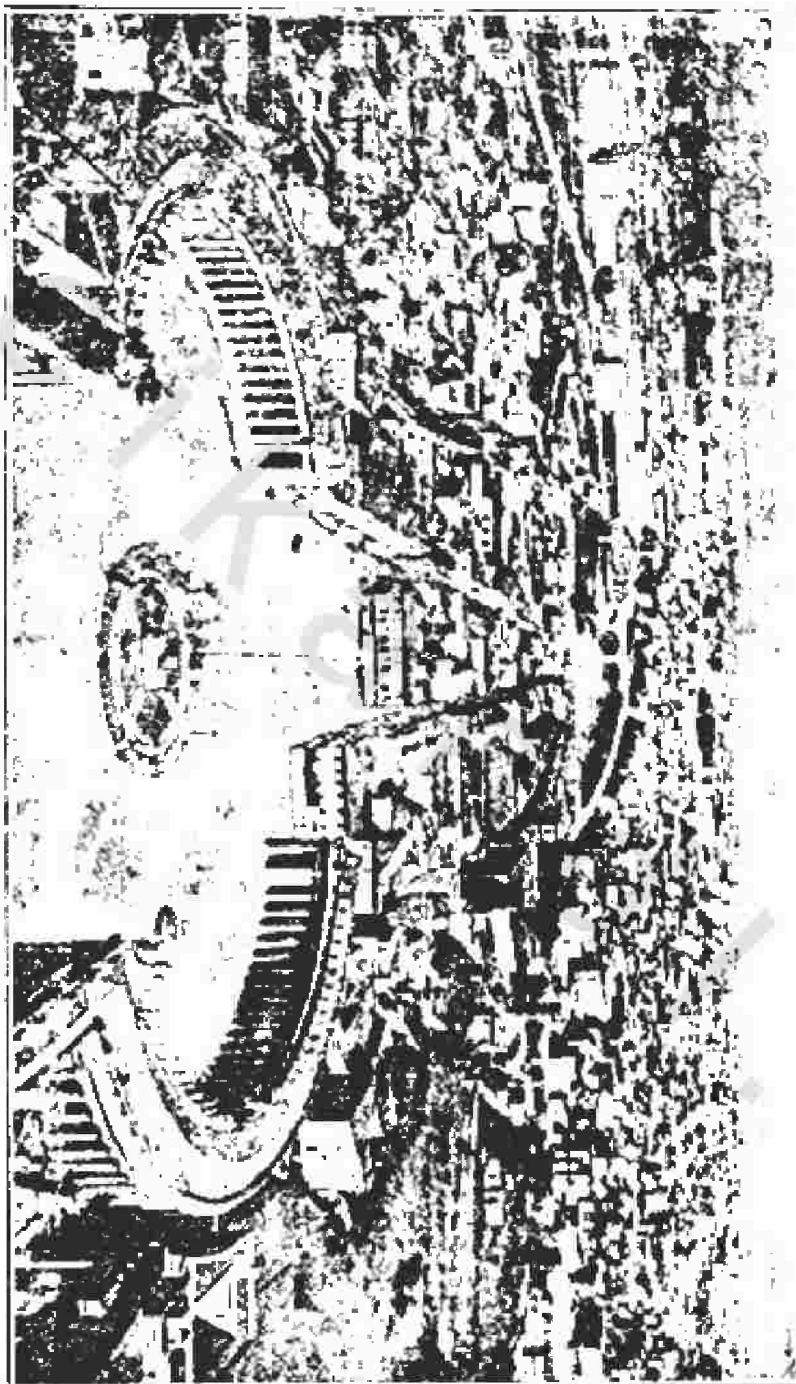
اللاتى انتشرن فى البلاد انتشار الجراء يعمثن فى الارض فسادا لارادع ولا
زاهر حتى انتشرت بيوت الدعارة والفجور بين بيوت الأحرار، وقد كتب
السكاتبون فى ذلك فلم يجدوا أذنا صاغية ، وليست مقالات أخى الاستاذ
محمود أبى العيون عن القراء ببعيدة

فاين ذوو الغيرة فى بلادنا يتابعون تنبيه الحكومة حتى تعير تلك
المواخير جانبا من عنايتها فتطهر البلاد من أرجاسها ؟ واننا ننتظر من
حكومة اسلامية رشيدة مثل حكومة مصر ان تقوم بهذا الأمر العظيم
لتكسب بذلك تاريخا محمودا يدور مع الزمان

أهم آثار رومة ومناصفها

كنيسة مارى بطرس الكبرى

لما كان لرومة المركز الاول فى العالم الكاثوليكي أصبح لكنائسها
الشهرة الفائقة والصيت الذائع والقيمة الكبرى ، وأشهر كنائسها بل
أشهر كنيسة فى الأرض ، وأوفرها قيمة ، وأكثرها تحفا وآثارا ، هى كنيسة
(مارى بطرس الكبرى) وهى بجوار الفاتيكان ، تتصل بمبانيه من ناحية ،
لها منظر مهيب يملأ القلب عظمة وجلالا ، امامها ميدان فسيح على شكل
دائرة هائل المنظر ، يحيط به رواق تحمله أربعة صفوف من الأعمدة ، يتكون
منها ثلاث طرق يبلغ عدد هذه الأعمدة سبعين وثلثمائة ، أقيمت على هيئة
هندسية ، فلو وقف الانسان فى مركز هذا الميدان ، لحيل اليه أنه لا يوجد



میدان کنیسه القديس بطرس بربوما

إلا صف واحد من الأعمدة ، مما يدل على إحكام وضعها وبراعة تنسيقها . وفي وسط هذا الميدان اقيمت مسلة مصرية ، بجانب نافورتان تقذفان الماء بشكل بهيج ومما قيل لنا عن هذه المسلة ، انها وقعت على الأرض فحطمت قريبا من قاعدتها ، فأقامتها بركة البابا ليلا ، وقد أصبح أهل رومة وهم ينظرون اليها كأنها لم تصب بسوء ، فكانت موضع غرابة واعجاب تدل على مقدار تصرف البابا بالأموال

وعرض واجهة الكنيسة يبلغ نحو مائة واثني عشر مترا ، ولها سلم عريضة جدا ، توصل الى باب الكنيسة المصنوع من البرنز الدقيق الصنعة ، وعن يمينه باب آخر مسدود بالرخام يسمى الباب المقدس . يفتح كل خمس وعشرين سنة مرة ، ويعتقد فيه أن الدخول منه يوصل إلى الجنة مباشرة ولذا يقصد الحجاج رومة إبان فتحه للحصول على هذه النعمة . ويوجد باب مثله بكنيسة (مارى بولص) التي سنتكلم عليها فيما بعد . واذا عجبت لشيء في حياتي فعجبي عظيم جدا لرؤية داخل هذه الكنيسة التي جمعت كل انواع الفن التصويرى والتمثالى ، وضخامة البناء وزخرف الحوائط وارتفاع القباب التي يعجز الكاتب القدير عن وصفها ، وما تدل عليه من الرموز الدينية التي تدخل في القلب روعة وجلالا . منها تمثال من البرنز (للقديس مارى بطرس) جالسا على كرسي البابوية وقد بليت أصابع رجله اليمنى من التقيل . ويبلغ طول هذه الكنيسة نحو مائة وسبعة وثمانين مترا في عرض مائة وسبعة وثلاثين مقامة على أعمدة ضخمة ، مرتكزة على قواعد عظيمة من الرخام تشبه عمد جامع الرفاعي بمصر مموه أسفله وأعلىها بالذهب ، تماثيلها من الرخام القديم

الأبيض والمرمر وجميع سقوفها مغطاة بالذهب ، وحوائطها محلاة بالتماثيل الدينية الكثيرة التي تعد من أعاجيب فن التصوير ، وبها ألواح معلقة بحوائطها تمثل أهم أدوار حياة المسيح والحواريين والقديسين وكلها من القسيساء فيراها الناظر كأنها زيتية وليست بزيتية . وعن يمين الداخل عرش مرتفع عظيم الأبهة والجلال ، به صورة السيدة مريم أمامها الشموع المضاءة ليل نهار في انابيب من الذهب والفضة . وفي وسط هذه الكنيسة قبة مرتفعة تحملها أربعة أعمدة حازونية الشكل من البناء ، وتحتها سرير من البرنز أيضا به أربعة أعمدة من البرنز المذهب وتحتها المكان الذي يقف فيه البابا وقت الصلاة ويسمونه المذبح وهو خاص بصلاة البابا وبالعرش خارجة كالكنة (الترسينة) يشرف منها البابا ليلقى مواعظه ونصائحه وارشاداته على الشعب

وقريب من هذه القبة دائرة عظيمة في ارض الكنيسة محلاة بجوانبها بفروع من الفضة المموهة بالذهب . منارة بالشموع ليلا ونهارا ، في أحد جوانبها باب إذا نزل منه الأتسان نحو عشر درجات يرى أمامه بابا صغيرا إذا فتح رأى فيه صورة السيدة مريم والمسيح من الذهب عليهما تاجان من الأحجار الكريمة وأمامهما صندوق من الذهب الخالص ، توضع فيه التذورات والصدقات والنور الكهربائي من خلفهما يزيدهما بريقا ولمعانا يخطف الأبصار . ومن حسن المصادفات أننا رأينا عروسين وراءهما جمع كبير قد قصدنا إلى هذه الدائرة ونزلنا إلى الحجرة التي فيها صورة السيدة مريم والمسيح وجثوا أمامهما يؤديان الاخلاص الزوجي وباركهما القسيس القائم بحراسة هذه الحجرة وقبل أن يبرحا المكان أديا التحية لهذين التمثالين بخشوع وخشوع تامين

مع من يصحبها من الجمع فكان المنظر جميلا مؤثرا . وأدهشني كثير أمارأت من تخضع الناس وخشوعهم أمام التماثيل الدينية الرمزية والتفاني في اعتقادها كأنها تضر وتنفع مما نسميه عبادة وثنية عندنا . وإنك لترى ذلك المعنى ماثلا في خروج الناس بعد الزيارة إلى الورااء موجهين أنظارهم إليها بخشوع حتى يبعدوا عنها ولا ينصرفون إلا بعد أداء الركوع إليها من بعد

وفي جنوب الدائرة التي مر وصفها دهليز صغير يدخل منه إلى كهف فيه كثير من قبور البابوات وآخر (بابا) رسمت صورته من المرمر ووضعت فوق غطاء الصندوق المدفون هو فيه واضعا ذراعيه علي صدره بهيئة صليبية وفي نهاية الكنيسة من الجهة الغربية عرش كبير جدا يكتنفه من الجانبين أربعة تماثيل من البرنز المموه بالذهب تدل على العظمة والرهبنة . ويمتد من هذا العرش طرق كثيرة محوطة من الجانبين بسياج من الخشب مثبتة فيها مقاعد يجلس فيها المطارنة والقسوس والعظماء حين يمر البابا من هذا العرش إلى العرش الذي مر وصفه ليصلي فيه والشعب أمامه ينتظر دعواته الصالحة وتبركاته . وأرض هذه الكنيسة جميعها من الرخام الجيد يبلغ مسطحها ستين ومائة وخمسة عشر ألف متر . ويقال إنها تسع خمسة وعشرين ألف نفس . وأغلب ما بها من التماثيل يدل على رموز دينية تاريخية تبين فضل البابا وتسلطه على الملوك والعظماء وانتصاراته الإلهية التي تدل على مكانته واحترامه ونصر الله له على جميع مخالفيه من الملوك وأتباعهم إليه صاغرين خاضعين لما يروونه من المعجزات البينات التي تدعو المخالف إلى الطاعة والخضوع والخشوع كرسم ملاكين عظيمين خلف البابا أحدهما شاهر سيفه والثاني قابض على مطرقة يهددان مليكا خالف رأيه . وهو يتضرع

اليهنا ، ويرجع الى البابا ليغفر له خطيئته مخالفته جاثيا على ركبتيه مادا ذراعيه
يتوسل اليه بأنواع التوسلات . ثم سرنا حتى وصلنا إلى باب كبير في ناحية
الكنيسة من الجهة الجنوبية داخله يدفع خمس ليرات يرى مافيها من النفائس
والمعائب والهدايا . فدخلنا فيه فرأينا نحو سبع حجر يقف الانسان أمام
مافيها حائراً مذهولاً . بها جميع هدايا الملوك والامراء والعظماء إلى الباباوات
في العصور المختلفة . وبها أيضا ملابس البابا التي يلبسها في الحفلات الرسمية
الدينية . وكذا لبس المطارنة والقسوس كلها آية في الغرابة والابداع .
وأغلب تيجان البابا محلاة باحجار الماس الكبيرة وأنواع الاحجار الكريمة
لتي يقل نظيرها وكل ملك من ملوك الأرض له هدايا للبابا حتى ملوك
عثمانيين والنديين بمصر وهذه النفائس الغريبة تقدر بملايين الجنيهات
ولا أبالغ إذا قلت إنه مهما منح الانسان ذقة الوصف واتقانه فليس في مقدوره
أن يصل بوصفه الى تمثيل الحقيقة ومن أراد الوقوف على الحقيقة فليشاهد
بنفسه ليرى مالا عين رأت

ثم صعدنا فوق سطح الكنيسة ومنه دخلنا بابا يوصل إلى سلم
عددت درجاته فالفيتها عشرين واثمائة درجة ولقد كنت قوانا في صعودها
حتى إذا وصلنا إلى نهاية علوها الشاهق أشرفنا على رومة وضواحيها فرأينا
الشوارع والناس تسير فيها كأسراب النمل ورأينا حديقة البابا الخاصة
التي يقضى فيها أوقاته غاية في الأبداع والاتساع سنتكلم عنها عند ذكر
قصر الفاتيكان

وعلى الجملة فأن كنيسة ماري بطرس تعد من عجائب الدنيا ولا ينسنى
لواصف أن يدخل وصفه إلى نفس القارىء مهما أوتي من القدرة على الوصف

فأن ماتحويه من الزخارف والنفائس والهدايا التي قدر بعضها بنحو مليوني جنية لهواً كبير دليل على تقدير الناس وتعظيمهم لهذه الكنيسة دون سواها

كنيسة ماري بطرس

هي أهم كنيسة بعد كنيسة ماري بطرس ، التي مر وصفها ، وهي في ضواحي رومه ، وصلنا اليها بعد نصف ساعة بالركبة الكهربائية (الترام) ، خارجة عن سور المدينة القديم ، وهي من أعمال قدماء الرومانين ، احترقت مرتين في حوادث سياسية وأعيد بناؤها بشكل جميل يشبه بناء الجوامع الاسلامية . أقيمت على خمسة وثمانين عموداً من الأعمدة الضخمة الصوانية والرخامية . بها بهو عظيم جداً مستطيل على جانبيه صنفان من عمد الضخمة وبها خمسة أروقة منها الرواق القائم على هذه العمدة بأعلاه صور جميع البابوات بهيئتهم الطبيعية وأزيائهم المتنوعة في عصورهم المختلفة ، زخرفت صورهم بالنسيفساء مرتين بحسب قدمهم من ظهور أول بابا إلى البابا الحالي . وقد هيئت عدة أمكنة لوضع صور من يموت في المستقبل من البابوات وهي لا تقل عن الثلاثين مكاناً داخلية في الحائط ومحاطة بدائرة من نحاس أصفر . وبالقرب من الباب عمودان عظيمان من الرخام الأصفر الجميل الشكل أهدهما إلى البابا والى مصر محمد علي باشا الكبير مع أربعة أعمدة صغيرة وعدة ألواح أخرى وكلها من نوع الرخام الذي بنى منه جامع القلعة . وبها عشرة شبائيك كبيرة من الزجاج الملون عليها رسوم القديسين والملائكة ورجال الدين دالة على حياتهم الدينية وأعمالهم . وبها عدة مذابح منارة بالشموع . وفي جميع نواحيها التماثيل الدينية الكثيرة وصور عدة للسيد المسيح والسيدة مريم

وسقفها مسوّه بالذهب الوهاج وليس بها مقاعد ولا كراسى مثل بقية كنائس رومة فالناس فيها يحضرون الصلاة وقوفاً أو ركوعاً ومدخلها من أحسن مداخل الكنائس عظمة وجلالاً رسم على أعلى بابها من الخارج عدة صور جميلة تمثل بعض الخواريين ورجال الدين المشهورين يرعون الأغنام ويدأون منها الكسير والمسيح يرعى الجميع من فوقهم وعن يمينه ويساره رسولان من رسله المقربين اليه وبالجملة فهي غاية في الابداع وحسن المنظر لها جلال وعظمة خاصتان بها لا توجدان في كنيسة أخرى

كنيسة ماري هنا

هى الثانية من الكنائس القديمة أمامها متنزه واسع غرست فيه أنواع الأشجار والأزهار يقصده كثير من الناس لاستنشاق الهواء النقي وإذا دخلت هذه الكنيسة يهولك منظر ما فيها من التماثيل الرمزية الدينية المختلفة أنواعها وأشكالها

ويقابل الداخل من الباب ثلاثة سلالم الوسط منها مقدس لا يصعد فيه الإنسان إلا جاثياً على ركبتيه يقبل ما أمامه من درجاته فيعاني في ذلك صعوبة كبيرة. وهكذا يستمر في الصعود وتقبيل أرض الدرجات حتى يصل إلى النهاية، وقد عدتها فالفيتها نحو الثلاثين درجة والناس يفعلون ذلك لاعتقادهم أن المسيح صعد منه، وقد رأيت ستة من الرجال والنساء يصعدون عليه بالهيئة المتقدمة فاستوقف نظرى هذا المنظر الغريب الذى يدل على وجود الخزيلا ن الدينية فى عقول بعض الناس مع انتشار العلوم الحديثة وعدم

الاكثر اثبخرافات الأديان القديمة التي كانت تسوق الناس سوق الأغنام
إلى أعمال لا تنطبق على عقل ولا دين

ولما كان ذلك مخالفا لتعاليم الدين الاسلامي صعدت في أحد
السلمين الآخرين

وقد أخبرنا أن درجات هذا السلم المقدس كانت بقصر حاكم أورشليم
أيام المسيح وقد كان صعد عليه وقت محكمته ثم نقلتها الى رومة القديمة
هيلانة . ولشدة تقديس القوم لهذا السلم لا يسمحون لأحد بالصعود عليه
إلا جاثيا على ركبتيه حتى إذا صعد إلى أعلاه نزل من أحد السلمين المجاورين له

كنيسة السيدة مريم

هي خلف بناء الجندي المجهول ويقال إنها أول كنيسة شيدت برومة
باسم السيدة مريم . بردهتها الواسعة كثير من التحف والتماثيل والنقائس القديمة
ماليس له مثيل في كنيسة ماري بطرس . وشكل مبانيها ونظامها وهيئة تماثيلها
تخالف بقية الكنائس الأخرى من حيث دقة التماثيل وعظمتها . بها مذبح
عظيم أقيم فيه تمثال للسيدة مريم غاية في العظمة والجلال لا نظير له في
الكنائس التي زرتها فاذا وقف الانسان أمامه شعر برهبة واحترام ، يجلس
أمامه راهب قدأكل عليه الدهر وشرب بازائه صندوق توضع فيه النذور
والصدقات وكثير من الزائرين يقبلون يده . ومما لفت نظري في هذه الكنيسة
حجرة صغيرة يحرسها قسيس لا تفتح إلا بالطلب محلاة بالنقوش البديعة
غاية في الزخرفة والجمال يقابل الداخل باب صغير في نهايته فتحة لنا القسيس
فانكشف عن حجرة صغيرة منارة بالشموع وبها تماثيل ليوסף النجار

والسيدة مريم وبينهما تمثال يمثل المسيح وهو صغير وقد أدار القسيس يدا
جعلت تمثال المسيح يخرج من بينهما أمامنا

وهنا يأخذك العجب ويستوقف نظرك التاج الذى على رأسه الموضع
بالماس الكبير والأحجار الكريمة اللامعة التى تخطف الأبصار بريقها
ولمعانها، ويكسو جسمه طبقة كبيرة من أنواع الحلى من سلاسل وساعات
ذهبية وخواتم وخلائيل وجميع ما يمكنك أن تتصوره من أنواع الحلى
المستعمل الآن

وهذه نذور وهدايا قدمت لتمثال المسيح وهي تقدر بمبالغ طائلة اذا
استعملت فى عمل عادت بالفائدة وأنقذت كثيراً من الفقراء وأهل الحاجات
والمعوزين

هذا ولو أردت استقصاء كنائس روما ووصف ما فيها لاستحال على
ذلك، ولغات الغرض من هذه العجالة ولا يتسنى لشخص أن يأتى على وصف
حوالي ثمانية كنيسة تحويها روما وحدها وكل كنيسة مختصة بميزة لا توجد
بالأخرى لأنها بنيت يوم أن كان للدين سلطان قوى على النفوس واحترام
أكبر شأنًا وأعظم قيمة منه فى العصر الحالى. وليس فى الامكان الآن أن
يؤثر الدين على الناس فيغيرهم كما اغراهم قديما لجمع القناطير المقنطرة من
الذهب والفضة فيشيدون بها كنائس تشابه كنائس رومة وغيرها من الكنائس
التي لا تعد ولا تحصى فى أوروبا خصوصا فى إيطاليا وروسيا

ولقد شاهدت من أهل روما حين زيارتهم الكنائس ووقوفهم أمام
الهياكل والتماثيل خاشعين خاضعين تائبين فى بيمار الأفكار كأنهم فى يوم
حشر أكثر مما يدعوا اليه الدين لأن ذهاب أصابع رجل تمثال نارى



صورة المسيح مغطى بالاحجار الكريمة

بطرس من تقبيل الزائرين وصعود الناس جاثين على ركبهم في بعض سلم الكنائس وتقبيل أحجار درجاته وعدم السماح لاي زائر بالنزول منه ولا الصعود فيه إلا بالهيئة التي مر ذكرها، ووفود الناس من جميع جهات الارض لحضور فتح الباب المقدس في كنيسة ماري بطرس واعتقادهم ان المرور منه يوصل إلى الجنة مباشرة وغير ذلك من الأعمال البعيدة عن التعاليم الدينية السماوية على اختلاف أنواعها. وكنت أعتقد أن بعض عامتنا حين زيارتهم للأضرحة يأنون بأعمال ليست من الدين في شيء وأنهم انفردوا بها دون غيرهم من الأمم الأخرى فإذا بهم دون غيرهم بمراحل كبيرة وإن أعمالهم وخرافاتهم إذا قيست بأعمال أهل إيطاليا مع انتشار التعليم في بلادهم وتقدمهم ورقبيتهم لاتعد شيئاً مذكوراً

قصر الفاتيكان

قصر الفاتيكان أكبر قصور العالم، له مدخل بجوار كنيسة ماري بطرس غاية في الفخامة والمظامة، محروسة أبوابه وطرقه وردحاته الواسعة بمجنود ضخام الأجسام، حسان الوجوه، لهم أزياء مختلفة، وأشكال متنوعة والقصر فسيح الأرجاء، لا يدرك الطرف آخره، لسعته وكثرة مبانيه الداخلة والخارجة، يحوى نحو ألف حجرة تختلف ضيقاً وسعة، كلها آية في الزخرف والجمال، إلا أنها غير متناسقة الأجزاء، فإنها لم تكن دفعة واحدة وعلى نموذج واحد، بل بنيت أجزاء متفرقة، في أزمنة مختلفة، ولذا لا يجد الزائر تنسيقاً وترتيباً ونظاماً، ما يجده في القصور الأخرى، ولكن مهارة مهندسيها جعلت هذا النقص غير ظاهر

كان هذا القصر صغيرا ، وكان مع صفوه مسكن البابوات ؛ لان الدين على بساطته وتعاليمه القويمة ، كان مرتبطاً بالنفوس اشد الارتباط ، وكان البابوات بعيدين عن زخارف الدنيا ، متجردين عن حطامها ومتاعها ، سائرين على قدم السيد المسيح ، فقد سئل مرة عليه السلام لماذا لم تبني لك دارا تأوى اليها فقال ما معناه هل يحسن بالمسافر أن يبني دارا في طريق سفره ؟

واهم ما فيه مصلى لاحد البابوات ، يسمى (سكستين) نسبة الى البابا سكست السادس الذي شيده ، وهو غرفة مستطيلة يبلغ طولها نحو عشرين مترا في عرض أربعة عشر ، جدرانها مغطاة بنقوش اشهر النقاشين مثل (ميشل انج) يمثل فيها كيفية خلق الدنيا ، كما ورد في التوراة ، وخلق حواء من أضلاعه والملائكة من حوله ، وسفينة نوح وهي تمخر عباب البحار ، وكيفية رسوها على الجودي ، وغير ذلك من خيالات المصورين .

وبجدرانها تاريخ موسى عليه السلام ، وتاريخ المسيح وصلبه وتقيده وسيلان الدم من رجليه ، وصعوده الى السماء .

وللقصر باب آخر خلف كنيسة ماري بطرس ، وهو الذي أعد لدخول السائحين ، يدفع الداخل منه خمس ليرات ، ليرى ما جمع من تحف أهم بلاد الآثار ففيه عدة حجر كبيرة جعلت للآثار المصرية ، غاية في الابداع تبذل كل الآثار جمالا ، وبه بهو مستطيل جدار رسم فيه كثير من الصور الرمزية والحوادث التاريخية ، والواح كثيرة كبيرة متنوعة ، رسمت فيها الاشكال والازياء قديما ، وعدة اواح كبيرة أيضا ، رسمت فيها أشهر أنهار

العالم ، حتى النيل بفروعه القديمة ، موضحا فيها ، كيفية الملاحة بالسفن الشراعية. واذا نظرت الى بعض صورهِ من بعد ، تخيل اليك انها حقيقية وتماثيل من الرخام والمرمر والجص متنوعة كذلك بل لاحصر لها ، وفي نهاية هذه الردهة الطويلة التي يبلغ طولها نحو الخمسين مترا عدة حجر يفتح بعضها في بعض ، غاصة بالصور والتماثيل الغريبة ، التي تدل على كثير من الحوادث التاريخية ، وعلى كيفية تسلط البابوات على جميع العالم وايمان الناس اليهم صاغرين خاضعين وفي بعض هذه الحجر عدة مصورين ، رخص لهم في نقل بعض الصور ، فتراهم مجدين ، لا يلتفتون الى الزائرين لكثرة تأمهم ، وحصر افكارهم فيما يصورونه .

ومما هو جدير بالذكر من هذه الصور الكثيرة المتنوعة صورة حريق في احد محال رومة يندلع لهيبه ، والناس يفرون منذهلين خائفين . تلوح على وجوههم سماء الذعر والاضطراب والبابا يشرف عليها من حجرة فوق كنيسة ماري بطرس ، مشيراً الى النار باصبعه ، فتأخذ في الهبوط حتى تخمد ، مما يدل على مقدار اعتقاد الناس فيه وعلو منزلته عند الاله

وبهذه الحجرة عدة صور تمثل العلوم الرياضية والحكمة والفلسفة ، واللبابوات أن يفتخروا بما جمعوه في قصرهم من معجزات الفنون الغريبة ، التي لا تعد ولا تحصى ، مما يحسد على الامراء والعظماء والملوك ، لان من يكون لديه صورة من صنع المصور العظيم روفائيل او ميشيل انج يعتبر نفسه اسعد الناس ، فما بالك بمن جدران غرف قصره وسقفها مغطاة من صنع هؤلاء المصورين الذين بلغوا في فهم درجات الاعجاز ؟

وبقصر الفاتيكان مجموعة من الصور والتماثيل من صناعة الرومانيين

القدماء سواء وجدت في المعابد الوثنية ، او في اطلال رومة القديمة ، او في
مدينه بومبي، وتزيد كل سنة مما يستكشف من اعمال الرومان ، تدل على أن
المتأخرين من النحاتين والمصورين لم يأتوا الى الآن، بمثل ما أتى به الرومانيون
خصوصا ما وجد منها في مدينة بومبي ونقل الى متحف نابلي ، فان الواصف
يعجز عن وصف حسنها واتقانها وابداعها وجمالها الفني

ومما يلفت النظر حجرة كبيرة مقفلة لا تفتح الا في اوقات معينة ،
نزلنا اليها من الدور العلوى عدة درجات لا تقل عن الثلاثين ، آية في الغرابة
كانت مصلى لاحد البابوات ، مثل فيه الناس يوم الحشر ، وعرضهم على
الخالق ، وظهور الجنة والنار ، والمقترفون للذنوب في حالة الاضطراب
التي تعترى الانسان عند قدومه على أمر عظيم ، واهل الجنة ، يلوح على
وجوههم الفرح والسرور ، وقد اتاحت لنا فرصة لم تنح لبعض السائحين
وهي رؤية اصطبل البابا ، فترى على يمين الداخل سيارة كبيرة ، يطوف بها
البابا حديقته الواسعة ، التي تكاد لا تحمد اتساعا ، ثم رأينا نحو تسع عشرة
سيارة وعجلة ، مصفوفة عن يمين الداخل ويساره ، كلها آية في الزخرف
والزينة ، وكل عجلة داخلها كرسي مطلي بالذهب ، يجلس عليه البابا ، وامامه
كرسيان جلوس المقرئين اليه من الكرادلة ، وقد انتهى بنا المطاف الى ام
العجلات وواسطة عقدها ويبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة أمتار ، وهي مغطاة
من الخارج بالذهب ، ومحلاة بالتماثيل البديعة ، التي يعجز الواصف عن وصف
جلالها وعظمتها وهي التي يركبها البابا ، ايام الاعياد والاحتفالات الدينية ،
وقد رأينا سرجا أهدها السلطان عبد المجيد أحد سلاطين آل عثمان الى البابا
غاية في الجمال محلى جميعه بالذهب والماس الكريم الذي يخطف الابصار

بريقا ولمعانا، وكل هذه العجلات والسيارات لها سلم مظوى ينبسط عند ركوب البابا، فيصعد عليه ليجلس على الكرسي المعد له . وقد سمح لنا بالركوب في العجلة الكبيرة فداخنا حينئذ الغرور واحسنا الخلاء وإذا اشرفت على حديقة الفاتيكان من أعلى قبة كنيسة ماري بطرس رأيت حديقة لا يحدها البصر، بها كثير من التلال المكسوة سقوفها واعلاها بانواع الازهار والاشجار، تتخللها البحيرات الجميلة الترتيب والتنسيق، تحفها الخضرة النضرة والازهار الجميلة المتنوعة يصدق فيها قول شاعر الشرق الكبير شوقي بك

ولقد تمر على القدير تخاله والنبت مره زهت باطار

يقطع البابا وديانها وروايها، وانجادهها واغوارها، بسيارة خصصت للسير فيها، فهو يقضى أغلب أوقاته في متنزهاتها، مستغنيا بها عما عداها فلا يخرج للنزهة الا فيها، ولا يركب زورقا الا في بحيراتها ومجاريها، واعتقد أن أكبر ملوك الارض ليس بقصره حديقة تشابهها أو تدانها . فهي جنة عالية قطوفها دائية . اكلاها دائم . ظلها ممدود، وطاها منضود .

وبالجملة فالواصف القدير يعجز عن أن يوفي قصر الفاتيكان حقه من الوصف . مما يدل على مالالبابوات من السلطة على نفوس البشر، وعلى مقدرتهم التي فاقت مقدرة الملوك العظام، وعلى ما لهم من المسكنة والمنزلة في قلوب المسيحيين

السلطون ربوهم

عندما أشرف على ظاهر البناء من بعد يهواك منظره وبأخذك العجب لقيام الرومانيين بمثل هذا البناء الضخم . وتستدل منه على ما كان لهم من صبر وجلد وعلو همة

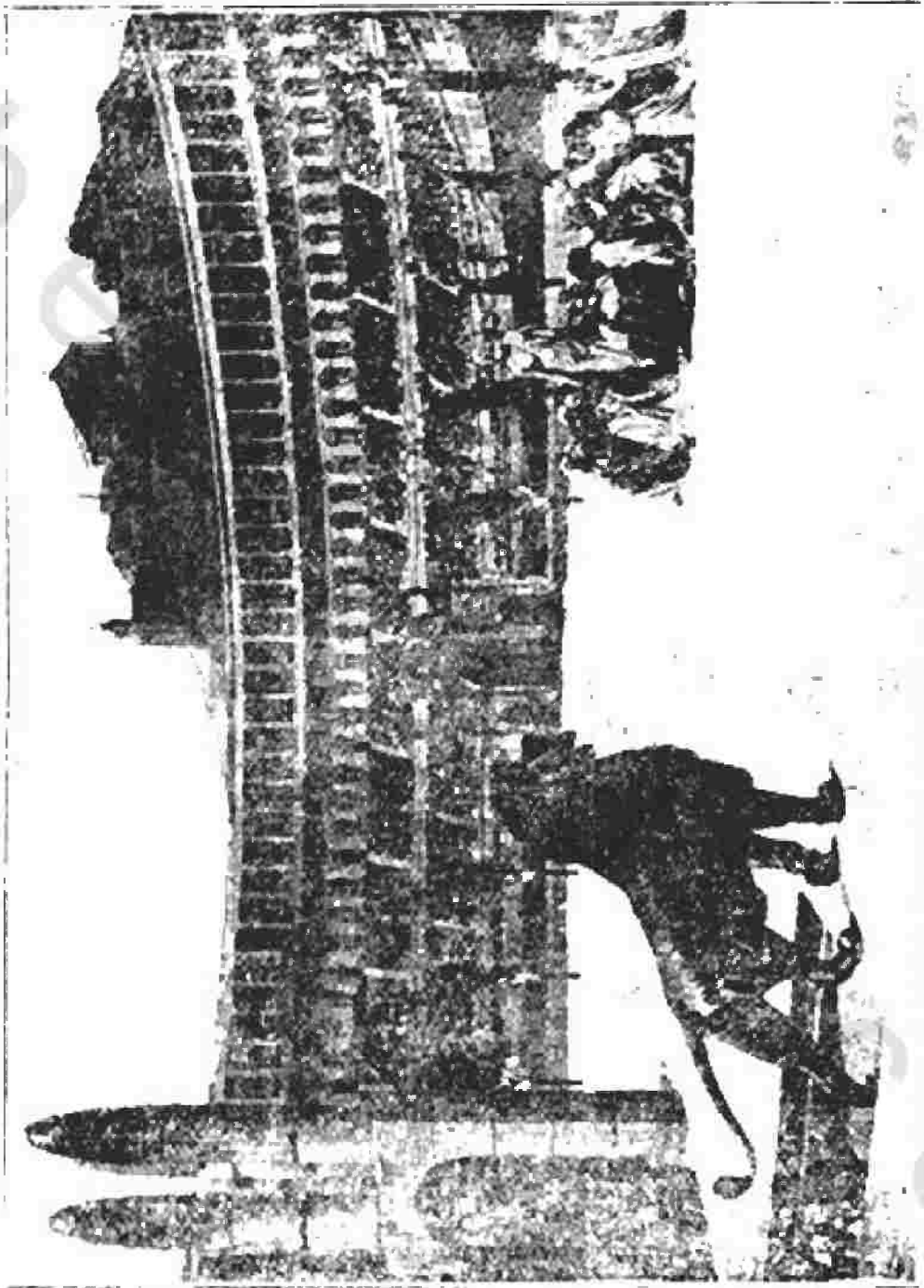
وهو بناء ضخم جدا شيد على هيئة اسطوانة ويبلغ ارتفاعه عن سطح شوارع روما ثمانية واربعين مترافى عرض سبعة وثمانين ومائة ، وهو يؤلف من اربع طبقات وفى وسطه مسرح يبلغ طوله نحو خمسة وثمانين مترا ، وداخله مدرج (انف تياترو) يسع نحو الخمسين الف متفرج ، وقد شيد خارجه بالاحجار الضخمة التى تقرب من احجار الاهرام بالجيزة ، وداخله بالآجر (الطوب الاحمر) وهو مقام على عدة حنايا (بواك) بنيت بالاحجار الضخمة ، يفصل كل حنية عن الاخرى ممر متسع يبلغ نحو ستة أمتار ، وله أربعة ابواب ضخمة جدا فى كل واحد منها سلم عريضة يصعد بها الانسان ليصل الى درجات المدرج داخل الكلوذيوم فيشرف على المسرح ، وبين كل حنيتين باب اقل ضخامة من الاول ، وكله نوافذ من الخارج ، تصغر كلما ارتفع هذا البناء حتى تصير كوة صغيرة ، ويخيل اليك بآدى ذى بدء انه قلعة عظيمة جدا ، شيدت لصد اكبر غارات الفاتحين .

وقد تهدم اكثره الآن ، واخذت احجاره لبناء القصور والكنائس كما اخذ منه جميع ما كان به من الرخام والبرنز والتماثيل ، وباسفله عدة اسراب ، شيدت بالاحجار الكبيرة ، اعدت لسجن اشد الناس اجراما وكذا لاعتقال الاسرى وبعض الحيوانات المفترسة التى اعدت لاقتراس

المذنبين والمجرمين . وقد كان الكلوزيوم مشهدا عظيما لاقتتال بعض المصارعين أو مصارعهم الوحوش الكاسرة ، فاذا تغلب المصارع على رفيقه وطرحه ارضا لايمسه باذى ، الا باذن من الشهود الذين اشرفوا على المصارعة فان كان المذنب قد احسن الدفاع عن نفسه ، اشاروا بالابقاء عليه ، وان اظهر الجبن والخور ولم يحسن الدفاع اشاروا عليه بقتله بلا رحمة ومن عادة المصارعين أن يحبوا الامبراطور عند دخولهم المصارعة بقولهم (ان الذين سيموتون يقرؤنك السلام)

وقد هيئت فيه امكنة لاعتقال المسيحيين وتعذيبهم وتقديمهم للوحوش المفترسة التي كانت تمزقهم شر ممزق ، على رأى ومسمع من الرومانيين . ولا تأخذهم بهم رحمة ، ليقتاعوا اصول الدين من نفوس هؤلاء المساكين ، الا ان هذا الاضطهاد وذلك التعذيب الشديد وتلك الاعمال الوحشية القاسية لم تأت بفائدة ، ولم تضعف من قوة هذا الدين ، الذى كانت تعاليمه الحققة عالقة بنفوس القوم ، بل انتجت عكس ما يريدون فانه اخذ ينمو شيئا فشيئا الى أن اعتنقه الامبراطور قسطنطين وزوجته هيلانه المعتبرة فى نفس القوم قديسة يتبركون بها ، ولها عيد مخصوص يحتفلون به كل سنة ، وقبرها برومة فى كنيسة (سان جوانى دى ليران)

وكذلك كان مستعملا لمصارعة الثيران كما هى الحالة فى اسبانيا الآن فكان ماهى للامبراطور وعظماء الرومانيين يقضون فيه وقتاً طويلا لرؤية هذه المناظر الوحشية ، يميلون طرباً ويصفقون عجباً لمشاهدة الدماء تسيل من الحيوان أو بنى الانسان وسمى (بالكلوزيوم أو كاسيوم ؛ لوجود تمثال نيرون الجبار فى جواره ، فقد كان يسمى « كلوس » أى الضخم العظيم)



داخل السكول يوم بروما

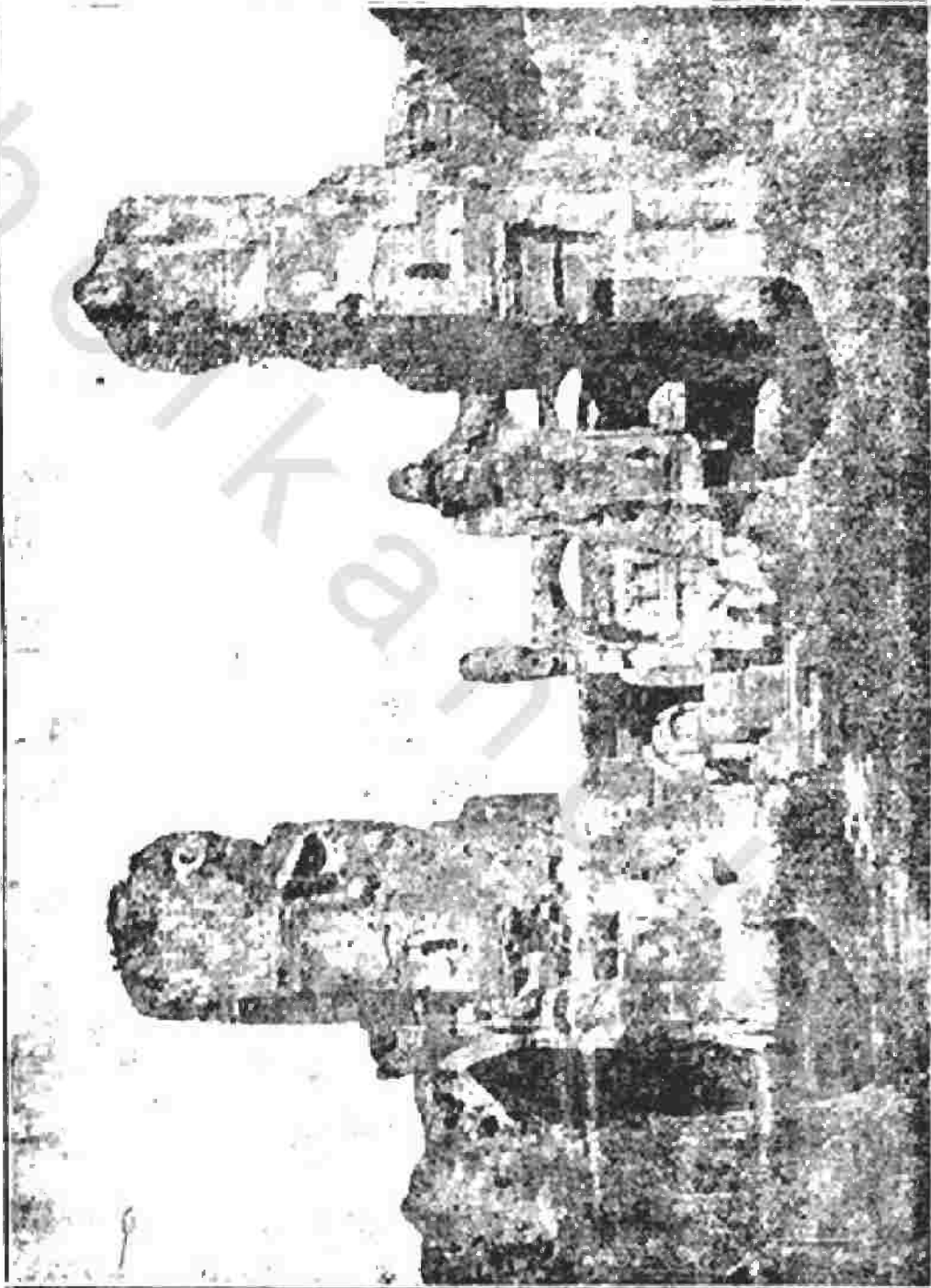
وهذا التمثال موجود الآن . ويقال ان الذى قام بتشييد هذا البناء العظيم هم أسرى اليهود .

على أنى لا أعجب كثيراً اذا ضاهيت هذا الاثر العظيم باهرام الجيزة العظيمة ، وآثارنا الكثيرة المنتشرة فى الصعيد وخامة القبور وزخرفها ، إلا ان هذا لا يمنعنى من الاعتراف الرومان القدماء بالسبق فى النحت والتصوير واتقان التماثيل والبلوغ بها فى الحسن والجمال الى درجة الاعجاز ، فان ما يوجد بقصر الفاتيكان بروما ومتاحف نابلى وفلورنس والكنائس وغيرها من القصور ، لما يحير الانسان ويجمله عاجزا عن وصف حسنها !

حمام الامبراطور كركلا

هذا الحمام الكبير الواقع فى أطراف روما يصل الانسان اليه بعد سير نصف ساعة بالجملة ، وقد امتطينا عجلة أوصلتنا اليه ، وهناك هالنى منظره لكبره وسعته وضخامة بنائه مع أن أكثره قد تهدم

يدخله الزائر بعد ان يدفع خمس ليرات (خمسة قروش صاغا) فىرى عن يمينه ردهة واسعة جداً ، تبلغ مساحتها نحو ستمائة متر ، اعدت خلع ملابس المستحمين كما أخبرنا بذلك المترجم وعن اليسار ردهة أخرى اكبر من الاولى اتساعا ، يدخل اليها الزائر من باب ضخمة عظيم الارتفاع والاتساع يناسب هذا البناء ، كانت تستعمل بعد الاستحمام للألعاب الرياضية بأنواعها وفى أعلاها عدة شرفات (بلكونات) يشرف منها الامبراطور (كركلا) والامراء والوزراء على اللاعبين . ومن هذه الردهة يصل الانسان الى بناء واسع خلفها ، يحوى أربعة مغاطس للماء ، مصنوعة من الرخام



حاجی کلا روم

في زوايا هذا البناء . ومن هذا البناء يفتح باب يوصل إلى ردهة واسعة جداً تبلغ مساحتها نحو سبعمائة متر ، تستعمل لرياضة النساء وألعابهن المتنوعة ، وقد رأينا فيه آثار فرن كبير ، يولد تياراً من البخار الساخن ، فيه يدهن الجسم بالزيوت العطرية ، ثم يدلك بطريقة فنية كالتي تستعمل الآن في بعض الأمراض ، وحمام حار وآخر بارد يستعمل للسباحة ، وكانوا يستغرقون في استحمامهم زمناً طويلاً

وقد كان للحمامات أيام الرومانيين شأن كبير فسكان الناس يقصدونها من جميع الجهات ، فيقضون فيها عامة اليوم ، وكان بها محال كثيرة للسباحة ومكاتب للمطالعة وقهوات وغير ذلك مما يسهل على المستحم قضاء يومه في سرور وفرح عظيمين

وحمام كركلا أكبر حمام وجد قديماً وحديثاً فإنه يشغل مكاناً مربعاً طول كل ضلع من أضلاعه ثلاثون وثلاثمائة متر في عرض أربعة عشر ومائة وكان به على ما ذكر بعض المؤرخين ستمائة والـ ألف حجرة أفراذية عدد الأروقة العمومية وكانت كل جدرانه مكسوة بالرخام وأرضه بالفسيفساء ، وكان مزينا بالنقوش والتماثيل البديعة وقد أفرغ فيه الإمبراطور أقصى همته ليجمعه أكبر ملهى يقصده أعظم الناس من جميع الجهات ولـ سكن لم يبق الآن منه شيء إلا حوائطه المتداعية وأرضه الوعرة ، ورخامه المتكسر ، سطت عليه يد الزمان فقوضت منه الأركان ، وامتدت اليه يد الإنسان فسلبته ما كان له زينة وغرا فأصبح في خبر كان بعد أن كان زينة البلدان

وقد كان يسم على ما قاله بعض المؤرخين ستة عشر ألف مستحم في

وقت واحد وكان أهل روما يقصدونه للهو واللعب والاستحمام وكذا ملوك نابلي للإقامة فيه بعض أيام تعد من أيامهم اللذيذة

القصر

مبنى عظيم الاتساع تتخلله عدة ردهات ، وطرق واسعة مقامة على عدة أعمدة من الرخام وغيره ، غاية في الفخامة والعظمة ، وهو منخفض عن سطح شوارع روما ، طفت عليه يد الحداثان فحطمته تحطبا وأخذ مافيه من العمد الكثيرة والتماثيل المتعددة لاستعمالها في تشييد الكنائس ، وبناء قصور الملوك ، ولم يبق منه الآن إلا انقاضه وبعض أعمدة محطمة فاذا اشرفت عليه من بعض نواحيه العالية رأيت عظمته وفخامته ، ينتشر السائحون في نواحيه ، يتأملون سمته ومبانيه . وقد رخص لكثير من المصورين ، في رسم ما بقى من اطلاله فتراهم منكبين على تصوير مناظره ، تارة باليد وأخرى بآلة التصوير الشمسى . شيده قدماء الرومانيين ليكون محل اجتماع أفراد الأمة للمناقشة والمباحثة في أمورها وأحوالها العامة ، وللانتخابات الدورية ، والمظاهرات السياسية وكل أمر يهم الأمة ويرقيها ويعود عليها بالفائدة المادية والادبية

وكان به عدة محال للعبادة ، وبعضها لاجتماع أشهر تجار البلد ، وبعضها لاجتماع كبار رجال الحكومة

ويشطره ممر كبير مرصوف بالأحجار ، وعلى جانبيه طواران (تلتواران) وعلى ذلك الممر أقيمت عدة أقواس للنصر ، أقامها الرومانيون عقب انتصارهم على الأعداء تخليدا لانتصاراتهم وبقاء لذكركم على ممر الدهور والاعوام

وبعضها باق للآن بحالة جيدة ، ترى على سطحه عدة نقوش ورسوم غاية في الابداع ، وهو قوس قسطنطين أول من اعتنق النصرانية من الملوك الرومانيين وهو الذى بنى القسطنطينية ، وقد ذكر بعض المؤرخين سبب نصرته نقله للقراء استطرادا (قالوا أنه كان يحارب منافسا له على الملك اسمه (مكسنس) وكاد هذا يتغلب عليه ، وقبل ليلة الموقعة الفاصلة، ظهر له السيد المسيح عليه السلام، ووعدته بالنصر والفوز إن هو اعتنق الدين المسيحى فاستيقظ قسطنطين من نومه معتقدا الوهية المسيح . فخارب عدوه فكان النصر حليفه فنصره هو وحيدته) ومن ذلك العهد ارتفع الضغط والاضطهاد عن المسيحيين ، وقد حول كثيرا من معابد الوثنيين الى كنائس وبنى هو كنيسة فى جانب من الفورم باقيا منها الى الآن ثلاث قباب غاية فى التناسب والزخرف ويقال ان كنيسة مارى بطرس بقيت على حالها

وعلى جميع سطوح الاقواس الباقية الى الآن نقوش بارزة ، تمثل الوقائع الحربية واقتصاراتهم المتعددة

ومابقى من تماثيل الفورم سائلا نقل اقله الى متحف الفاتيكان والى متاحف المدن الاخرى ، وهى اجمل ما فى المتاحف

وأغلب ما فى روما من اعمال الرومانيين القدماء خربته الامم الشمالية التى أغارت على رومة ، ومابقى منه امتدت اليه الايدى فسلبت محاسنه ، والبعض منه طمسته الاتربة والانتقاض ، وبقى زمنا طويلا ، حتى قام جماعة من المعرّمين بالبحث عن آثار روما القديمة فآخذوا يحفرون الارض ويرفعون الاتربة المتراكمة ، وأقاموا ما وجدوه من الاعمدة حتى يعيدوا اليه منظره وبهاءه ، ونقلوا كثيرا من النفائس ذات القيمة التاريخية

قصر الملك

يرى القصر من الخارج معطلا من الحلية ، والزخرف والتماثيل التي تكثر عادة في قصور الملوك ، خصوصا في إيطاليا ، إلا أن داخله يذهل العقل ويحير اللب ويستوقف النظر

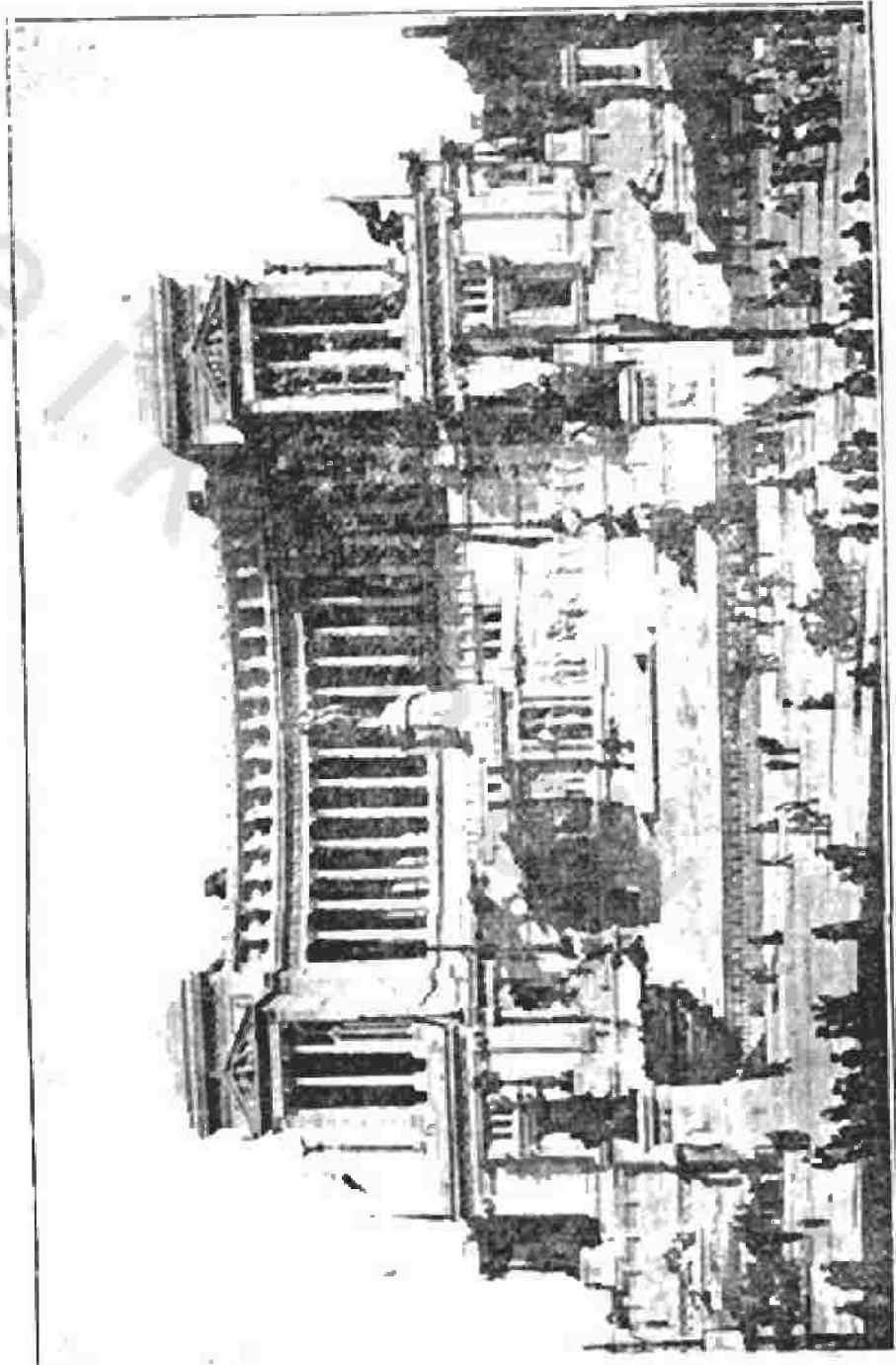
وللسائحين اهتمام خاص بمشاهدته ، ولكنه لا يفتح لهم الا مرتين في الاسبوع مقابل كل زائر ايرتين ، وانك لترى مدخله فخا جليلا ، وله سلم عريضة من الرخام البديع مكسوة درجاته كلها ، والترخيص يسبق الزيارة يوم أو يومين ، ويرى الزائر له حجرة هي غاية في الزينة والزخرف ، موهبة بعض جدرانها وسقوفها بالذهب ، محلاة بالتماثيل والصور البديعة الصنع والالتقان . ، والتي تدل على رموز مختلفة ، بين حرية ودينية وسياسية . وبالحجر الاثاث الفاخر من البسط والثريات الضخمة والطنافس والارائك والتحف التي لاتعد ولا تحصى ولا سيما في الحجر المعدة لجلوس الملك والوزراء فانها آية في الغرابة والابداع

وقد أدى بنا المطاف ، الى حجرة الجلوس بعد الفراغ من تناول الطعام وهي حجرة يقف الزائر أمامها حائرا ذاهلا ، لكثرة المرايا والتماثيل الكثيرة تحمل سقفها اعمدة محلاة بالذهب ، وكلما وصلنا الى حجرة نعتقد أنه لا يوجد أحسن منها ، فلا تلبث أن تظهر لنا الغرائب والمعجائب من حسن الحجر وزخرفها وجمال تماثيلها وتنسيقها وترتيبها ، ولذا تجد أبصار السائحين معالقة شاخصة الى سماء الحجر كأنهم قوم موسى ينظرون الى الصخرة التي هددهم البارئ بها ، لا يلتفتون الى من بجوارهم ، لكثرة التأمل والتفكير

وكيف وصلت يد الانسان وفكره الى ابتداء ما وجد فيها من التماثيل والصور والنقوش التي ترمز لحياة كثير من ملوك روما، وما كانوا عليه في حروبهم واحتفالاتهم وانتصاراتهم، ومن أين أتت كل هذه الاموال، التي ساعدت على إبراز هذا الحسن والكمال والجمال

والذي يلفت النظر بنوع خاص حجرة الملك التي فيها يقابل الزائرين، فان الواصف مهما اوتي من سعة الاطلاع ودقة الوصف، لا يتسنى له أن يوفيهما حقهما من الوصف. ولا تقل عنها كثيرا حجرة انتظار الامراء والعظماء. وما زلنا نتقل من حجرة الى حجرة وسط زحام السائحين تتناكب وتتسافد يدفع بعضها بعضا لشدة الزحام حتى وصلنا الى حجرة كبيرة جداً مستطيلة نعمة اعدت لصلاة الملك قد رسمت في صدرها صورة السيد المسيح عليه السلام، عن يمينه ويساره الخواريون بصور بديعة، يخيل للناظر اليها أنها خارجة عن الحائط وهي ليست بخارجة، ولذا كنت لأصدق أنها صورة حتى المسها بيدي، فتظهر لي الحقيقة كلها، وهي مصنوعة من الفسيفساء الجميلة. وقد دخلنا بعد ذلك حجرة واسعة مربعة الشكل، رسم على جدرانها صورة جرب الايطاليين والطاراباسيين، وكيفية انتصارهم وأخذ بعض أهل طرابلس رجالا ونساء وأطفالا وأمرأ وعظماء وقوادا أسرى بأزيائهم وعاداتهم، بحالة ذل وهوان وغير ذلك مما لا قدرة لواصف على وصفه، وتصوير حقيقته للقارىء. وبالقصر حديقة اشهرت في روما بالحسن والجمال وهي غاية في حسن التنسيق والترتيب

وقد كان معنا في هذه الزيارة كثير من المصريين، منهم حضرة الدكتور الشوربجي وحضرة اسماعيل محمد بك ممثل مصر في ايطاليا، وحضرة



« فكتور غروبى الثانى برهما »

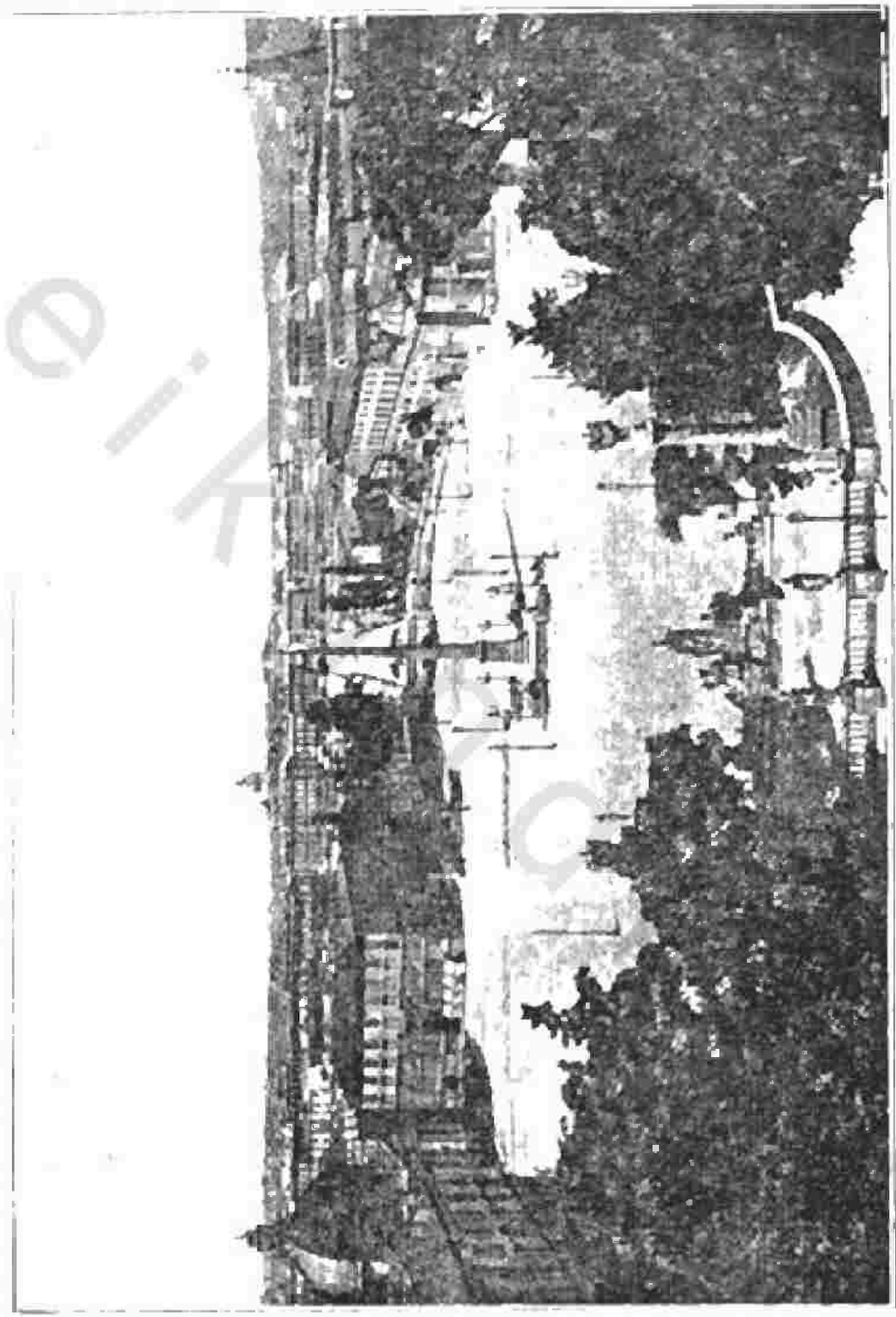
الشيخ الخولى امام السفارة فى روما، وان مافى هذا القصر من الصور والتماثيل والنقوش البديعة والزخرف والزينة لا يقل كثيرا عما فى قصر الفاتيكان

ميدان الشعب

ميدان فسيح الارجاء، متسع النواحي، واقع شمالى رومة، أقبمت فى وسطه مسئلة مصرية بجانب نافورتان تقذفان الماء من أفواه تماثيل من السباع. والمسلة مقامة على قاعدة واسعة جداً كالسطبة، يجلس عليها الناس، لمشاهدة صعود المياه من النافورتين المذكورتين، وفى شرقى الميدان وغربيه نافورتان أخريان يخرج الماء منهما على منبسط من النحاس (صينية) لينحدر من جميع النواحي، ويحيط بهذا الميدان سور من الشرق والغرب، أما من الجهة الشمالية فتفتح فيه ثلاثة أبواب ضخمة وسطها باب عظيم الاتساع، كان يقفل قديماً من الساعة السادسة مساءً، فلا يدخل أحد من أنسكان ولا يخرج، ويتفرع من جهته الجنوبية ثلاثة شوارع مهمة الاوسط منها أطولها وأعظمها، ويسمى شارع (الكورسو) وبه أهم الخوانيت المسكتظة بالبلع العالية، والقهوات الجميلة، فهو مركز حركة المدينة، وفى طرفه الآخر ميدان البندقية، وبه مجتمع خطوط التزام، وبالقرب منه هذا الميدان تمال هائل للملك فكتور عمانويل الثانى

وفى الشمال الشرقى من الميدان المتقدم متزه متسع جميل جداً يسمى (بتشو) غرست أشجاره الضخمة، وأزهاره الجميلة المتنوعة على تلال عالية؛

الميدان الكبير بدمشق



يصعد إليه بطريق حلزوني ، سهل الميل ، تصعد فيه العجلات بسهولة ،
وإذا صعدت إلى أعلاه أشرفت على المدينة كلها ، ورأيت سطوحها ومبانيها
تحت نظرك ذات منظر بهي جميل

مناظرة الامم في ميدان الشعب

وبعد تناول العشاء ذهبنا لنترى احتفال الامة والحكومة بمساعدة
الانسانية في اشخاص من اصابوا في الحرب بعاهات مستديمة ، فوجدنا
الشوارع الثلاثة الموصلة لميدان الشعب مسدودة بشاة من الجنود والشرط
الفاشستي ، لا يسمحون لاحد بالدخول الا بعد ان يدفع خمس ليرات ، اذا
لم يكن من الجنود ، فدفعنا ما يدفعه الاهالي ودخنا الساحة حيث كانت الساعة
التاسعة والنصف مساء ، فوقفنا في الساحة بين الجماهير الذين لا يحصون
عدداً ، وقد حدث من العامة في هذا الاحتفال الكبير الصغير والصراخ
والجلبة كما يحدث عندنا في الاحتفالات العامة

وما زلنا منتظرين بين هذه الجموع التي لا تقل عن مائة الف نفس
ما بين رجال ونساء واطفال ، والصغار يلحون في أثناء ذلك بالبدء في الالعاب
كما يفعلون في مسارح التمثيل عندنا حتى وافت الساعة العاشرة ، وهنا
انطلق مقدوف في الجو احدث فرقة هائلة ، اضطرب لها كل المتفرجين
ثم ابتدأت النيازك (السواربخ) تنابع ، كما يفعل عندنا في مولد النبي صلى الله
عليه وسلم ، وانما ظهرت أشكال وانواع في هذه الالعاب لم ارها من قبل ،
ظهر فيها صور راكبي الدراجات يتسابقون حول دائرة فتمهم من سبق ومنهم
من وقع ، ومنهم من عثرت دراجته فصار يعالجها معالجة كبيرة ، مما جعل

المتفرجين يفرقون في الضحك وبعضها تسبح الاسماك فيها ، وصور الطيور من النار تحلق في الجو . وفي لعبة ظهرت صورة الملك ، وبجواره السنيور موسولينى ورجال الفاشستى ، فاخذ الناس هنا فى التصفيق الحاد ، وغيره مما لفت الانظار . وفى أثناء ذلك تشق مقذوفات نيازك أخرى بطون الجو ويتولد منها عدة كرات مختلفة الالوان والاشكال ، تحدث فرقعات متنوعة ، ثم تنتهى بفرقة هائلة لها دوى يزعج الناس ويجعلهم ينكمشون من شدة دويها ، وتتخلل كل ذلك أنغام الموسيقى المشجية . ثم انصرفنا حين واقت الساعة الحادية عشرة ولم تنته بعد

فقلت بالله ما أسرع الأُمم المتمدينة الراقية الى مد يد المعونة إلى أبنائها البررة الذين فقدوا لذة الحياة من أجلها وأصيبوا بداء عضال فى ميدان التضحية والمدافعة عنها فهم الآن يقابلونهم بعطفهم ، ويخفقون ويلاثمهم بجودهم وكرمهم ، ويخفقون دموعهم بسخائهم وذهبهم ، ويردون غائلة الفقر عنهم بخنوعهم ، وينزعون من صدورهم الغل بمساعدتهم

فلم برهبرى

وبجوار ميدان الشعب متنزه (بورجيزى) وهو متنزه واسع لا يدرك الطرف آخره ، ذو اشجار ضخمة وأزهار كثيرة ، وطرق متسعة ، وحشائش هجة ، يقصده كل من يريد استنشاق الهواء العليل ، به محال للحيوانات البرية المتوحشة ، يحيط بها سياج من الحديد المتين ، وبه متحف جميل يدخله الزائرون مجانا ، فيرى فيه ما اخترعه اهالى ايطاليا من المصنوعات داخل بلادهم وخارجها ، مما يدل دلالة واضحة على ذوق الايطاليين فى الرسم والتصوير ، واعتنائهم بعرض ما يصنعه المهاجرون الايطاليون حتى يتمثل

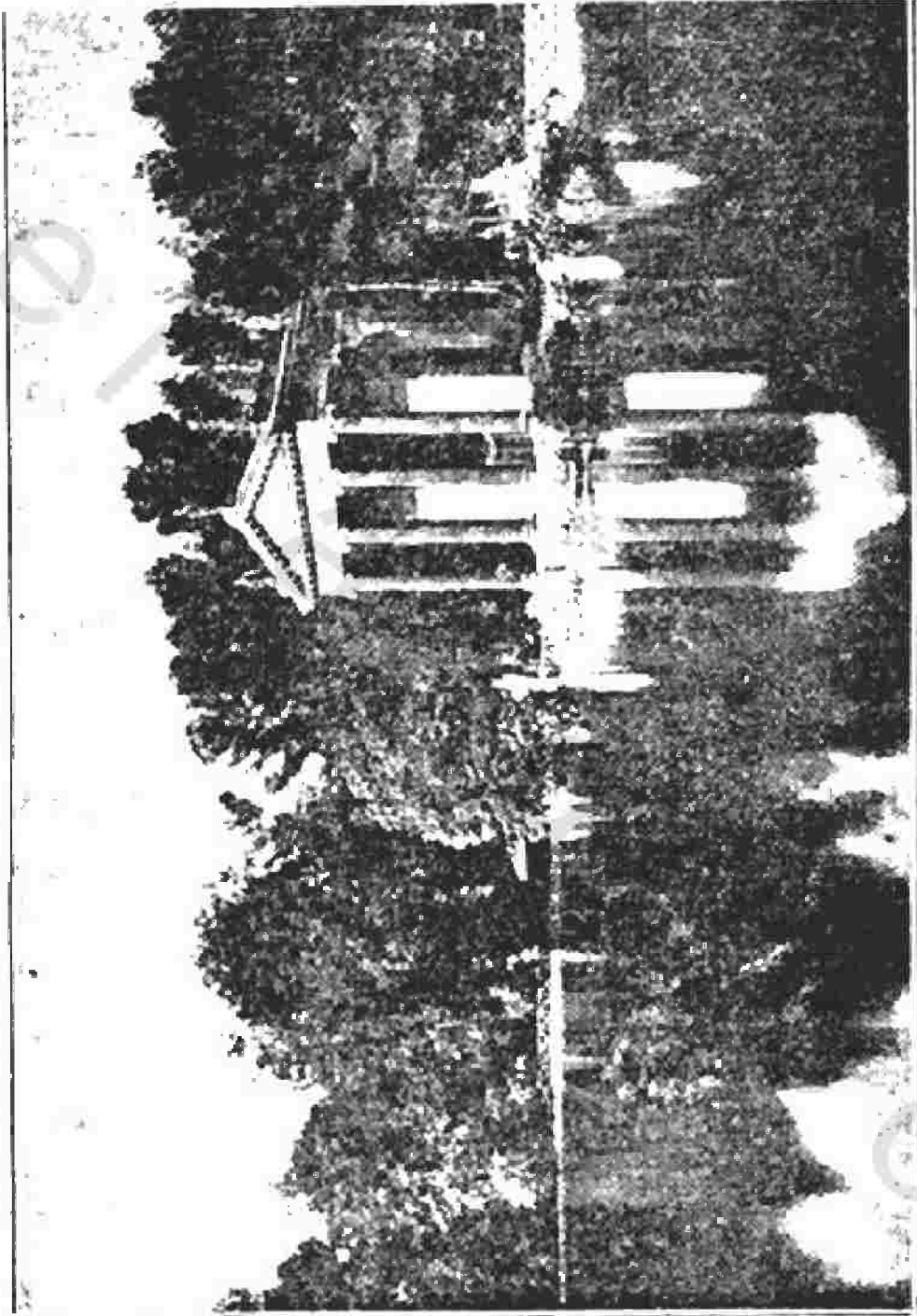
امام الناظر صورة الجمال الفنى الايطالى

والمتنزه كبير المرتفعات والمنخفضات داخله قهوات وبارات وملاهى كثيرة متعددة متنوعة ، وبحيرات تسبح فيها الطيور والاسماك ، وبه عاديات الرومان القديمة المشتعلة على أدق التماثيل واحسنها وأكبرها حجبا ، وتنتشر به الناس عصر انتشار الجراد يستظنون بظل اشجاره الوارف ويوغلون فى عطفاته ومنحنياته ، ويصعدون سلالم جميلة ليصلوا الى اشجاره وازهاره المغروسة فوق تلاله وهضابه ، ثم ينزلون من أخرى ، ويخترق فجاه المتسعة وطرقه المتعددة السيارات والدراجات والعجلات ، وقد يضل السائر فيه لسعته وكبره وكثرة مسالكه وتشعب طرقه

وقد عى بالجزء المجاور لميدان الشعب ، فنسق احسن تنسيق ، ورتب أحسن ترتيب وظهرت ازهاره بجالها البديع وروثها الجميل ، يشتمل على ابهى المسالك وأحسن الطرق المرصوفة بدقاق الحصى ومستوى الاحجار ، وأقيمت فى طرقه وجوانبه انغم التماثيل لا غاظم الرجال

ومن حسن المصادفة انى دخلته يوم الاحد وهو يوم احتفل فيه باعانة من أصابهم الحرب بعاهة مستديمة ، فانتشر فى طرقاته الشرطى الفاشستى بملابسه الزرقاء والسوداء ، فلبس حلة من الزينة ، وبرز فى ابهى مناظره ، وهم يغدون فى طرقاته ويروحون وقد عامت من هذا أن الاحتفال سيكون الليلة فى ميدان الشعب

وهنا اختتم الكلام على مشاهد روما مقتصرا على ما بهم القارىء ، مقرا بعجزى عن وصف ما رأيت معترفان تقصيرى لان للرومان من الآثار والمتاحف ما يملأ وصفها المجلدات



بجيرة حدیقه تر جیونی پروده

من روما الى فلورنسى

لما اعتزمنا السفر الى مدينة فلورنسى ركبنا عجلة من الفندق حين كانت الساعة الرابعة والنصف مساءً. ولما وصلنا الى محطة روما وأردنا الدخول لركوب القطار حجزوا بعض حقائبنا. وهذه أول مرة فيها تصدوا لنا في سفرنا فأخذوا الحقبة الكبرى. وجعلوها طرداً بعد أن دفعنا أجرها ست عشرة ليرة. ثم انتظرنا في القطار حتى وافت الساعة الخامسة والنصف. وكان هذا اليوم من أشد الايام التي رأيناها في روما. اذ كانت الاعاصير شديدة والجو مجاللاً بالغيوم. فانتظرنا منه شراً وقيلاً. ومطراً غزيراً. وقد قام القطار من المحطة التي لا تضارع محطة القاهرة نخامة وسعة وعظامة يخرق أرضاً ليست خصبة بل كلها تلال ووهاد ووديان ومزارع حقيرة، يرتعها البقر الأبيض الذي يشوب بعض جلده الكدرة والخيول الحمراء وبعض الاغنام. فتارة يعلو بنا وتارة ينحط، وأخرى يجتاز نفقا وطوراً يسير بين تالين عظيمين يكاد القطار يحف جوانبهما.

واذا نظرت إلى الأرض من بعد لا تجد بها جزءاً مدحوراً بل جبالاً. تلال ووهاد وجبال تكسو سطوحها الاشجار الكثيفة، والوديان تجري بها مياه الامطار، تقطع فجاجها على قناطر معلقة فوق مجاريها فيحدث من كل هذا منظر بهي، ترواح اليه النفس، وتسر منه العين. ولو سرحت نظرك في عمرانها لوجدت القرى الجميلة منتشرة على سفوح الجبال وفوق التلال وفي بطون الوديان، لها طرق ممهدة جميلة تحفها من جانبيها الاشجار الباسقة فيخيل اليك أن القاطن بها لا يشكو مرضاً ولا علة. تنتشر بها

المصاييح الكهربائية ليلا في طرقاتها وشوارعها فتحدث منظرا بديعاً .
ولو وجدت هذه القرى مع مناظرها وتلالها وجبالها في بلادنا لكانت
مصيفاً شهيماً ، تشد اليه الرحال من كل صوب وحذب

ولو ضاهيت قرانا بها لوجدت البون شاسعا والفرق عظيما : هذه
بؤرة القاذورات ، ومسرح الجرائم القتالة والأمراض ، وعنوان التأخر في
الصحة والأنحطاط ، بعيدة كل البعد عن كل معدات النظافة : شوارع
ضيقة وأزقة قذرة وأكوام من الأوساخ والاقذار متراكمة أمام المنازل
وفوق السطوح وفي كل ناحية سلكت ، أما تلك فهي عنوان الرقي
والحضارة ، شيدت على نظام بديع ، وترتيب جميل . تكاملت فيها شروط
الصحة . تحف بها الحداثق من كل جانب ، وتعلو نوافذها الأزهار
والاشجار الجميلة ذات الرائحة الزكية . يشتهى الإقامة بها كل انسان من
غير أن يشعر بسآمة ولا ملل

وبعد أن سار القطار بنا نحو ساعتين في تلك المناظر والمشاهد الجميلة
قصف الرعد وزجر ، ولمع البرق وأنذر . فاعقبهما هطول الامطار التي كانت
تكثر في طرقات القطار ، فتنسرب الى الحجر ، والسقف من فوقنا ينخر
والبرد آخذ في الشدة ، فامسينا في شتاء وبرد قارس

ولو كان القطار مزدحما بالركاب لأصبحنا في حالة ضيق وعناء لأننا كنا
ننتقل من المكان المبلل الى الجفاف

ولقد عجبت كثيراً للحكومة متمدينة من شأنها أن تسهر على راحة

الالة نهمل حالة السكك الحديدية الى هذه الدرجة المقوتة ، فلا تحتاط لمنع تسرب الامطار من سقف المركبات على الراكين ؛ مع علمها بكثرة حدوث الامطار في بلادها . وقد كان القطار بعد أن يقطع شوطا كبيرا يقف على محطات لا تضارع محطات بنها وطنطا وكفر الزيات وغيرها ، بل كلها قرى صغيرة ليست ذات قيمة ؛ خالية من كل أسباب الراحة : فلا تجد فيها من الباعة غير بائعى الخبز المحشو بلحم الخنزير (سندوتش) فاذا جامع المسافر فلا يجد ما يمسك به رmqه . ولقد ظمئت فبحثت عن ماء فلم أحصل الا على زجاجة ماء معدنى بعد انتظار كبير من محطة الى أخرى . وهذا الماء المعدنى لم اتمد شر به فكنت اتجرعه ولا اكاد اسيفه ولكن :

إذا لم تكن إلا الأسنه مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها
وتوجد مركبة أكل فى كل قطار الا أنها لا تفتح إلا فى مواعيد تناول
الطعام فالحصول على شىء منها متعسر فى غير تلك المواعيد

وقد أخذ المطر يزداد شيئاً فشيئاً حتى انهال علينا من فوقنا ومن تحت
أرجلنا فابتلت ملابسنا فوقفنا فى ناحية من المركبة تفاديا من الخطر وماء المطر
وما زلنا كذلك حتى وصلنا الى محطة فلورنس فى الساعة الثانية عشرة ليلا
فقابلنا مندوبو الفنادق على المحطة . فاخترنا ان نزل فى فندق (أنجلو امريكان)
فركبنا عجلة سارت بنا فى شوارع هادئة ساكنة قد بللها المطر ، فامست
لامعة بديعة المنظر ؛ حتى وصلنا الى الفندق . فقابلنا أحد المستخدمين
بنشاطه فتسلم حقائبنا بعد أن تقبدا الخوذى ثمانى ليرات . وأصعدنا فى
الرافعة الى الطابق الثانى . وأدخلنا حجرة جميلة الشكل مفروشة ببساط

جميل ففساننا وجوهنا ونمنا مستريحين إلى الصباح . وبعد أن استيقظنا من النوم وتناولنا طعام الافطار . قصدنا مدير الفندق لنعلم منه مقدار أجرة المبيت وقيمة طعام اليوم . فاخبرنا أنها ست وسبعون ليرة وقد كنا قرأنا في الجرائد أنها لا تزيد عن خمس وخمسين ليرة ، فاخبرناه بذلك ، ومازلنا به حتى اجابنا إلى طلبنا ، خاليا من ضريبة الحكومة والخدم ، وهى عشرة فى المائة لكل منهما . والفندق جميل جدا ، ومن أعظم الفنادق فى فلورنس من حيث الموقع والأجر والطهى . ولذا تجده دائما غاصا بالسائحين خصوصا الامريكان الذين لا يخلو منهم مكان . وجميع حجروه مفروشة بالابسطة الفاخرة ؛ وأسرته غاية فى الجمال والنظافة . بها صنبوران احدهما للماء البارد والآخر للساخن . وأثاثها من آخر الاثاث . وبه ردهة واسعة جدا ، تزينها عدة أشجار جميلة ومزف تعزف عليه الامريكيات ، ويرقصن على نغماته الشجية . وبه مكان مخصص لمطالعة الجرائد والمجلات ؛ وآخر لكتابة الخطابات ، وغير ذلك مما يريح السائح ويسر نفسه ويشرح صدره . وخدمه غاية فى النظافة والنشاط ، يلبون دعوة الداعى بنشاط ولطف . ومما يستحق الذكر أن أخلاق أهل فلورنس تخالف أخلاق أهل نابلى لما فيهم من اللطف والذوق والهشاشة وليس لهم جفاء أهل روما ولا فظاظة أهل نابلى . وأصحاب الحوانيت منهم يقابلون الزائرين بوداعة ، ويعرضون عليهم سلعهم بهمة ونشاط ورغبة ، ويريحون الشارى ويبحثون عن رغبته بدون ملل

من جميع أنحاء المسكونة ، لمشاهدة ما تحويه دورها من معجزات التصوير
والتمثيل ، واتخاذها نموذجا حسنا ينسجون على منواله

ولقد يشاهد المتجول فيها من بعد جبال الالب العظيمة ، تتقدمها
تلال وهضاب عظيمة على مقربة من المدينة ، وهى الضواحي التى اشتهرت
عنها ، بها قصور الاغنياء والموسرين من أهل فلورنس والاجانب خصوصا
الانكليز فانهم يقصدون هذه الضواحي فى أيام عطلتهم . ومن أحسن ما يرى
فى هذه الضواحي تمهيد الشوارع فى هذه التلال العظيمة بحالة معوجة
حلزونية ، بحيث يسهل فيها سير العجلات . فىرى السائر فيها مناظر بديعة
منوعة من صفوف الاشجار وتنسيقها والازهار وترتيبها التى لا نظير لها
فى مدن ايطاليا

وخارج هذه المدينة متنزه جميل مستطيل الشكل يسمى (كاشينى)
به كثير من الاشجار والازهار . يجتمع به خلق كثير لاستنشاق الهواء
النقى . وتصدح فيه الموسيقى ظهر كل يوم .

وبالمدينة من الطرف الآخر متنزه غرست أشجاره وأزهاره على
تل عال يصعد اليه الانسان فى شوارع وطرق معوجة بعضها فوق بعض .
تمكن الراجل والراكب أن يسير فيها حتى يصل الى قممها بعد دوران
كبير . وتصعد الى نهاية هذا التل المركبات الكهربائية . وقد ركبنا
قطاراً من قطر الترام فسار بنا بين خمائل وحدائق غناء . أغصان اشجارها
المشبكة تكون فوق رؤوسنا سقفا من الخضرة . فالسائر فيها تحفه
الاشجار والازهار ، كأنها تداعبه وترحب بقدمه . وما زلنا سائرين
مسرورين من هذه المناظر الجذابة حتى وصلنا الى أعلاه فالفينا فيه

ميدانا متسعا يسمى (ميشل انج) تمثاله قائم في وسطه غاية في الابداع ،
وقد اخذت صورتنا الشمسية فيه .

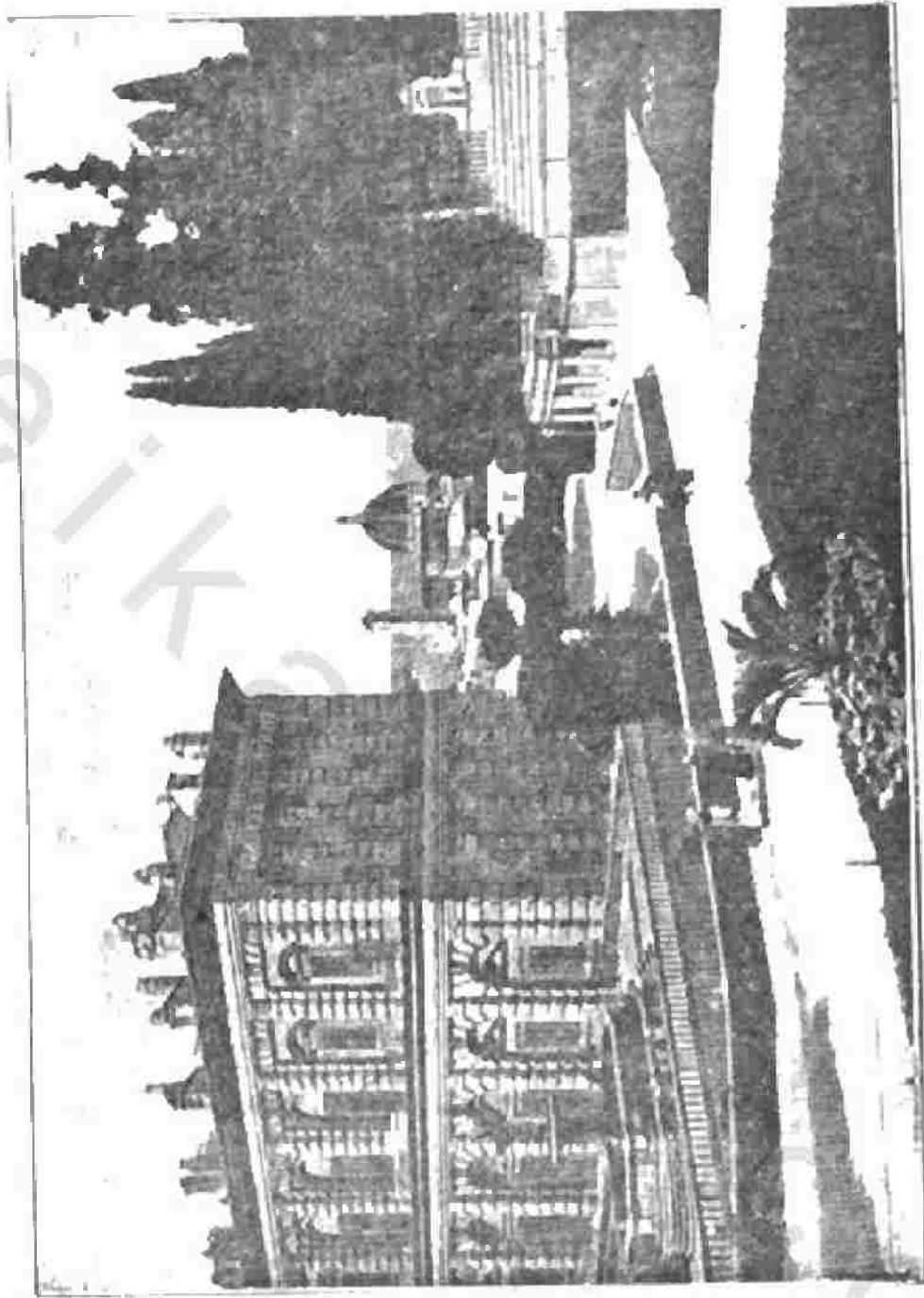
ومن هذا الميدان أشرفنا على جميع منازل فلورنس ، وهنا يسرك
منظرها الجميل ، وقد يتهيأ للناظر تحديد ها والاحاطة بجميع منازلها وضواحيها
فترى منظرا جميلا بديعا تقف أمامه ذاهلا . ومما يزيد الجمال والبهاء كثرة
الحدايق والازهار والاشجار التي تصعد متدرجة من أسفل التل الى أعلاه
والمنازل المنتشرة هنا وهناك على قفته وسفحه ، تشبه كثيراً منازل
سويسرا فوق سفوح الجبال وقممها . وللمنظر أثر في النفس لا يقوى الوصف
على وصفه فانه آية في الغرابة والابداع ، ولم اشاهد منظرا مثله الا في نابلي
وسويسرا فان المباني المنتشرة فيه بيضاء كاللحائم الحائمة

ويمكن أن يقال إن ضواحيها من أحسن المصايف في العالم يصح أن
يقصدها كل عليل ، ليستنشق هواءها الجميل ، وقد دعاني جمال المنظر أن
انزل من هذا الميدان راجلا فاتبعت طريقه المتدرجة الجميلة المحاطة بالاشجار
والازهار ، فاذا هي من أبهى ما يكون . ويزيد جمال فلورنس جمال ضواحيها
فانها من أحسن ما اكتحلت بمראה العين

أهم آثار فلورنس ومتاحفها

متحف بيتي

أول زيارة ابتدأنا بها في مدينة فلورنس متحف قصر بيتي الملكي .
وهو من أجمل القصور التي رأيته . يفوق من جهة الزخرف والزينة والنقوش
قصر الملك بمدينة نابلي وروما . وهذا القصر شيده تاجر قديم ذو ثروة



فصر دني مع الكيامة فلولوس

فلورنس

هذه المدينة واقعة في سهل منبسط ، ولذا تجدد شوارعها وطرقاتها
مستوية ، ليس بها ارتفاع وانخفاض كشوارع روما ، ممتدة من الشمال
الى الجنوب ، بين جبلين قد كسيت سفوحهما وقممهما بالاشجار الباسقة
يشقها نهر ارنو فيشطرها شطرين عظيمين ، تزين شواطئه المباني القخمة
والقصور المشيدة والاشجار الظليلة ، وماؤه هادئ الجريان ، يعبره الانسان
خائضا في بعض نواحيه ، ويربط أجزاء المدينة بعضها ببعض عدة قناطر
مقامة عليه تقابل كل شارع قنطرة يعبر عليها الى الجهة الاخرى

ومن أبهى القناطر وأحسنها قنطرة شيدت عليها المباني من ناحيتها
يمر وسطها شارع جميل فتحت فيه حوانيت كثيرة ، ملئت بالنفائس والجواهر
والحجارة الكريمة ، لان السامحين يعبرونها ، ليروا بعض الآثار في الجهة
الاخرى ، فيعرض أهل فلورنس نفائسهم فيشترون منها ما يروقهم

ويسمى الايطاليون هذه المدينة (فلورنس الجميلة) وهي جديرة بهذا
الوصف ، لانها من أجمل مدن ايطاليا . بها كثير من الدور الفاخرة التي
تنافس فيها اسرياء اهل ايطاليا قديما ، فظهرت فيها آيات الزخرف والزينة
والرسم والتصوير والنقش ، ولارباب الفن فيها من مثالين ونحاتين ومصورين
ذوق مشهور ، بها قبر المصور الشهير (ميشل انج) اكبر أساتذة
الرسم والنحت

وقد نبغ من أبنائها كثير من تلاميذه ، يقصدها اولو الفن والعرفان

طائلة عقب حديث دار بينه وبين محدثيه فى نخامة القصور وزخرفها ،
لخاف لىبنين قصر الانظير له فى ايطاليا ، فشيده وزخرفه وزينه ونسقه
حتى فاق جميع قصور الملوك فى رومة . وقد تم بناؤه فى القرن الرابع عشر .
وهو الآن ملك الحكومة ينزل الملك الحالى فى جناح منه حين زيارته
مدينة فلورنس . وان ما حواه هذا القصر من آيات الحسن والجمال لما
يدهش الناظر

وقد زرناه فى يوم كثير الامطار فى جمع كبير من سياح الأمريكان
وغيرهم . دخلناه من باب كبير يحرسه جنديان من الفاشست . والداخل
اليه يدفع ثلاث ليرات ، ويأخذ ورقة تسوغ له الزيارة . ثم صعدنا الى
الطبقة العليا وهى أهم ما فيه . تحوى حجره بدائع ونفائس الفن وشيئا
كثيرا من الصور الزيتية ترمز الى حالة دينية أو سياسية أو حرية أو
زراعية . وجميع 'سقفه مغشاة بالذهب . وفيه عدة دى متنوعة محكمة الصنع
بالغة من الاتقان كل مبلغ . وكل حوائطه مغطاة بالصور التاريخية من الجدار
الى السقف . وهى غاية فى الابداع والقيمة الفنية . وكلما انتقلنا من حجرة
الى أخرى أخذنا العجب لكثرة ما فيها من الصور الغريبة والاشكال البديعة
وكان فى أكثر حجره رسام أو رسامة من عشاق الفن . وكل مكب على
رسم بعض صوره البديعة . وبعضهم يبيع للسائحىن ما يريدون من الصور
واغلب المشترين من الأمريكان الذين يتفخرون باقتناء الصور والتماثيل .
وسقف كل حجرة من حجره قبو تزينه التماثيل الداخلة والخارجة فيه وكل
حجره تسمى باسم مأخوذ مما بسقفها من النقوش الخيالية فالاولى تسمى
قاعة المشترى والثانية قاعة آلهة الخصب وهكذا

وأغلب هذه الصور للرسام الذائع الصيت (روفاتيل) وقد تم في رسم عشيقته الجميلة التي هاجم بحبها زمنطويلا ، ويقال إن حبها من الأسباب التي قربت أجله ، فمات عن سبع وثلاثين سنة بلغ فيها من اتقان الرسم ما لم يباغ به رسام قبله ولا بعده . وقد احصى بعضهم صور هذا المتحف فبلغت نحو خمسمائة

وكل صورة من صورهم لها دليل يشرح تاريخها وما رمز إليها من المعاني الخيالية أو الحقيقية . وإن هذا القلم الضعيف ليعجز كل العجز عن وصف ما أبرزته يد الانسان من بلوغ درجة الاعجاز في الزخرف والزينة والتصوير

ولا أبالغ اذا قلت اذا أراد الانسان أن يقف على ما حواه هذا القصر الفخم فلا يتسنى له ذلك الا أن يحضر بنفسه ليشاهد ما لم يقو انسان على وصفه مهما أوتي من سلامة ذوق وحصافة عقل وفصاحة لسان وحسن بيان

قصر برونس فيكبير (القصر القديم)

بنى هذا القصر القديم في القرون الوسطى . وهو آية في الفخامة والعظمة . شيدته أسرة قديمة حكمت فلورنس عدة اجيال . دخلنا فيه بعد أن دفع كل واحد منا ثلاث ليرات . وبعد أن صعدنا على درجات سلم من الرخام قابلتنا حجرة كبيرة جدا مستطيلة الشكل ، مرتفعة السقف ، حيطانها وسقفها محلاة بالصور الزيتية . واكثر هذه الصور تدل على ما كان لهذه الاسرة

من الشأن الأكبر في الحروب ، وتغلبها على أعدائها . بعد اشتباكها معها في عدة معارك ووقائع هائلة . ومع ارتفاع هذا السقف فإن أبوابها واطئة جداً لا تناسب ضخامة هذا البناء ، وهي تشبه كثيراً الأبواب في المنازل الانكليزية

ومما يلاحظ أن سقفها قائم على الكتل الخشبية كما كانت الحالة قديماً وهي تدل على القدرة والعظمة والأبهة . وفي نهايتها الشرقية عند مدخلها تيجد بناء مرتفعاً قليلاً عن سطح الحجرة . ودخلنا حجرة أخرى بديعة الشكل والجمال والزخرف علق على حيطانها الواح من الخشب رسم عليها أشهر أنهار العالم ، ومن جملتها نهر النيل العظيم . وقد ارتاحت نفوسنا كثيراً لرؤيته . وسررنا لمشاهدته . وقد رسمت افرع الدلتا وترعها بحالة تخالف هيئته الآن . ويظهر أنه رسم بحالة تشبه حالته عند قدماء المصريين

ثم صعدنا الى حجر كثيرة ، بها أثاث وكراسي مما كانت تستعمله هذه الاسرة ، وكذا عدة صناديق للنقود ، وأشياء كثيرة متنوعة ، غاية في الجمال والقيمة التاريخية والفنية . وفي حجرة صغيرة مظلمة تضاء بالشمع صورة السيدة مريم والسيد المسيح . وهما آية في الحسن والجمال . يراها الناظر من بعد ، كأنهما حقيقتان . وفيها صور ورموز يعجز الانسان عن ادراك معناها . وقد أدى بنا المطاف الى حجرة كبيرة واسعة على شكل دائرة . مقاعدها تشبه مقاعد البرلمان المصري . أمام كل مقعد منضدة مكسوة بالخملا الأخضر وضعت عليها محبرة وقلم وفي نهايتها عدة منصات عالية . يظهر أنها كانت تستعمل للاجتماع العام للنظر في شئون الأمة واحوالها ، ومنها كانت تصدر الاحكام . وهي مستعملة اليوم للاجتماع والقاء الخطب في الأمور الهامة .



(الفصر القديم فلورانس)

وجل ارضها مفروشة بالبساط الاخضر والناظر اليها يأخذ العجب لفخامتها
وزخرفها وعظمتها مما يدخل في القلب الرهبة والجلال

وبناء هذا القصر يشبه بناء قصور الممالك بمصر لان به عدة دهاليز صاعدة
ومتعرجة ودواخل في الحيطان وخوارج . وحجره ليست في استواء واحد
بل منها ما يصعد اليها بعدة درجات ، ومنها ما ينحدر اليها بعدة درجات
كذلك ومنها الواسعة والضيقة ومرتفعة السقف وواطئة . وغالب الحجر
بها عدة تماثيل لعظماء هذه الاسرة العريقة في المجد والحكم وهي عائلة
(ميديسى)

ولقد رأينا ساعته القديمة العجيبة التي يقصدها الناس من كل الجهات
ليروها وضعت داخل ايطار في واجهة القصر . وهي تدق دقات عظيمة
مستمرة من اول أن وضعت قديما الى ذلك الحين ، ولم يطرأ عليها خلل
حتى الآن .

أهم آثار فلورنسى ومناقصها

بعد أن متعنا النظر بتحفه الجميلة ومبانيه الضخمة خرجنا منه وسرنا
حتى وصلنا الى ميدان واسع يحوى ثلاث بنايات نفخة شهيرة في
فلورنس وهي :

(١) الدومو - وهي كنيسة جميلة غاية في الفخامة ، ما رأيت كنيسة
مزخرفة من الخارج بأنواع النقوش والتماثيل والدواخل والخوارج والطلاء
البهى والألوان الزاهية ، مثل كنيسة الدومو الشهيرة . أما باطنها فلا يشبه

ظاهرها في شيء فهو خلو من الزخرف والزينة ، وتمتاز عن بعض الكنائس بارتفاع سقفها الشاهق . وهي مقامة على حنايا ضخمة جداً ، تنتهي بقبو مرتفع ، وبها نوافذ كبيرة ، كلها بالزجاج الملون الجميل ، كالزجاج الذي يستعمل في المساجد القديمة عندنا ، رصت عليه عدة صور دينية . قبتها عالية جداً تقرب في الارتفاع من قبة كنيسة ماري بطرس برومة ، وتكتنفها قبتان عظيمتان أقل منها قليلاً . وقد دفن في هذه الكنيسة عدة رجال عظماء لهم الأثر البين في نهضة إيطاليا علمياً واقتصادياً وحرياً ، وغيرهم من العلماء والفلاسفة الذين عاد فضاهم على العالم أجمع

(٢) البرج — بجوار كنيسة الدومو برج عال جداً يبلغ ارتفاعه أربعة وثمانين متراً . مبانيه من نوع مباني كنيسة الدومو رسماً وشكلاً وزخرفاً وزينة وطلاء . ولم أقف على الصعود فيه ، لاني قد تعبت كثيراً من الصعود والنزول في رؤية المتاحف والآثار هذا اليوم وهذا البرج مع الكنيسة يعطيان منظراً جميلاً يؤثر في النفس

(٣) كنيسة المعبد — أمام كنيسة الدومو في هذا المعبد كنيسة المعبد . شيدت من الخارج بالرخام الأبيض الجميل وهي واطئة البناء . ليس بها من الزخرف والزركشة شيء يذكر . ولكن يحفها الجلال والاعظام . يظهر أنها قديمة البناء . وهي على شكل دائرة عظيمة . ولم ندخلها لأنها كانت مقفلة

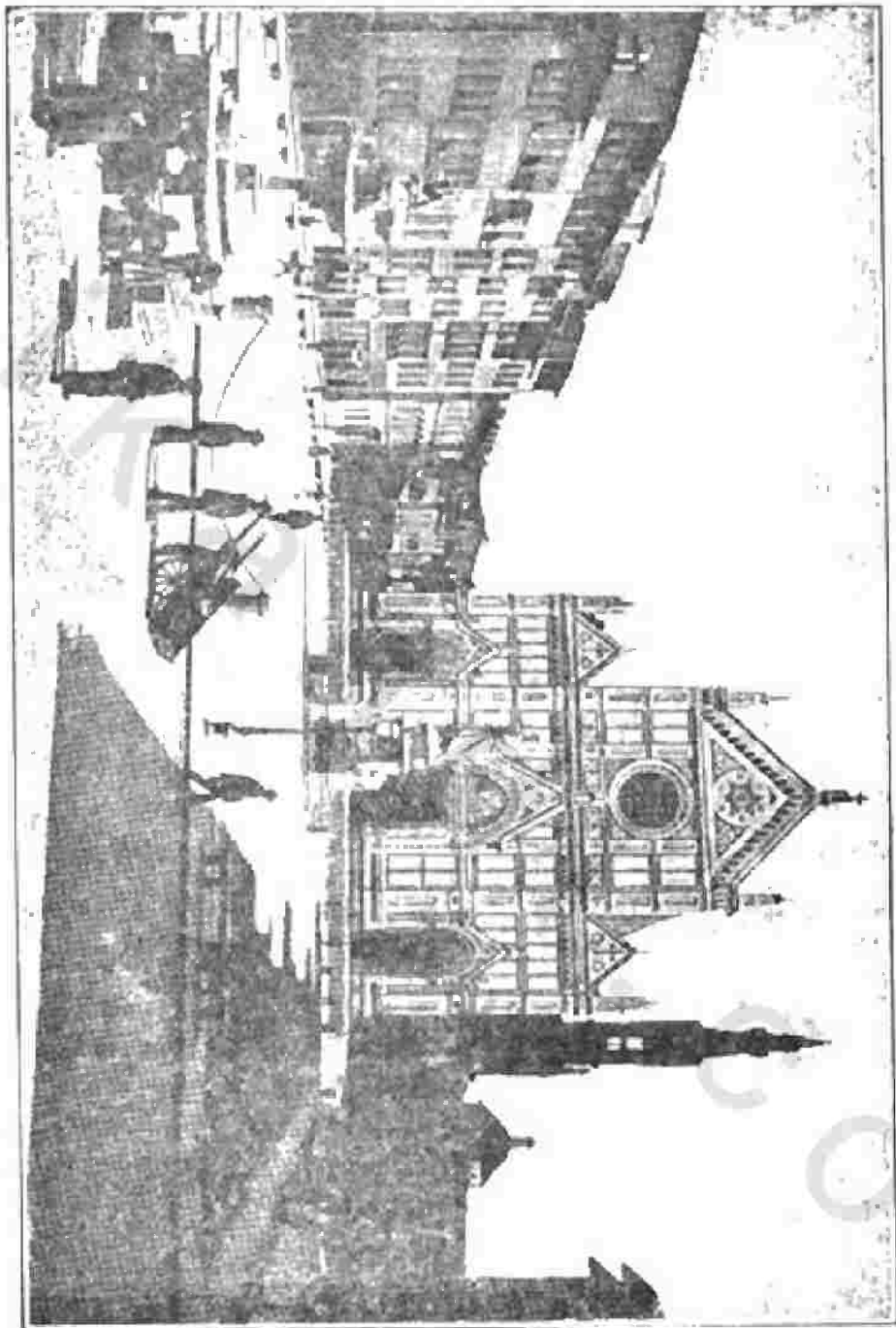
مكتبة أسرة ميديسي الشهيرة

هذه المكتبة لأسرة عريقة في المجد والشرف حكمت رومة زمناً طويلاً ، وهي جزء من كنيسة شيدتها هذه الأسرة . قصدنا زيارة هذه

المكتبة الذائعة الصيت فدخلنا باب الكنيسة فوجدنا الصلاة قد أقيمت فيها فوقفنا زمنا طويلا لنرى كيفية الصلاة ونظامها عندهم فألفينا القوم غاية في التخصع والتبتل . وأغلب المصايين من الطاعنين في السن ، بينهم فتيات صغيرات . ولما انتهت الصلاة طفقنا أتحاء الكنيسة ، فاذا هي من أعظم الكنائس . وقد ضربت صفحا عن وصف كنائس فلورنس إلا كنيسة (الدومو) لاني ذكرت كثيرا من أوصافها في رومة . ثم صعدنا من باب داخل الكنيسة الى الطبقة العليا . فرأينا ما بهر عقولنا وحيّر ألبابنا . رأينا مقاعد تشبه مقاعد جاسات المحاكم . وأمامها حاجز منبسط من الخشب وضع عليه الكتاب مفتوحا ، ومغطى بلوح من الزجاج حتى يتمكن الزائر من رؤية خطه ونظامه وزينته . يبلغ عرض هذه الردهة نحو عشرة أمتار تقريبا في طول الثلاثين . وقد رتبت على صفين متقابلين ، بينها طريق يمر فيها الزائر فيرى الكتب على يمينه ويساره في قاطرها ، غاية في الابداع وحسن الخط والقصص الموضحة بالرسوم الجميلة . ثم خرجنا من هذه الى عدة حجرات فيها كتب نفيسة مذهبة ، محلى أغلبها بصور غاية في الاتقان تدل على مهارة مصوريها . وما زلنا ندخل في حجرة ونخرج منها الى أخرى حتى متعنا النظر بجمال هذه الكتب مع الاستغراب والاعجاب . واكثر هذه الكتب مخطوطة بالخط الجيد ظاهرها يدل على أنها من أنفس الكتب قيمة وعلى أن هذه الاسرة كان لها القدر المعلى في اقتناء الكتب والتفنن في جمعها وحفظها حتى بقيت محفوظة سالمة الى الآن ، يتمتع بما فيها من الذخائر والنفائس الايطاليون وخصوصا أهالي فلورنس

بيت دانتى

تطلعت أنفسنا بعد ذلك الى زيارة بيت دانتى الشاعر الايطالى المشهور
فسرنا ننتقل فى الشوارع والازقة حتى وصلنا اليه بعد الجهد والتعب
فألفيناه فى زقاق من أزقة فاورنس وهذا المنزل متوسط البناء له بابان فى
زقاقين . فأول شئ يراه الزائر لوح رخام فى أعلى بابه كتب عليه هذه
العبارة « إن الشاعر دانتى ولد فى هذا البيت » وقد وجدنا الباب موصداً
فطارقناه ففتح، وقابلنا رجل يعرف اللغة الانكليزية فصار أمامنا حتى أوصلنا
الى الحجرة التى كان قد أعدها لجلوس أسرته حين اشتغالهم بصناعة
الحريير وهى حجرة مرتفعة السقف ، قد جددت أغلب حوائطها ، لا تزيد
على خمسة أمتار فى أربعة ، وهى الآن تستعمل لتعليم الصنائع فن الطباعة . وقد
وجدنا فيها مجلداً كبيراً نقات فيه قصائده المشهورة بالتصوير الشمسى ،
وهى بخط يده . وقد بنى فى بعض الحجرات أجزاء من السقف الاصلى ، تحتوى
على عدة نقوش ورسوم جميلة . والبيت كله يحوى خمس حجرات وفناء صغيراً ،
وقد أخبرنا الدليل أنه كان يحتوى على حجراً كثيراً من هذه ولكنها
تهدمت . ويدخله كثير من السائحين لرؤية منزل هذا الشاعر الكبير الذى
أدخل التحسين والرقعة والذوق على اللغة الايطالية فالادب الايطالى مدين
له بهذا التطور الكبير فى أساليب تلك اللغة وتراكيبها .



(کتبستان کروی و فعال دانی فلورنس)

قصر الخديوي اسماعيل باشا

لما علمنا بأن الخديوي اسماعيل باشا له قصر فخيم في فلورنس كان يسكنه أيام منفاه اعتزمنا زيارته بلهفة وشوق ، فصرنا نساأل الناس عنه حتى عثرنا عليه رقم (٩٥) شارع (برج بيتي) فلما وصلنا الى الباب وأردنا الدخول أخبرنا الخادم بأن الدخول ممنوع لانه مسكون فتناظفنا به فسمح لنا بمقابلة رجل بيده الأمر فأخبرنا به بقصدنا ففتح أولاً فعرّفنا أننا مصريون وبهمنا جداً رؤية هذا القصر فسمح لنا فصعدنا سلماً عريضة من الرخام الجميل كلها مفروشة حتى وصلنا الى الطابق الثانية ففتح لنا حجرة كبيرة غاية في الابهة والعظمة حوائطها محلاة بالصور البديعة والنقوش الذهبية الغربية سقفها مزين بعدة صور كاعظم قصور العظماء في ايطاليا. ومازلنا نخرج من حجرة وندخل في أنفس منها حتى أتينا على آخره ونحن بين الدهشة والعجب . ويحوى حديقة كبيرة قد انسقت بها الاشجار والازهار الجميلة البديعة تكتنف القصر من جهتيه الشرقية والشمالية وهو الآن تسكنه جمعية تخدم الانسانية وتساعد الفقراء والبائسين

وقد كان اسماعيل باشا اشتراء من رجل يقوم بخدمة الانسانية ايضا . ويظهر أن اسماعيل باشا كان موفقا للحصول على النعيم والترف والرفاهية في العيش حتى في منفاه

من فلورانس الى ميملانو

لما فرغنا من زيارة اهم متاحف فلورانس وآثارها ، سافرنا الى مدينة ميلانو ، فركبنا من الفندق سيارته في الساعة الواحدة مساء ، وقصدنا محطة فلورنس ، ولما وصلنا اليها ، الفيناها فسيحة ضخمة البناء ، تفوق محطة رومة ابهة وعظمة ، ونقذنا سائق السيارة عشر ليرات ، كما اعطينا الحمال ستا . وبعد نصف ساعة من وصولنا الى المحطة قام بنا القطار ولم يكن مزدحما وسار بنا نحو ساعة ونصف ساعة ، وسط مروج يانعة خضراء ، وحدائق غناء ، وتلال عالية ، تحف القطار من جانبيه ، مكسوة بالاشجار الباسقة وبعد هذا اخترق القطار بنا جبال الالب العظيمة يتبع في سيره ماذلل منها يلتوى التواء الشعبان فتارة ينعطف وأخرى ينثنى وطوراً يدخل في نفق تحت جبل شامخ وآخر يعبر قنطرة عظيمة تحتها واد عميق ولا ابالغ اذا قلت انا كنا كل عشر دقائق ندخل في نفق تحت جبل عال حتى ضاقت انفاسنا ، واخذنا الدوار ، لكثرة استنشاق دخان الفحم المحصور في الانفاق والذي يتسرب اليها من نوافذ القطار ، فنضطر الى الى اقفالها .

وقد يدرك الانسان الخوف والفرع لمروره تحت هذه الجبال الشامخة خصوصا من لم يتعودها ولو اتصت هذه الانفاق بعضها ببعض لكونت نفقا اطول من نفق سمبلون . الذي سنذكره عند سفرنا الى سويسرا ، كل هذا ونحن نشاهد المنازل منتشرة فوق سفوح الجبال وقممها ، وبطون الوديان ، تفصلها بعضها عن بعض مسافات كبيرة ، تغطيها جميعها الاشجار

والازهار فنأظرها من أشهى مارأت العين ، ولقد يأخذك العجب وتدر كك
الحيرة لمشاهدة هذه المنازل لأول مرة ، لحسنها وجمالها ، وبداعة ترتيبها
وتنسيقها ، وعظيم موقعها ، وكيف يعيش سكان المنازل المنتشرة هنا وهناك ،
فى أمان واطمئنان على أنفسهم وأموالهم ، ومن أين يحضرون ماتحتاج
اليه منازلهم ، من ضروريات الحياة ، وما الذى يساعدهم على الصعود الى
المنازل ، فوق قمم الجبال والتلال ذهابا وحيئة ، وكل منزل من هذه المنازل
تمهد له طريق جميل تحفه الاشجار من الجانبين ، يغنى السير فيه عن رؤية
الحدائق واستنشاق هوائها ، ولا يتسنى لكاتب مهما بالغ فى الوصف أن
يصف تلك المناظر البديعة والمشاهد الجميلة .

ولا ترى فى هذه المسافات الكبيرة الا اجزاء صغيرة من الارض
مدحوة لا تكاد تذكر بجانب المرتفعات ، ولذا كان القطار لا يجد جزءا
سهلا يسير فيه بل تعترضه الجبال العالية ، فلا يتخلص منها ، ولا يتغلب
عليها ، الا بمروره تحتها وانحنائه لعظمتها وجبروتها ، والالتجاء الى احضانها
وخضوعه لكبريائها ، وكلما خرج القطار من نفق أسرعنا إلى فتح النوافذ
لنستنشق الهواء النقي ونرى ماهيأه الله من مناظر الطبيعة وجمالها وحسنها
وبهائها الذى يأخذ بالالباب ونرى قدرة الله الباهرة القاهرة . التى كونت
تلك المناظر ورفعت الجبال ، وخفضت الوديان ، وأجرت المياه ، وانبتت
الاشجار الضخمة الباسقة

فى كل ناحية سالكت ومذهب جبالان من صخر وماء جارى
ولقد كنت أقف امام عظمة هذه الجبال وانخفاض الوديان وخير
المساء باهتا خاشعا متعظا

وما زلنا على هذا الحال حتى وصلنا الى محطة (بلوتى) فى الساعة السادسة ، وفيها انتظر القطار أربعين دقيقة ، وهى محطة كبيرة واسعة ملتقى عدة خطوط ، وفيها يغير المسافرون طريقهم ، فمنهم الذاهب (الى ميلانو) والذاهب الى (فينسيا) والذاهب الى (تورينو)

وبعد ان بارح القطار هذه المحطة سار فى سهل لومباردى المشهور وهنا يعجز القلم عن وصف نظام مزروعاته ، وحالة الرى فيه ، وخصوبة الارض : ترى المزارع مقسمة تقسيما هندسيا بديعا ، فترى فى نحو كل عشرين متراً صفين من الاشجار القصيرة التى لا تزيد على أربعة أمتار ، فى جذع كل شجرة منها كرمة عنب ، تعلق فروعها بتلك الاشجار ، فتقوم مقام الحوامل عندنا (التـكـعيبية) تقرب الاشجار بعضها من بعض ، وتمتد فروع العنب من شجرة الى أخرى ، فتتعلق بها فتكون حبلا من الخضرة تربط كل الاشجار بعضها ببعض وتتدلى عناقيد العنب من خلال الاشجار ، فيحدث لوان من الخضرة ، خضرة الاشجار وفروعها ، وورق العنب وعناقيده ، فترى منظراً تشبيه النفس وتمتع به العين ، وينشرح له الصدر فالسائر فيه لا يرى مزارع كما يرى فى بلادنا وانما يرى حديقة غناء فيحاء لانهاية لها مشبكة الاغصان ، وحبلا من الخضرة الجميلة الخضرة ممتدة بين الاشجار لا يدرك الطرف آخرها . وهذا كله بفضل المهندسين وعناية اصحاب المزارع بها ، والبحث وراء ما يمكن الانتفاع به من حقولهم ومزارعهم ، مع أنك لو ضاهيت أرضهم بأرض الدلتا ، لو جدت أرض الدلتا أخصب منها ، ومع ذلك لا ترى فيها شيئاً يلفت نظرك ، كما ترى فى سهل لومباردى ، لا ترى فيها ترتيباً وتنسيقاً ونظاماً واعتناء . ولو غنى بها أهلها

كما عى الايطاليون لاصبحت جنة يانعة قطوفها دائية ، وفاقت كل سهول العالم انباتا و انتاجا . ومن هذا يظهر الفرق بين الأمم المتمدينة التى تخلق من الصحراء جنة خضراء ، وبين الأمم الاخرى التى تهمل الارض الخصبه الجميلة حتى تصبح قاحلة جرداء

وانك ل ترى الفلاحين فى اوربا يزرعون قمم الجبال والتلال ، وينقرون صخورها ل يذروا فيها انواع الحبوب ، فيجنون منها ما يقوم بحاجاتهم . واكثر مزروعاتهم فى سفوح الجبال والتلال وعلى قممها ، لانك لا تجد ارضا سهلة مدحوة كما تجد فى بلادنا الا نادراً . ولم أر فى سياحتى هذه سهلا منبسطا الا سهل لومباردى ، وجزءاً من شمالى فرنسا . وأما غير ذلك فكله تلال وجبال ووديان ، تنخللها اجزاء قليلة جداً مدحوة ، مع أن عندنا كثيراً من الارض الواسعة السهلة التى تصبح بعد اصلاح هين من أخصب الاراضى

وقد قضيت اكثر المسافة بين فلورنس وميلانو واقفا لأمتع النظر بتلك المشاهد الجميلة والمزادع النضرة ، وما فيها من التنسيق والنظام وقد يمر على ركاب الدرجة الأولى والثانية خادم معه تذكرة يقدمها لمن يريد تناول الطعام فى القطار فأخذت منه تذكرة ، فلما حان وقت العشاء دق الجرس فى كل حجرة من حجرة القطار ، اذ كانت الساعة السابعة مساء فذهبنا الى ردهة الاكل ، وهناك قدم لنا طعام شهى جميل ، يدعو النفس الى الرغبة فى تناول الطعام بشهوة ، وفى اثناء ذلك كنا نمتع الطرف بتلك المناظر والمشاهد الجميلة ، وقد دفعنا فى هذه الاكلة احدى وعشرين بيرة بما فى ذلك زجاجة من ماء (افيان) ولم اكن قد تناولت الطعام فى قطار

في اوربا قبل ذلك ، ولذا كنت مسرورا جدا من هذه الاكلة الشهية ونظامها وجودة الخدمة ، وقد استغرقنا فيها نحو ساعة ونصف ساعة . ونظام الأكل هناك أحسن بكثير من نظامنا في قطرنا من حيث الخدمة والطهي والتمن ، ونظافة الخدم والنشاط والحركة ، ولكثرة الراغبين في الاكل لا تسعهم العربدة دفعة واحد ، ولذا فأنهم يأكلون على دفتين

وما زال القطار يجرى في السير بسرعة كبيرة حتى وصلنا الى مدينة ميلانو في الساعة العاشرة والنصف ، فيكون القطار قد قطع المسافة بين فلورنس وميلانو في ثمانى ساعات . ومحطة ميلانو فخمة وكبيرة جدا ، وقد يستمر القطار سائرا في ضواحيها نحو عشر دقائق . وقابلنا مندوبو الفنادق كالعادة فاخترنا النزول في فندق (جراند) ثم ركبنا سيارته الضخمة التي تناسب ضخامته ونخامته وسارت بنا حتى وصلنا اليه بسلام ، وهو يعد من أنخم الفنادق في ميلانو . وبالطابق الاول منه ردهة فخمة مفروشة بأفخر الاثاث والرياش ترينها عدة اشجار وأزهار نضرة . ثم أضعنا الخادم في المصعد الى الطابق الثانى فألفينا غرفه من أفخم الغرف تحتوى كل غرفة على ما يريح السائح حتى المسرة « التليفون » بجوار السرير بحيث نطلب ما نريد من الفندق أو خارجه وأنت مضجع على مهدك . حوائطها مزخرفة بأحسن الزخرف حتى يخيّل للرائى أنها مكسوة بالمخمل المزركش وعلى الجملة فكل غرفة فيها معدات الراحة مع الأبهة والعظمة . وأجرة مييت الليلة مع تناول الطعام ثمان وثمانون ليرة عدا ضريبة الترف التي تضرب على كل نازل فيه فان الحياة فيه تسكاد تكون من

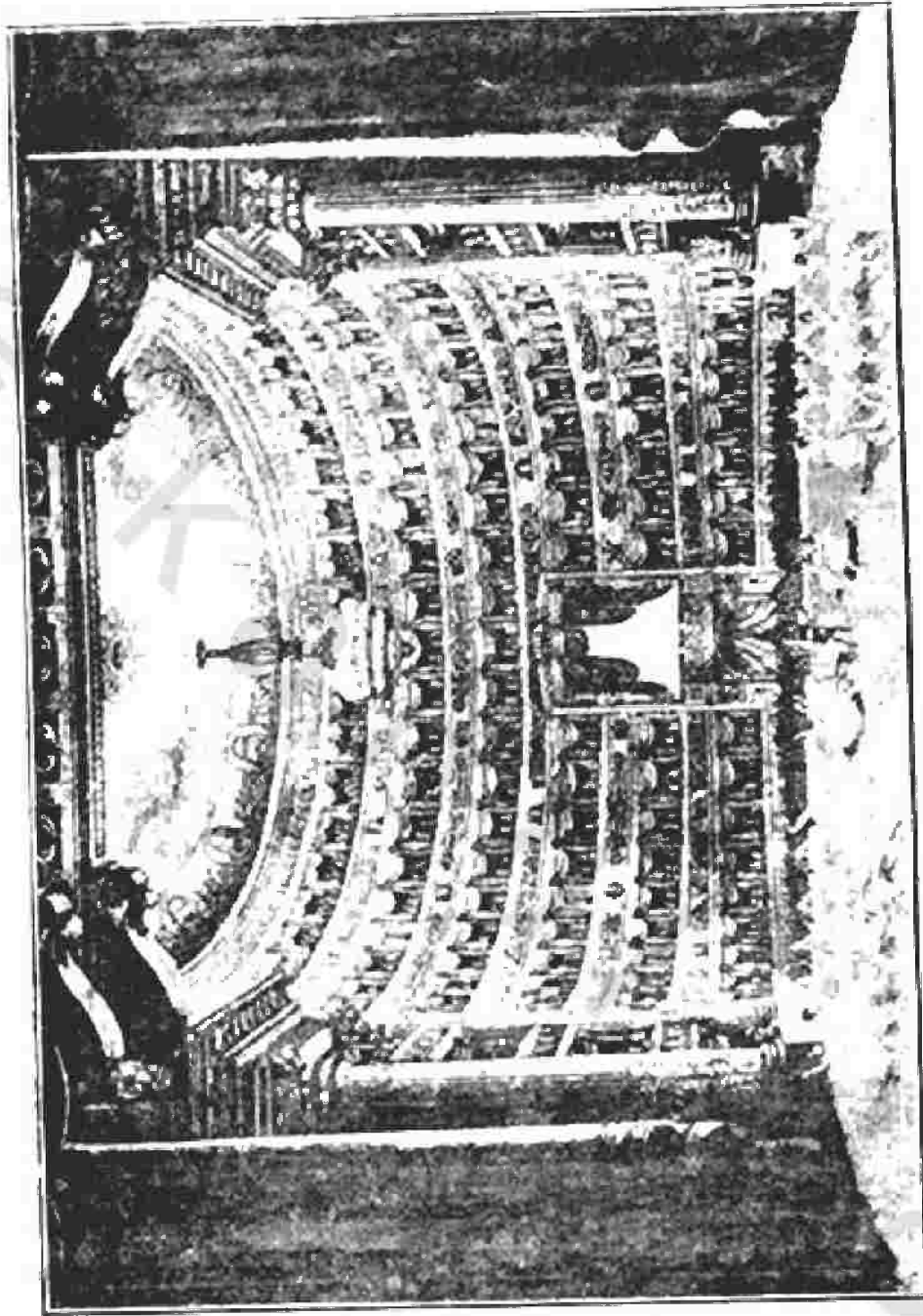
الطراز الأول وكذلك غير ضريبتي الخدم والحكومة التي تختلف ما بين ١٠ و ١٥ في كل مائة وقد استرحنا في هذا الفندق ونمنا نوماً هادئاً ملء جفوننا وفي البكور تناولنا طعام الافطار ثم خرجنا لئرى مشاهد المدينة والحركة فيها

ميلانو

هي قصبة إقليم لومباردى الشهير بالأقليم العالى في ايطاليا ولها أهمية كبرى لانها من أكثر مدن ايطاليا سكانا كما كانت كذلك قديما. وقد اشتهرت في القرن الخامس عشر بأشياء كثيرة أهمها صناعة التصوير ولا تزال تلك الشهرة حتى الآن وقد رأينا كثيراً من التصوير في أغلب مدن ايطاليا كتب عليها (طبعت في مدينة ميلانو) وقد نبغ فيها في ذلك العهد عدد كبير من المصورين الذين اشتهروا في ايطاليا وغيرها. وهي الآن من أهم مدن ايطاليا حركة وتجارة وثروة وصناعة ، خصوصا صناعة الحرير التي فاقت فيها أكثر مدن أوروبا والذي ساعدها على ذلك كثرة ما يزرع من شجر التوت في إقليم لومباردى الذى هو الغذاء الوحيد لدودة القز . . .

ولم أر في جميع المدن التي زرتها في ايطاليا مدينة أكثر منها معادن وصناعة حتى أن القطر التجارية تدخل مساء في بعض شوارعها العظيمة تنقل كثيراً من العمال الذين يتهافون تهافت الفراش على النار فيماتون داخله ويركبون سطوحه ونوافذه الى محال سكناهم في ضواحي المدينة وقد يكون المنظر غريباً خصوصاً لمن لم ير بلاد عمال قبل ذلك . وشوارعها كأحسن الشوارع التي رأيتها في مدن نابلى وروما وفلورنس من حيث الاتساع

والنظافة والنظام وتزدحم ازدحاما كبيرا عند الغروب حتى يسير الناس
متسكاتين ويهولك منظر الجالريا التي هي على مثال جلاريا نابلي والناس
يقصدونها عصرًا للتفرج على دكاكينها وقهواتها وما بها من السلع وأنفس
البضائع التي تسر النفس فيختلط الرجال بالنساء ذهابا وحيئة فيكون لاجتماع
الناس فيها منظرا يلفت النظر والجزء المشيد بها حديثا من أحسن ما يرى
الرأى لأنه قائم على نظام واحد وترتيب جميل شوارعه متسعة متوازية
تسير على اتجاه واحد تقاطعها عدة شوارع أخرى متوازية أيضا كأنها
قسمت ونظمت ونسقت بيد مهندس باع واحد وشيدت مبانيها في زمن
واحد على طراز واحد على أحدث ما يكون من النظام الحديث الجميل وقد
سررت جدا من منظرها ولم أر مثل اتساع هذه الشوارع الا في مدينتي
باريس ولندن ولقد ترى حوائطها غاصة بأنواع السلع الجميلة البديعة ومع
أنها مدينة صناعية فان سلمها أعلى قيمة . وأم هذه الشوارع شارع (فيكتور
عمانويل) وهو يشطر المدينة شطرين عظيمين ويتصل بشارع (فينيسيا)
وهما يوصلان الى حديقة المدينة العمومية وهي واقعة في ميدان فسيح
الارجاء يسمى ميدان (كافور) يقصدها الناس بياض النهار وهزيما من
الليل ليستنشقوا هواء نقيا وقد دخلتها فاذا هي جنة عالية قطوفها دانية
ظلال اشجارها وارفة أفنانها كثيرة ممتدة يشتبك بعضها ببعض فتكون
سما من الخضرة الفاخرة تحوى كثيرا من الاشجار التي تعبق منها الروائح
العطرية ويحمل نسيمها الى الأنوف شذا عرفها الزكي فينعش النفوس الخاملة
يجذبني جمالها وحسن منظرها وضخامة اشجارها ونضرة أزهارها الى الجلوس
على أحد مقاعدها التي صفت على جانبي طرقاتها وشوارعها فأقت بها ساعة

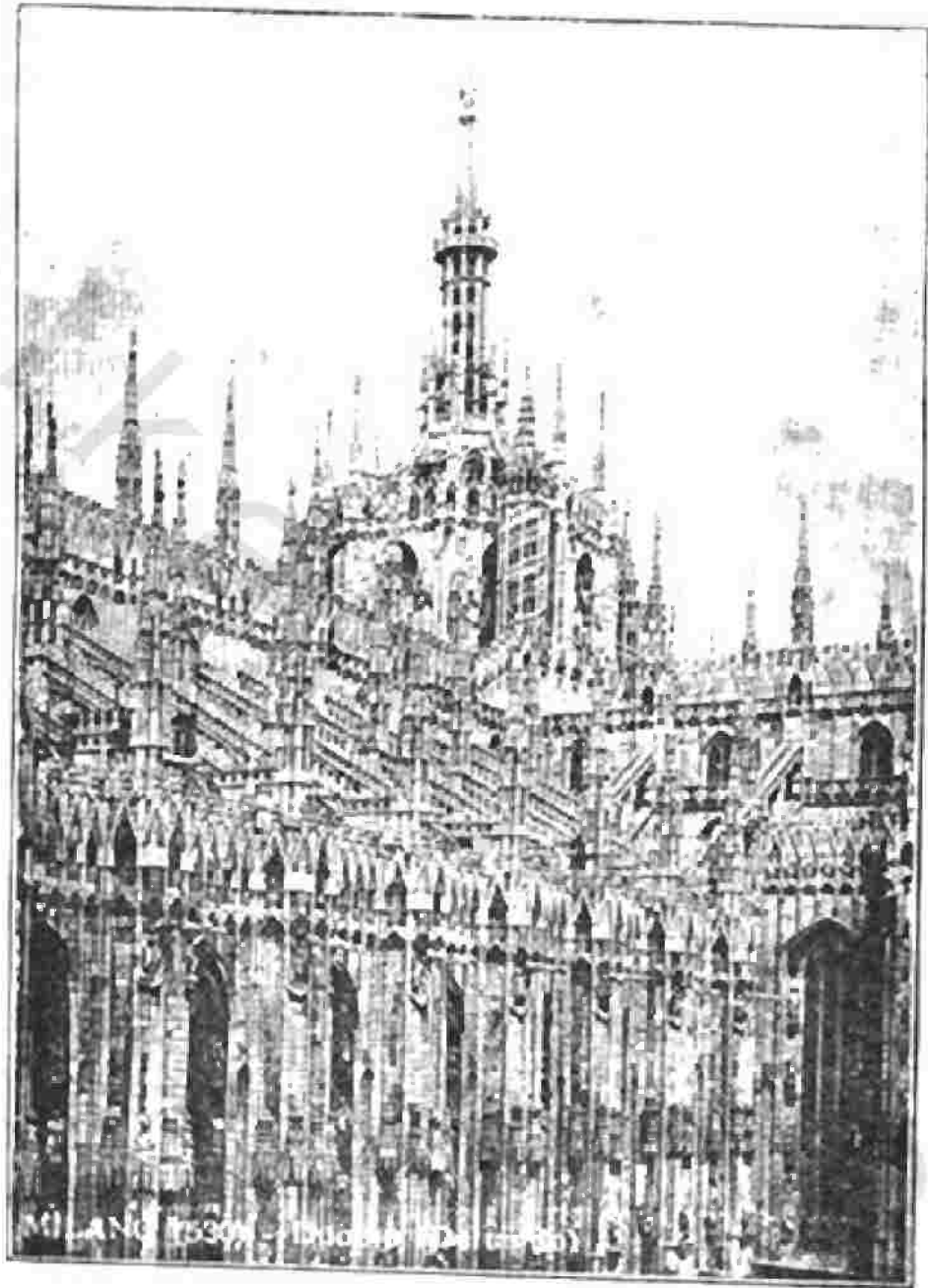


داخل تيارو الاسكالا في ميلانو

قيدت فيها مذكراتى عما شاهدته فى ذلك اليوم وتمتاز عن حديقى رومة ونابلى بأنها منسقة مرتبة عامرة أقيمت فى ثنايا أشجارها وأزهارها عدة تماثيل مختلفة الاشكال والرموز لكثير من عظماء الرجال فى ايطاليا . وقد خرجت منها قاصداً مشاهدة كنيسة ميلانو الشهيرة وهى أهم ما يقصده السائح فى هذه المدينة القليلة الآثار وانى وان كنت قد مللت وصف الكنائس فى رومة وغيرها الا أنى أعد نفسى مقصراً اذا تركت وصف هذه الكنيسة التى تعد من عجائب الدنيا والتى لا تزيد عنها سعة الا كنيسة مارى بطرس بروما ولأن السائح لا يقصد زيارة ميلانو الا ليرى كنيستها العظيمة

كنيسة ميلانو

كنيسة ميلانو واقعة فى ميدان فسيح وسط المدينة وهى من كنائس الدرجة الأولى فى زخرفتها وجمالها وضخامة بنائها وجمال منظرها وأبهتها وعظمتها وما فيها من تماثيل القديسين من الأحجار والرخام فى سقفها وجدرانها داخلاً وخارجاً . لها منظر من الخارج ليس لكنيسة فى الأرض مثله ، وكل مبانيها داخلية وخارجية مزينة بالتماثيل الجميلة الكثيرة المتنوعة ولقد ينظر اليها المرء فتعجبه الحراب المصوبة الى كبد السماء بأيدى التماثيل الكثيرة كأنها تنهياً للطعن والنزال وهى فى نهاية قباب مدرجة تعلو بعضها بعضاً وفى رؤوس مبانيها كالمسلات المصرية ينتهى أعلاها كتلك التماثيل ويخيل للناظر اليها أنها ليست مباني بل هى رسوم وأشكال هندسية جميلة كأنها أخشاب محزومة تمثل فيها تلك الاشكال والرسوم . وقد أحصى بعضهم ما فيها من التماثيل داخلاً وخارجاً فالتقاها ستة آلاف . فاذا صعد الانسان على سلم



كنيسة الدومو ميلانو

الكنيسة يرى أمامه خمسة أبواب أكبرها الأوسط فيدخل منه الزائر فيرى
أعمدة ضخمة عريضة كالحنايا (البواكي) تنتهي في أعلاها بتيجان محاطة
بالتماثيل وتنتهي هذه بقباب غاية في الابداع مخرومة كالتى تصنع في نوافذ
المساجد عندنا وفي جوانبها واركائها عدة مذابح للسيدة مريم حاملة السيد
المسيح عليه السلام وهو صغير وأمام بعضها كاهن يصلى بالناس وهم ركوع
يستمعون لما يتلى عليهم غاية في الخشوع والتبتل . ومما يلفت النظر من هذه
المذابح مذبح عظيم موقدة أمامه الشموع الكثيرة فيه تمثال السيدة مريم
محلاة بالجواهر والاحجار الكريمة يكتظ أمامها الزائرون وأمام تماثلها
صندوق في أعلاه ثقب يقذف فيه الزائرون كثير من النقود ويرى الداخل
أمامه مذبحاً كبيراً يلتف حوله كثير من الرهبان يتلون شيئاً وهم وقوف
يسمع لهم ضجيج كضجيج مرتلى دلائل الخيرات في الأضرحة وكل مسيحي
يركع أمام تمثال السيدة مريم قبل مبارحة الكنيسة . وتبلغ مساحة هذه
الكنيسة العظيمة أربعة عشر ألف متر وتسع نحو أربعة آلاف نفس . ويبلغ
طولها من الداخل اثنين ومائة متر في عرض ستة وتسعين وعلوها نحو
مائتين وعشرين قدماً

والكنيسة كلها مشيدة من الرخام الجميل مقامة على اثنين وخمسين
عموداً يبلغ محيط كل منها اثني عشر قدماً، سقفها من الرخام المختلف الالوان
وبها عدة شبائيك ونوافذ صنعت الواحها الكبيرة من قطع الزجاج المختلف
الالوان ويبلغ ارتفاع بعضها نحو خمسة عشر متراً في عرض خمسة أمتار، رسم
عليها عدة اشكال تمثل حوادث الانجيل والتوراة . ولا يقل عدد هذه القطع
في كل نافذة عن خمسين وثلاثمائة وهى من أثمن ما رسم على الزجاج من الصور

المتقنة يخيل للناظر اليها أنها حقيقة لولا ما ينقصها من الحركة . ويد الاصلاح
والزخرف دائمة العمل فيها من يوم أن أنشئت الى الآن والعين المجردة
لا تتبين ما في سقفها من الزخارف والنقوش ولذا تجد كثيرا من السائحين
يستعينون بنظاراتهم لرؤية ما بسقفها من دقائق الصناعة والزخرف
والنقش ولهذا الكنيسة برج عال يصل الانسان الى اعلاه بعد أن
يصعد ثمانية درجة ولما كانت هذه المدينة قليلة الآثار والمتاحف لم نمكث
فيها كثيرا

من مبلانو الى سويسرا

قمنا من محادنا مبكرين وقد اعتزمنا السفر الى مملكة سويسرا الساعة
السابعة صباحا وبعد ان اعددنا حقائبنا امتطينا سيارة الفندق الى المحطة
وهناك وجدنا مرشدا من خدمته في انتظارنا فأرشدنا الى القطار ولكنه
لم يعين لنا المركبة التي تسافر الى سويسرا حتى لا نضطر الى التغيير في محطة
أخرى لأن القطار يجر عدة مركبات كتب على كل منها الجهة التي يقصدها
المسافر لأنها تنفصل منه عند محطات معروفة وقد أخطأنا المركبة التي
تذهب مباشرة الى مدينة لوزان من مدن سويسرا ولسكن كان في
الوقت بقية فنقلنا حقائبنا قبل فواتها ولذا تمكنا من وجود محلين لي ولزميلي
وقد ازدحم القطار بعد ذلك ازدحاما شديدا . وفي قطر أوروبا يمكنك أن
ت حجز محلا لك قبل السفر بيوم أو أقل منه برقم يكتب على تذكرة السفر
يوافق رقم المحل الذي حجزته ولك الحق أن تطلب من الجالس فيه أن يتنحى
عنه فلا يتأخر متى أظهرت له رقم المحل على تذكرتك

ولما وافقت الساعة السابعة دقت الاجراس التي تشبه اجراس الكنائس
ايذانا بقيام القطار فتهيأنا لرؤية ضواحي المدينة من نوافذه فاذا بها منازل
متفرقة تفصل كلا منها عن الاخرى حديقة غناء تحيط بها الخضرة والمزارع
احاطة السوار بالمعصم. وبعد ساعة من سير القطار ظهرت لنا جبال الألب
العظيمة الشاهقة فسار القطار فيها منعرجا ذات اليمين وذات اليسار تبعا لما
زلل منها. وكان لسير القطار منظر يأخذ بالآلأباب فتارة يصعد بنا فوق ربوة
عالية وأخرى يدور حول الجبال وطورا يدخل في نفق ودخان القطار يعمل
فينا عملاء، وأخرى يعبر قنطرة ممتدة فوق واد عميق مثبتة أطرافها في جبليين
متقارين فتري الوديان والمنازل هنا وهناك كأنها الحماثم الطائرة في حدائق
عامرة. وجميع سفوح الجبال مكسوة بالأشجار الباسقة فتزيدها عظمة وجلالا
ومرة ينزلق بين جبليين متقارين يكاد الركب يلصقهما باليد مع العلو
الشاهق الذي يرجع البصر خاسئا وهو حسير. وكان المنظر مؤثرا في النفوس
خصوصا لمن لم يرمثل هذه الجبال التي تكاد تناطح السماء بعلوها الغريب ولذا
كنت لا اسمح لنفسي بالجلوس لامتع النفس والنظر بتلك المشاهد الجميلة
التي أثرت في نفسي أثرا لا تقوى على محواه يد الزمان

ومما يدعو الى العجب أنه لا يوجد في هذه الجبال جزء خال من
الأشجار الضخمة والمزروعات الكثيرة التي يقوم بها فلاحو تلك الجهات
فإن لهم صبرا كبيرا على معاناة الزراعة على سفوحها. وما زالنا سائرين نتمتع
الطرف بتلك المشاهد والقرى والفلاحين ومواشيهم حتى وصلنا الى محطة
الحدود بين ايطاليا وسويسرا. وهنا كثر الزحام واختلط الحابل بالنابل
لتغيير الناس مركباتهم الى الجهات التي يقصدونها. ولقد جاء مفتش إيطالي

لتفتيش حقائبنا لعله يجد فيها شيئا ممنوعا حمله ولما كان القطار شديدا الزحام والحقائب كثيرة مكدسة بعضها فوق بعض كان يسئل عما في حقائبهم أسئلة تنم عن السكسل فيجيبونه بما يصرفه عنهم . ويتبع المفتش خمسة من الرجال يساعدونه في ذلك حتى يتم تفتيش القطار . وقد أخذ منا جواز السفر « الباسپورت » وردده إلينا بعد التأشير عليه حين قيام القطار . وقد لبثنا في هذه المحطة ساعة وربع ساعة ثم برحها القطار متجها نحو أرض سويسرا وهنا يقف القلم حائرا متعذرا في أزياله كيف يصف نخامة المنظر وتجليها بأبهى مناظرها وأبداع معانيها وقد ابتدأت الجبال تعترض القطار بكثرة ولذا كثر اختراقه للانفاق وانتشر دخان الفحم في المركبات حتى ضاقت انفسنا وبلغت الروح الحاقوم ومازلنا كذلك ندخل في نفق ونخرج من آخر طول هذا الطريق - وقد يبلغ عدد الانفاق نحو الستين - حتى وصلنا الى أطول نفق فيها وهو النفق المعروف باسم « سمبلون » أو « سان غوثار »

نفق سمبلون

هذا النفق يخرق جبلا شاهقا من جبال الالب العظيمة المشهورة التي ليس في اوربا أرفع منها قمة ولا أنخم منظرأولا أو عر مسلكا . ولما مدت السكك الحديدية في أغلب ممالك اوربا وربطت اجزاء الممالك بعضها ببعض كان من الضروري أن ينشأ خط حديدى يربط أغلب الممالك بعضها ببعض خصوصا إيطاليا وسويسرا والمانيا ولما كان لا مفر من اختراق هذه السكة جبال الألب وكانت النفقات باهظة لا تتحملها مملكة واحدة تعاونت على انشائها إيطاليا وسويسرا والمانيا واستغرقوا في تذليلها وتمهيدها مدة لا تقل

عن تسع سنين انفقوا في خلالها مليوناً واربعمائة الف كيلو جرام من الديناميت
لئيشف تلك الجبال الهائلة . يدخل القطر في جوفه فتظلم الدنيا وتصبح في
ليل دامس ويظل سائرا سيرا حثيثا نحو خمس وعشرين دقيقة وهنا يعترى
المسافر فزع وخوف ورهبة تمنعه من الكلام متى فكر انه يسير تحت
الارض تملوه جبال الالب العظيمة ، ومتى دخل القطار جوف النفق سار
بالكهرباء وحبس دخانه الذي كان يضايق الناس قديما حتى ستموا المرور
منه والسير فيه وكل عدة اميال يظهر لنا محل تسطع منه الانوار الكهربائية
فتمضي جزءا كبيرا منه ولشدة سير القطار وسرعته لا يقوى الانسان على
الاتقال من مركبة الى أخرى والوقوف في طرقاتها والناس إذ ذاك في
سكون رهيب، فتهلع القلوب وتكفهر الوجوه ومتى خرجوا منه تهلت
وجوههم بشرا وأخذ كل يقص على أخيه ما كان يجول بخاطره في الفترة
التي قضاها في جوف الأرض

جويسرا

آية في السكال والجمال ولايسهل على واصف وصف مناظرها الطبيعية
وجمال جبالها ومحاسن بحيراتها وورق أخلاق أهلها ، ومروجها ومزارعها ،
فهي كعبة المتفرجين ، ووجهة المتزهين ، ومهبط السراة والوسرين ،
ومصيف السائحين ، وهي فردوس أوروبا وجنتها الفيحاء وحديقها الغناء ،
وعلمها المنشور ، ولواؤها الخفاق ، ريحانة النفوس وسلوة الحزون ، وجنة
الضجر ، وملجأ الخائف ، وملاذ العائد ، تجمت فيها محاسن الطبيعة ، وتجلت
بابهى مناظرها واكمل بدائمها ، فجمعت محاسن الجبل والوادي والسهل

والنهر تتخللها بحيرات كثيرة جميلة ، تحفها الاشجار والازهار ، تناسقت فيها تناسقا يسحر الألباب ، ويريح النفوس ويزيل الكروب والهموم ، بها جبال شاهقة ، تناطح السماء بملوها فيقطع السحاب فوق قممها ، وتواجهها الثلوج اللامعة ، المحتاطة بالدوحات الباسقة ، فكأنها مرآة يحيط بها إطار من سندس

بأى لسان عبر ، وبأى بنان اسطر ، عن تلك المشاهد والمناظر ، التي تجمعت فيها قوى الطبيعة وتضافرت ، وعرضت من انواع المحاسن ما يملأ النفس عظة واعتبارا ، فبينما تسير في سهل نسقته يد الطبيعة بأبهى الاعشاب وابهى انواع الزهر والاشجار ، إذ بك على حافة جدول ، لمائه خيرير يلذ له السمع ، وينشرح له الصدر ، كأنها اوتار اعود حركتها يد عازف حاذق ، فأثرت في النفس تأثيرا عميقا ، وقد رصفت الجوانب بوشى من الخضرة . وأنواع من الزهر تحيط بك من كل جانب . حتى اذا غاب فكرك فيما أبرزته يد الطبيعة وما أبدعته يد القدرة وجدت نفسك فوق جسر عظيم ، ثبت طرفاه في ناصيتي جبلين . وتحتة الوادى تجري فيه الانهار وتحف به المزارع والاشجار ، حتى اذا اجتزت ذلك الجسر سرت الى جانب المجرى متعرجا ذات اليمين وذات اليسار ، كأنما القطار افعى تنساب بين الحشائش والوديان ، فيبهرك ذلك المنظر . ولا تدرى الى أى الجانبين تنظر إلى الوادى وما فيه من المروج الاربحة ، والصفاف البهيجة ، ومنازل قد التفت حولها الاغصان على شكل بديع وتنسيق غريب ، وماء ينسكب فينسيك متاعب الحياة وأحزانها

أم الى الجانب الآخر : حيث ارتفعت الجبال وطالت حتى غاصت
في احشاء السحاب التي تتساقط منه كرات البرد ، كأنما هي الاؤلؤ المنظوم
والدر المنشور . ومما يزيد بهااء تنويج قممها بالثلوج . ومن دون الثلج
صخور تكسوها الاشجار الوارفة . وقد جرت من بين تلك الصخور
والجبال جداول من ماء معين ، يتدفق في تلك المسالك الجميلة تدفقاً يروق
الناظر ويسر الخاطر ، ويتساقط من سفوح الجبال فيريك اعجب ما ترى
من أشكال الجنادل وخصوصاً عند ما تغيب آونة وتظهر أخرى بين تلك
المسالك التي يعشق القلب حسننها مما تمثل للرائى منتهى الاعجاز في الجمال الباهر
ومهما بالغ الانسان في وصف تلك المسالك واراد أن يبرزها في ثوبها
الحقيقى فانه يرجع من وصفه بخفى حنين ، ويرضى من الغنيمة بالاياب
كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

سويسرا

مازلنا سائرين في وسط هذه المروج ، وعلى سواحل البحيرات
الكثيرة المتعرجة ، التي تسحر الالباب وتذهل العقول ، وتزيد هذه
الشواطىء رونقا وبهاء ، وحلية وجمالاً ، المنازل المنتشرة عليها كأنها الدر
المنثور في نحور الحور ، حتى أشرفنا على جبال لوزان النضرة ، وتلاها
المكسوة بأنواع الاشجار والازهار ، بعد سفر ثمانى ساعات فداخلى سرور
امتزج بكل ذرة في جسمى ، وقلت أصبح أنى في بلاد اشبه بحديقة غناء
في وسطها مصايف من أجمل ما بنى المهندسون ونقش النقاشون ، فالدور
على اختلاف هندستها تفيض بهجة ونضرة ، ونظافة وزينة ، فهي جنة

اوروبا ، بلجنة الدنيا بأجمعها ومدرسة العمل العليا ، وابهج مصيف ومشتى
للمتس الراحة والسوى . ان نفسى ستطمئن ويرتاح فؤادى من الإقامة فى
مدينة من أبهى مدن سويسرا ، التى ضمت شمل المدنات العصرية ،
ووضعت على مفرقها تاج البدائع الارضية ، والسماوية . بلاد خص كل شبر
منها بمزية ، وتناولتها الايدى بالتحسين ، فلا يتصور العقل الآن ارقى
من نظامها ، ولا ابداع من طرازها وهندامها ، فهى زبدة جهاد القرون
والاعصار ، المغبوبة من جاراتها ، بل من أهل الغرب أجمع ، فلم تسل
سيفا لقتل النفوس ، لتتلك الاحرار ، وتصفدهم بقيود الذل والاستعباد ،
ولا ظلمت شعبا هادئا مطمئنا ، لاستصفاء حقله ، وامتصاص دمه ، وابتزاز
امواله ، ولا هتكت أستارا وأعراضا ، لتغنى عروضاً وأعراضاً ، بل رحبت
بالمظلوم ، وحمى الفار ، من أيدى الظلمة والجبارين ، ولم تهمل حق من
التجأ اليها ، واحتفى بحماها ، واستظل بظلمها فلسان حالها يقول

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل
فهى أكرم مشوى لوافد مغموم ، ومحزون محروم ، ومعهد يعلم الطالب
تعلما مجردا من النزغات المذهبية ، والنزعات السياسية ، ومسلاة كل
متعب راغب فى التفرغ لنفسه

لقنت الامم معنى الحكومة الصالحة والانفس العالية فقد سمعت
وأناها أنه احتفل فى محكمة من محاكمها بمضى خمس وعشرين سنة لم
يحكم فيها بخناية فهى تحتفل برقى الاخلاق ، وكمال الآداب ومعرفة
الواجب ، وتضرب المثل الاعلى للامم والشعوب ، ومثلت لهم احترام حق
الغير أحسن تمثيل ، وجوهم هاشة باشة القريب والغريب ، شعب غنى بأدابه

بعيد عن المعاييب والنقائص ، فما أسرع إقبالهم عليك اذا رأوا منك ميلا
للاسترشاد بهم ، بأدب يشف عن مكارم أخلاق وحسن ذوق ورقة شعور
ترتاح نفسك اليهم وتشفق من إلقاء السؤال عليهم .

يخيل للناظر ان هذه البلاد الواقعة بين أربع ممالك راقية فرنسا
وايطاليا والمانيا والنمسا ، قد أخذت من مدنيات هذه الممالك أطيبها
ومحاسنها فاصبحت علما ومنارا يهتدى بها ، ومجمع الآداب في الآفاق وآية
الحسان والجمال

تدخل الفنادق الكبيرة أو الصغيرة ، ومنازل الاغنياء والفقراء ،
نجدها كلها متناسقة في نظامها وحسن ترتيبها وهندامها ، وتشاهد المخازن
والحوانيت على هذا الطراز صباح مساء

وما أنسى نظافة الفندق (او تيل عدن) الذي نزلنا به بمدينة لوزان ،
المطل على بحيرة ليماو ومن ورائه جبال الالب ، به عدة أطناف كنا
نجلس فيها ، ونمتع الانظار بجمال الطبيعة ، التي تذهب عن المكروب كربه ،
وعن الحزين احزانه

ثلاثة يذهبن عن القلب الحزن الخضرة والماء والوجه الحسن

ومما يزيد النفس سرورا كثرة البواخر التي تمر أمامك تشق مياه
هذه البحيرة حاملة المتفرجين والمتنزهين ، والراغبين في رؤية المدينة التي
نظمت ونسقت على شواطئها ، ومشاهدة ما اشتهرت به من المناظر
البديعة ، وصنوف الجبال وقطر السائحين والمتفرجين ، ولقد كنت
أعجب كل يوم من رؤية الخدمات وما يقمن به من تنظيف البلاط

الى تنظيف الستور والنوافذ ، ونظام اغطية الأسرة والكراسى والمقاعد والمناضد ، وترتيب التحف والصور الصغيرة الى غير ذلك مما لا يخلو منه فندق ، وليست هذه النظافة خاصة بالمنازل والفنادق ، بل تشهد ذلك فى الشوارع والازقة ، فان الاوساخ الخفيفة لا تلبث ان تطرح حتى تنكس والامم النظيفة هى التى تعشق النظافة وتحب ان ترى كل شىء فى مكانه وتتألم ألما مبرحا اذا شاهدت عكس ذلك ، والنظافة عندهم تستوجب من الافراد والحكومة عملا متواصلا ، وتستدعى أن تحث عليها الحاكم والمحكوم حتى يتعاذ الكل فى العمل كما هو الحال فى بلاد سويسرا ولذا فان بلدياتها تنفق كثيرا من المال لتجعل البلاد فى هذه الحالة من النظافة ، التى يعجب لها أرقى الامم حضارة

واذا نظرت الى بلادنا وجدت انصرافا عن النظافة كبيرا فلا يكاد يقع نظرك الا على أقذار فى الشوارع والازقة والساحات ؛ بل فى البيوت والخوانيت ، لان الافراد لم يشبوا عليها ولم يألفوها فنبت عنها طباعهم مع عدم اهتمام الحكومة بها كأنها لم تأخذ ضرائب على المنازل والخوانيت وما كانت. النظافة حديثة عند السويسريين ، بل هى نتيجة تربية طويلة ، وملاحظة شديدة حتى تعودوها وزاولوها مزاوله الطبعات فى نفوسهم وامتزجت بدمائهم فاصبحوا فيها أرقى من الطليان والفرنسيين

والتربية العلمية والعملية المقام الاول فى نظافة هذه الامة وهوضها . وبلوغها درجة تقرب من الكمال فى كل شىء ، حتى فاقت جميع الامم رفيا وأخلاقا وعملا وحرية ، وطأ نينة على انفسهم وأموالهم . ولذا فان كل فرد يسير فى عمله مطمئن البال هادى النفس مرتاح الضمير .

وقد قال بعض الباحثين إن هذه الاخلاق الراقية نشأت عن امتزاج
الفكر الجرمانى بالفكر اللاتينى . فأخذ السويسرى عن الالمانى صفات
التدين والرازمة والشعور بالتضامن والنظام والثبات ، واقتبس من اللاتينى
البشاشة والادب وجودة الحكم وحسن التقليد والظرف

والسويسرى على اختلاف أصوله ولغته فرنسيا كان أو ألمانيا أو
إيطاليا قليل الفضول لا يسألك فى الفندق ولا فى الشارع اذا تعرفت اليه
عن مقاصدك ولا يتبع عوراتك . ولما ترك السويسريون الناس وشأنهم فى
هذه البلاد نشأ فى امم أوروبا وأمريكا حسن الظن بهم فاختروا سويسرا
مضيفا ومشتى

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

صديقه لوزانه

هذه المدينة بديمة المناظر فخمة المباني مشيدة على سفح جبل اكسب
مناظرها جمالا وعظمة . شوارعها منحدره الى بحيرة جنيف . غاية فى النظافة
مرصوفة بالاحجار والاسمنت . منسقة تنسيقا بديعا . تروح النفس اليها
وترغب السير فيها ، وان كانت كثيرة الصعود والانحدار . منازلها غاصة
بالحدائق والاشجار تتدلى فواكهها فى الشوارع . فلا تلمسها يد لأمس . مع أنها
قريبة المنال . والسائر فى ضواحيها ، كأنه يسير وسط حدائق غناء . فاكهتها
كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة . مساكنها ليست ضخمة البناء . ولا عظيمة
الارتفاع . كما فى إيطاليا وفرنسا . فلا يزيد أكثرها عن ثلاث طبقات .

مزينة في اطنافها وشباييكها بالازهار وأنواع الاشجار المتساقطة التي تصعد
حتى آخر البناء ، فلا يظهر منها الا نوافذ مكنتفة بالحشائش . فاراضها خضراء
وحوائطها خضراء وسقوفها حمراء .

فكانها اعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

يفصل كل منزل عن الآخر حديقة شبيهة الازهار ، جميلة التنسيق ،
بديعة الترتيب ، فكان المنزل روضة عظيمة ، امتدت اغصانها ، واشتبكت
افنانها وتدلّت فواكهها ، تفتن الالباب بحسنها وجمالها ، وزهرها واغصانها
مما يقر العين ويشرح الصدر

وقد شيدت على خمسة تلال ممتدة على شاطئ بحيرة جنيف ، وقد زرنا
ضاحية من ضواحيها ، يحف منازلها البحيرة ، فرأينا آيات الجمال والفخامة
وحسن المنظر ، مما يعجز عن وصفها الواصفون ، ويقصر عن نعمتها الكاتبون
نحولنا في شوارعها وطرقاتها ، ومنحنياتها ومنعطفاتها ، مضيئاً فيها مدة كانت
من اشهى اوقاتنا ، وقد دعانا جمال البحيرة ، وما نظم على شواطئها من المباني
والقصور والحدائق الى أن ركب زورقا . فاخترنا من اجملها واحداً ، وسار
يخترق بنا ماء البحيرة الهادئ الذي يتجمد سطحه من النسيم فينحسر عن
زرقة جميلة يحف الزورق كثير من الطيور والبجع . فجمعنا بين طرق
وشيت جوانبها بانواع الاشجار . الى زرقة في الماء وزرقة في السماء . وجمال
طيور تسبح في الماء

وبمناسبة تلك الزهرة اذكر اننا ساومنا صاحب الزورق في الأجر
فكانت أكثر مما كنا نتظر لما اضيف اليه من أجر المجذف فاردنا أن نعتذره

بأن ليس معنا من الدراهم المصروفة ما يكفي أجر الزورق فاجابنا بكل لطف
وهدوء بانه اذا لم يكن معكم ما يكفي فاحضروه غداً . فذهات لاجابة هذا
النوتى . وقلت عجباً لرجل يعرف اثنا من السائحين . ولسنا من أهل بلده
ويأمن أن نرجع له بالاجر غداً بعد أن تنصرف عنه : وما عهدنا عاملاً
قبله صنع مع من لا يعرفه مثل ما صنع . ماهذه التربية التى غرست فى نفس
هذا العامل الصغير . حتى جعلته يأمن من لا يعرفه ؟ لانه شب على هذا وعامل
الناس بها . فلم يعرف غيرها ولم يتسرب الى نفسه الخبث والشر . فيظن
غيره مثله . فيعامله بماطبعت عليه نفسه من الشرور والاثام . فما اظهر قلبه
واتقاه . وما أنفس هذه التربية التى جعلت احط طبقة فى الامة كأكبر
رجال الاخلاق والآداب . اذا كان هذا شأن نوتى فى الامانة وطهارة قلبه
من الرجس والادران فما يكون حال الطبقة المتهذبة الراقية . اعتقد أنهم
لا يأتون عملاً ينافى الذوق والآداب ، محافظين على احترام القوانين . عرف
كل واجبه ، فنزع الغل من صدورهم . فاصبحوا اخواناً متآلفين لا يحدث
نفس أحدهم أن يرتكب جريمة ضد الواجب والقانون . لا يعامل اخاه
بما لا يجب أن يعامل به نفسه . فاستراح الشرطى واطمأنت نفوس الناس
على اموالهم وأرواحهم قسار كل فى عمله هادئ البال مطمئن الخاطر مرتاح
الضمير فلا تقع عينك على شرطى يراقب حركات السائرين والراكبين
ليرشدهم الى واجبهم ولم أر شرطياً إلا مرة واحدة فى بعض شوارع مدينة
جنيف . وبعد أن حللنا مدينة لوزان رأينا أننا انتقنا من جو ايطاليا
الحار الى جو بارد قد كسى بالغيوم السوداء واحتجب عنا ضوء الشمس



کوه دماوند

إلا قليلا مع انسكاب الامطار أغلب اليوم ، فاعتقدنا اننا أصبحنا في شتاء
لشدة البرد وتوالى سقوط المطر والرعد القاصف والبرق الخاطف ،
فأسرعنا الى تغيير ملابسنا الصيفية بملابس شتوية ، لانا قد حسبنا هذا
الحساب من قبل . وكنت لا اقوى على الجلوس في حجرتي بدون معطف
ثقيل يحول بيني وبين البرد

ومما يسر الناظر انك لا تجد قطرة من المطر تبقى بعد نزوله على
الارض لكثرة الاستعداد لتصريف مياه الامطار . ولذا فان عقب سقوط
الامطار تصبح الشوارع كأنها مرشوشة رشا خفيفا . ويكون لمنظر
حدائقها المرصعة بقطرات الماء بهاء ورواء

وهناك كنا نأكل في اليوم ثلاث اكالات ممتعة بشهوة عظيمة مع
الهضم السريع المنظم . فلا يشكو الانسان سآمة ولا ملالا ولا وجعا ولا ألما
وقد أحسننا بنشاط وصحة وعافية . ويغاب على ظني ان هواء لوزان وجوها
من أحسن الأجواء في سويسرا . وقد لاحظت على وجوه أهلها دلائل
الصحة والعافية ، يترقق في وجوههم ماء الحياة ، عاتها حمرة الورد ، سواء
في ذلك الرجال والنساء الكبار منهم والصغار

ومما يشاهد في نساء لوزان انهن يتصفن بالنشاط والقوة وحب العمل ،
والبساطة في الملبس ، وعدم التبرج والخلاعة . فلا يستعملن الاصباغ
ولا ينتنن في مشيتهن ولا يلتفتن يمينا وشمالا بل يسرن لما يقصدنه من
اعمالهن فهن كالانكليزيات من بعض الوجوه

والنساء من الطبقة المتوسطة يخرجن لقضاء لوازم منازلهن الساعة
السادسة مساء . وبعد قضائها يرجعن الى منازلهن يحفهن الجلال والاعظام

وقد شاهدت عكس ذلك من نساء مدينة جنيف وذلك لقربها من فرنسا مع أن المسافة بين لوزان وجنيف لا تزيد عن ساعة في القطار السريع وليست في لوزان آثار ومتاحف تستحق الزيارة . غير أني قصدت زيارة الجامعة فالفيتها في ميدان فسيح . شيدت على رابية مرتفعة . بناؤها ضخم . يرفرف فوق بابها علم الحرية الخفاق . فدخلتها من بابها الكبير الذي يصعد اليه بعدة درجات . فرأيت مدخلا فخما . علقت على حوائطه أطر بها تعليمات لطلبة الجامعة . ثم طلبنا مقابلة مدير الجامعة فلم نجده وارشدونا الى النائبة عنه فقابلتنا بلطف وبشاشة وتحية عظيمة فاخبرناها بقصدنا فاسفت جدا واخبرتنا ان هذا اليوم عطلة ليس بالمدرسة طلبة ولا مدرسون فاظهرنا اسفنا الشديد لذلك ثم اعطتنا برنامجا لما يدرس في الجامعة من العلوم ، اثناء العطلة الصيفية ، وقد تمكنا من رؤية بعض حجرات الدراسة ، وهي على احسن ما يكون من النظام والترتيب والتنسيق والزخرف ، جدرانها وسقفها مزينة بالصور الجميلة أرضها متحدرة الى منضدة المعلم التي تكتنفها شجرتان جميلتان اعطتا الحجر رونقا وجمالا والجامعة متحف جمع فيه من أنواع الطيور والحيوان البرى والبحرى مصبرة شئ كثير رأيت من أبواب زجاجية واسعة وهنا اعتقدت ان هذا الاستعداد العلمى الكبير هو الوسيلة العظمى فى نجاح الطلاب لانهم يفهمون دروسهم فهم مشاهد مدرك حقيقة ما يشرحه المعلم ، فيثبت فى ذهنه ثبوتا لا يحوه كراياام والسنين والاعوام ، وليست نظريات العلوم التى يلقيها المعلمون على الطلبة مجردة نفعا مالم تصحبها المشاهدات وهنا تذكرت جامعة مصر وتمنيت ان لو كان لها من العلوم والمعدات

ما جامعة لوزان ، حتى يدرس فيها العلم الصحيح النافع في الحياة ، ويفهم طلاب مصر ما يفهم طلاب لوزان مع أن لوزان بلد صغير والقاهرة بلد كبير ولكن هناك حرية وعقول مفكرة وأيد عاملة ، بعيدة عن القيود ، فتمت نموا حسنا وفكرت بهدوء وراحة واطمئنان ، فانتجت نتائج حسنة ، عادت على الأمة بالفائدة المرجوة ، ومن لنا بهذه الحرية الغالية ، فينمو العقل المصري المشهود له بالدكاء الفطري ، فيبحث وينقب ، فينتج لنا النتائج والمخترعات التي نشاهدها الآن في الامم المستقلة الحرة . ومن يأخذ بيدنا ويصعدنا الى سلم العلوم والمعارف الحقة حتى نكون مثل تلك الامم الراقية التي عرفت علاج نفس ابنائها فداوتهم بدوائها الناجع

واذا عرفت ماتحويه هذه المدينة الصغيرة من المدارس ، لأخذ منك العجب مأخذه ، وعلمت اننا من التأخير بمكان سحيق . تحتوى هذه المدينة كما اخبرنا على مائة مدرسة للبنات ، ومدارس تحتوى على ستة آلاف طالب ، فانظر يا رعاك الله الى درجة انتشار التعليم في تلك البلاد ، ووازنها بحالة التعليم في بلادنا ، تجد البون شاسعا والفرق عظيما ، والشقة بعيدة ، فلا تجد لحكومتنا السنية من مدارس البنات ما يذكر بجانب تلك مع أن تعليم البنت من أقوى الاسس لرقى الامم ونهضتها

البنت مدرسة اذا أعدتها أعددت شعبا طيب الاعراق

وياحبذا لو كان تعليم البنت في مدارسنا يؤهلها لان تكون صالحة للعمل في بيتها ، بل بالعكس يفسد عليها حالها ، ويجعلها لا تهتم الا بالتأنق في ملبسها وزخرفه وتبرجها ، مما يكلف القائم بشأنها نفقات باهظة تدعوه

الى كرهها وبغضها . وفي الوقت نفسه لاتعمل عملا نافعا يعود عليها وعلى اسرتها بالفائدة . ولا انكر أن قليلا منهم يقمن في منازلهن ببعض الواجب

والمرأة السويسرية مشتهرة بانها لاتحب الظهور كل ساعة للناس ، وهي مخصصة كل الاخلاص في عملها ، تؤثر تعهديتها على كل شيء ، وتفكر كثيرا فيما يعود على حياتها البيتية بالمنفعة فتترك السفاسف من الامور والزينة والتبرج لايشتغل من قلبها مكانا ، فهي امرأة منزل وعمل ، تهتم لبيتها اهتماما غريبا ، وتظهر حبها للنظام بدرجة فائقة فما من بلد في الارض ساوت فيه المرأة الرجل ، كما هي في سويسرا فهي قرينته في عمله ، وهذا ناشئ من تربيتها على حب العمل

وهنا نقل عبارة عن بعض الكتاب قال : (وقد بلغ سنة ١٩١٠ عدد السويسريات اللاتي يعملن في الصناعات المختلفة من زراعية وتجارية وصناعية نحو ١٠٠٠٠٠٠ امرأة هذا في شعب أقل من أربعة ملايين فاذا فرضنا أن النساء مليون وتسماية في سويسرا واخرجن منهن العاجزات وصغار البنات لا يبقى الا عدد لا يذكر غير عامل من النساء ، فالمرأة العاطلة عن العمل ليست بضاعة سويسرية)

والعاملات من النساء على نسبة العاملين من الرجال ، وقد أحرزن منذ زمن طويل الحق بان يكون منهن الطبيبات والمحاميات ، ومشاركة الرجال فيها ، وقد قال أحد محرري جرائد لوزان أن الناس هنا يعملون مهما كانوا أغنياء ولا تكاد تجد عشرة في مدينة لوزان لاعمل لهم على كثرة أغنيائها وارباب الاملاك فيها

المستشفى

قد علمت وأنا بلوزان أن بها مستشفى من أحسن المستشفيات ،
فقصداً لزيارته ، ولما وصلنا إليه أدهشنا بناؤه ، وراقتنا حديقته ، شيد على
ربوة عالية النظف من الكف ، والطف من الهواء . جلت في طرقاته
وافنيتته الكبيرة الموشاة بالازهار ، واشجار الصنوبر والكافور تنتشر منها
الروائح الزكية ، غاية في حسن المنظر لنظافته ونظام بنائه ، وتنسيق
طرقاته ومنحنياته

وقد استأذنا في زيارة حجر المرضى لئلا نرى نظامها وكيفية علاج المرضى
فيها فلم يسمح لنا بذلك ، إلا أنه من حسن الحظ أن صودف أثناء سيرنا
في طرقاته وجود عدد كبير من الاطباء ، يتقدمهم رجل ابيض الوجه
عظيم الاحية ، تظهر عليه القوة والنشاط والذكاء ، وهو الطبيب الخاص
بامراض النساء ، هؤلاء يقصدون حجر المرضى من النساء ، ليروا بعض
امراضهن ، فاختلطنا بهم وسرنا معهم ، حتى دخلنا حجرة من حجر المريضات
حيطانها لامعة ، واسرتها غاية في النظافة وحسن الترتيب ، ادواتها تامة
كانها لم تستعمل

اكثر المريضات نائمات على وجوههن ، وقد رفعن رؤوسهن حين
دخولنا فראبنا وجوها نضرة تعلوها الحمرة ، شعورهن مشطة ملمومة يعلو
بعضها الورد الاحمر ، حالتهن لانهم عن مرض ، حتى قال صاحبي حين نظر
اليهن (انهن مريضات بالصحة) ، وهنا تقدمت مريضة الذراع عند مرفقها
ويظهر أنه طال مرضها ، واستعصى شفاؤها ، جلست على كرسي باسمه

الشعر ، وقد اجتمع حولها الاطباء ، واخذ الطبيب الخاص بمعالجتهم يشرح مرضها بعبارات جميلة خلابة ، والقاء جذاب ، مع المداعبة والفكاهة من حين الى آخر فيضحكهم وهم يصغون لكلامه تمام الاصغاء . لبث كذلك يشرح مدة طويلة حالة المرض ، ويريهم صورة المرض التي اخذت بالاشعة ولما كنا لانفهم كثيراً هذه الاصطلاحات العلمية ، وطال بنا الوقوف تسلىنا من بينهم ، معجبين بالاعتناء بحالة المرضى ونظافتهم ، وما يلوح على وجوههم من الراحة والاطمئنان ، ومغتبطين بضخامة المستشفى ونظافته وحسن تنسيقه وترتيبه . وفي ظني أنه لا يدخله مريض حتى يتم له الشفاء ان كان في عمره بقية

أثمان النجارة في لوزان

أثمان السلع في لوزان مرتفعة ارتفاعاً فاحشاً ، من ملابس ومأكل ومشرب ، وقد أخذني العجب حينما رأيت ثمن علبة (السردين) التي تشتري بقرشين في مصر تبتاع بثمانية قروش صاغاً ، والبذلة الافرنكية التي تبتاع في مصر بثلاثة جنيهات ، تبتاع هناك بسبعة جنيهات ، وقس على ذلك جميع الحاجيات ، حتى أجرة الترام والسكك الحديدية ، وهذا الغلاء يلاحظ في مدينة جنيف أيضاً ، إلا أن العيشة في الفنادق رخيصة جداً ، فإن السائح يجد الراحة التامة والطعام الشهي ، يأكل وينام بقيمة لا تزيد عن ستين قرشاً مياومة مع الخدمة التامة والمعاملة الحسنة . ونظافة الخدم وجودة الطهي والزبدة هناك كثيرة شهية تقدم مع كل أكلة والفضل في هذا الرخص يرجع الى الحكومة التي ألزمت أصحاب

الفنادق بتخفيض الأمان تخفيضاً كبيراً ، حتى يرغب السائحون في الإقامة بسويسرا التي تستفيد منهم فائدة كبيرة . ولقد كان بعض البقاع في سويسرا منذ ثلاثين سنة من أفقر بلاد أوروبا بفضل هذا الرخص وما أنشئ فيها من الفنادق وبذل أقصى ما يمكن لاستجلاب رضا السياح والمصطافين ، أثرت تلك الاصقاع ، وأصبحت سويسرا تعتمد في ثروتها على القادمين إليها من جميع أقطار الأرض ونواحيها حتى سموها (فندق أوروبا) وهذه الثروة الكبيرة الطائلة التي يبذرها الأجانب فيها ، لم يحصل عليها مصادفة واتفاقاً فان علم جلب الغرباء وترغيبهم قد أصبح في سويسرا علماً حقيقياً ، له أساليب وقوانين ، وجرائد ومنشورات وكتب متنوعة الطريقة

وقد علم السويسريون بالتجارب والاختبار أن السائح يستمال بأشياء كثيرة منها نشر الاعلانات الكثيرة الغريبة التي تلفت الانظار ، وللصور المقام الاول فيها وكل ادارة أو نقابة توزع منشوراتها بالمجان ، وكثيراً ما تكون كتاباً كبير الحجم يحتاج طبعه الى المال الكثير . ولكن الثمرات التي تعود من ذلك قد قدرت بثلاثة أضعاف ما ينفق عليها

ومنها ان كل صاحب فندق لا تحدته نفسه باحتكار السياح ، بل يهتم أولاً بنجاح المدينة ، ثم الناحية وأرباحها ثم النجاح العام . وهذا لم يتم إلا بالتضامن بين أبناء هذه الحرفة . فتشترك جميع الفنادق في أن يعملوا عملاً يسر جمهور النازلين والوافدين الى فنادقهم

وقد ألف معظم أرباب الفنادق نقابات عمت المقاطعات ، ثم ألغت المقاطعات كلها نقابة واحدة فاصبحت فنادق سويسرا كفندق واحد . ومنها أن كل سائح يجد راحته في الفنادق على اختلاف أنواعها واختلاف

أذواق الناس واقتدارهم ، فن أراد الرفاهية وجدها ، ومن أحب المتوسط كان له ما أراد ، وكذلك من أحب أقل من المتوسط

ومنها اظهار العناية بالسائح عناية تجعله لا يمل الإقامة وارشاده الى كل ما يريد بكل لطف وذوق وانسانية ، فقد علمت أن بها أكثر من مائة مدينة وسبعة توجد فيها مكاتب لارشاد الغريب والقريب ، يسأل الانسان فيها عما يشاء ، مجاناً وقد نظمت هذه بمعرفة الشركات المحلية ولا عمل لعمال هذه المكاتب الا أن يجيبوا الناس عما يسألون من الصباح الى المساء

ومنها أنك لا تجد أحدا يضايقك في معاملتك فلا تجد حوزيا يلح عليك في أن تترك مركبته ولا عاملاً من عمال الفنادق يلح عليك أن تسير معه الى فندقه بل كلهم يلبون طلبك بلطف

وما برحت شركة الفنادق تتفنن في ترغيب السائحين وراحتهم ونشر الكراسيات والكتب التي لا تقصر في توزيعها ، ومما أنشأته مدرسة لتعليم إدارة الفنادق يتعلم فيها مدير الفندق تعليماً يجعله عالماً بأساليب جلب رضا السائحين ، لأن ضرورة المبالاة وحاجات النازلين في الفنادق وصعوبة الحياة الحديثة تجعل صناعته مشكلة يوماً بعد آخر ، ولذلك أوجدت مدرسة داخلية في ضواحي لوزان واسعة الأرجاء مطلة على البحيرة ، وجعلت أجرة الدرس والا كل فيها لا تزيد عن ١٣٠ فرنكاً في الشهر لاءبناء سويسرا ومائة وستين للغريب ، ومدة الدراسة فيها ثمانية أشهر ، ويسأل الطالب فيها في الاكثر في اللغات الحية ويجب أن يكون سنه من ١٦ الى ١٨

وتدرس في هذه المدرسة (١) اللغات الحية كالانكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية (٢) الحساب (٣) الجغرافيا العامة وجغرافيا المواصلات

(٤) تاريخ سويسرا (٥) حسن الخط والحساب (٦) أصول معاملة الفنادق والمعاملات التجارية على أصول الدفاتر (٧) معرفة الحاصلات (٨) نظريات في الخدمة والتنظيم وحسن الهندام (٩) كيفية تقديم الطعام وحفظ الصحة والرياضة البدنية والالعاب والرقص

فانظر بم ترقى الامم وتنهض وتنسم ذروة المجد وتبلغ مدى ما يمكن بلوغه في الحضارة والمدنية ، وكيف يجلبون الارزاق الى بلادهم وثقتهم في العمل الى حد لا تباريهم فيه أمة أخرى اذا استثنينا الامريكان ونزع الغل والحسد من صدورهم وتكاتفهم في العمل متساندين متعاضدين متآلفين . بهذا ترقى الامم وتسمد ، وتميش عيشة هناء ورخاء ، وبهذا ينشر فضل الامم ويذاع صيتها وتحسن سمعتها ويشاد بذكورها في كل جهات المسكونة ، وبهذا تنمو الحرية وتزخر بحرها ويعج عجاجه ويكثر خيرها

ولقد يهولك فيها كثرة صناديق البريد وذلك يظهر كثرة البيع والشراء والاخذ والعطاء ونمو التجارة وازدياد الصادر والوارد ، حتى لقد ذكرت إحدى الصحف مامعناه (ينم عن ارتقاء الشعب كثرة البريد وكثرة ما يبتاعه من الصابون والسكر) وقد امتازت الدانمرك بكثرة بردها فان لكل ٢٣٤ ساكنا فيها صندوق بريد وفي سويسرا لكل ٢٨٦ نسمة صندوق بريد ، ولكل ٢٣٠ في لكسمبرغ صندوق

ثم تجيء المانيا ففرنسا فالنمسا فالبرتغال فالعثمانيون اذ ليس عندهم غير صندوق واحد لكل ٦٩٥٣٠٠ نسمة

هذا بعض معلومته عن سويسرا وما يأتيه الافراد والشركات والحكومات لجلب السياح اليها حتى اصبحت فندق اوربا حقا وعدة

من لوزان الى جنيف

ازمعتنا السفر من لوزان الى جنيف ، فقصدا محطتها الساعة التاسعة والنصف صباحا ، فسار القطار يخرق مروجاً فيحاء وجنات واسعة تابعا شاطئ البحيرة في سيره ، ووصف هذه المناظر ، لا يزيد كثيراً عن اوصافنا التي وصفنا بها ارض سويسرا حين قدومنا اليها ، غير أن الجزء الذي قطعناه من لوزان الى جنيف كان قليل الجبال والتلال . ومما يمتاز به هذا الجزء جمال المناظر والقصور المنتشرة على شاطئ البحيرة هنا وهناك وكثرة الحدائق والجنان ، حتى مدينة جنيف ، وقد وصلنا اليها الساعة العاشرة صباحا

مدينة جنيف

مدينة نخمة المباني ، متسعة الشوارع ، كثيرة الحوانيت ، مشيد جزء منها في منبسط من الارض على ضفاف البحيرة المسماة باسمها . منازلها مستديرة حول البحيرة ، حيث تستدق عند خروج نهر الين منها الذي يشطرها شطرين عظيمين . وقد أقيمت الجسور الكثيرة على مجراه ، لتربط اجزاء المدينة بعضها ببعض ، صنعت عدة منحدرات في مجرى النهر عند خروجه من البحيرة ، يفتتح بها في توليد الكهرباء وادارة بعض المعامل والمصانع ، فترى الماء عند انحداره ، كأنه فيروز ينتثر على الأحجار . وقد امتازت هذه البحيرة بصفاء مائها وزرقتها ، تخر فيها الجوارى الحسان ، المزينة جميعها بالاعلام ، تحمل السائحين والمتنزهين والمتفرجين الذين يقصدون المدن الجميلة الواقعة على شواطئها ، مثل مدينة افيان وفيقيه ولوزان وغيرها ، من المصايف المشهورة . ويحيط بهذه البحيرة جبال بهية مجللة قممها بالثلوج

الناصعة البيضاء ، والتي تتلون بالوان جميلة زرقاء وخضراء وبيضاء في غضون
مرور الشمس عليها ، يقصدها اكابر البلاد واغنياؤها والسائحون ، وفي
اكثرها قصور لبعض الاغنياء وفنادق جميلة ، شيدت على قمم الجبال ،
تستهوى الأفتدة بمناظرها الفتانة وشكلها البديع

ولا اكذب القارىء اذا تحدث اليه بذهولى لرؤية هذه المناظر
مجمعة ، زرقاء ماء ، وجبال شماء ، وتلوج ناصعة بيضاء ، وقصور فيحاء
وحدائق غناء

ولجنيف شهرة كبيرة بمدارسها الجامعة ، يقصدها الطلاب من كل
الانحاء ، وبها معامل كثيرة لصنع الساعات ، وأهلها يتكلمون الفرنسية
لمجاورتها لفرنسا ، وأعظم متنزهاتها البحيرة وما يحيط بها من آكام وجبال
شيدت فوقها القصور ، وطرق وشيت بالاشجار ، وحدائق رصعت ببدايع
الازهار خصوصا ماوقع منها على شاطئ البحيرة ، وقد انشئ عليها شارع
طويل جدا ، عبارة عن متنزه ، يكتظ بالمتنزهين الذاهبين والآيبين ،
فيكون لذلك أثر في النفس وراحة في القلب ، به انواع كثيرة من الاشجار
ضخمت جذورها ، واشتبهت فروعها ، زينت جوانبه بانواع الازهار
والحشائش ولا غرابة في أن يكون اهل جنيف اهل رقة ولطف
وذكاء متوقد

ولقد شعرنا بتغيير الجو فجأة ، حيث انتقلنا من جو لوزان البارد الى
جو جنيف الحار ، مع انها لا تبعد عن لوزان الا بمقدار ساعة في القطار
السريع ويظهر أن تشييد لوزان على سفح الجبل اكسب جوها برودة
ولقد داخلني سرور لا يوصف ، لرؤية منبع نهر الرين من نهاية البحيرة

المستدق عند جنيف ، حيث أقيمت عليه عدة قناطر (كبارى) تربط
أجزاء شوارع المدينة بعضها ببعض وبين كل جسرين تكون جزء صغير
من النهر يسمح فيه البجع والزوارق البخارية التي تحمل المتفرجين والمتزهين
تعدو وتروح بهم فرحين مسرورين. وقد ركبنا زورقا اخترق بنا عدة أجزاء
منها مارا من فتحات القناطر ، وقد تكونت في بعض هذه الأجزاء من
المياه جزيرة صغيرة ، يصل الإنسان إليها من طريق ممتد من أحد الجسور
المقامة على النهر ، بها متنزه جميل وأشجار باسقة ، وقهوة جميلة ، اقيم في
وسطها تمثال نخم للعالم الفيلسوف الذائع الصيت (جان جاك روسو)

ومما زاد سرورنا أننا نزلنا في فندق على شاطئ البحيرة (يسمى روجينا)
واخترنا حجرتنا في الطابق الرابع ، فظهرت لنا البحيرة ليلاً تتلألأ بها
الانوار الساطعة اللامعة ، فينعكس ضوءها في الماء كزئبق رجراج ، اوفضة
نثرت عليها أحجار الماس ، والزوارق تعدو وتروح بالسائحين يجتلون مناظر
هذه البحيرة الجميلة التي أبدعت تنسيقها يد الطبيعة

عصبة الادمم

في اليوم الذي وصلنا فيه الى جنيف ، قصدنا زيارة دار عصبة الأمم
فראينا بناء ضخماً فسيحاً يشرف على بحيرة جنيف ، تزينه حديقة كبيرة
فاستأذنا في الدخول فاذن لنا. وقد صحبنا في زيارتها احد مستخدميها
المعارفين ، فارانا الحجره التي يجتمع فيها اعضاء العصبة . ومقاعد محررى
الجرائد فيها والمتفرجون يجلسون خلف محررى الجرائد اذا كانت الجلسة
علنية . والحجرة واسعة جميلة المنظر ، مزينة بالرسم والنقوش ، وفي آخرها

الجنوبي مبنى يرتفع قليلا ، وضمت عليه المنضدة المكسوة بالخمل الازرق وحوّلها كراسى اعدت لجلوس الاعضاء . وقد فرشت ارضها ببساط ازرق من لون غطاء المنضدة

وبدار العصابة مكتبة من أحسن المكاتب نظاما وتنسيقا . مباحة لكل من يريد الاطلاع على أنواع العلوم والفنون . صفت فيها المناضد والمقاعد ليجلس عليها بعض المفرمين بالاطلاع ردحا من الزمن وقد رأيت في هذه الدار حجرة واسعة مستطيلة . رصت فيها الكراسى على هيئة مدرج (أنف تياترو) قليل الانحدار . وقد اعدت هذه للجمعية العمومية لعصابة الامم ، لالقاء الخطب والمحاضرات في الشؤون الهامة ، يحضرها كثير من ذوى الحثيات والمقامات الرفيعة . مزينة جدرانها واسقفها بالصور الجميلة والنقوش البديعة . وقد سألنا مرشدنا عن عدد الدول التي انتظمت في سلكها فاخبرنا انها تبلغ نحو اربع وخمسين دولة . ولاربعة واربعين دولة موظفون بهذه الدار . يقومون بشئون دولهم فيها . وقد اتفق وجودنا وقت انصراف الموظفين ، فرأيناهم يتقاطرون رجالا ونساء من جميع جهاتها مختلفي الوجوه والالوان والازياء فترام بادى ذى بدء ، سألحين يزورون هذه الجمعية كما زور ، فسررت جدا لمشاهدتها ، وتذكرت ما يحكم به هؤلاء الاعضاء على الامم والشعوب المهيضة الجناح ، ويقضون فيما يقع بينهم من المشاكل والمنازعات السياسية ، وهى مفيدة نافعة اذا تجرد اعضاؤها عن الهوى ، وعدلوا واقاموا الوزن بالقسطاس ولم ينحازوا الى امهم ويعملوا الصالح بلادهم فحسب ، ويقضون القضاء المبرم على الامم الماجزة التى لا حول لها ولا قوة فتقع فريسة بين مخالبهم الحادة المهاكة

وهنا وددت لو كنا مستقايين استقلالاً حقيقياً متمتعين بحريتنا حتى
نصبح في عداد الأمم الحية الحرة التي تفقت عنها غبار الذل والهوان
ورثت في مجبوحة العز والهناة ، وكسرت قيود الاستعباد ، ويكون لنا
ممثلون يشغلون محلا في دار هذه العصبة ، ويعملون لخير بلادنا ويدفعون
عنا غائلة الأمم القوية الفاتكة

جامعة مونتيف

واقعة في الجزء المرتفع من المدينة على شاطئ البحيرة ونهر الرين ،
امامها ميدان فسيح به بعض التماثيل ، غير أن بناءها أقل ضخامة من جامعة
لوزان . رأينا فيها حجرة الدراسة مشغولة بالطلاب والطالبات ، ملتفين حول
منضدة طويلة ، والمعلم جالس في نهايتها ، يلقي دروسه بهدوء وسكينة ،
بحيث لا يسمع له صوت خارج حجراته ، وبعض الحجرة هيئت على نظام
مدرج ، والطالبات والطلاب مختلطون لاحاز بينهم حين تلقى دروسهم
من المعلم

وقد كان الدرس في هذا اليوم يبتدىء الساعة التاسعة صباحا ، فلما
حان الوقت وجدنا الطلاب والطالبات ، والسائحين والمتفرجين ، يتقاطرون
من كل الأنحاء ، وحضور الدرس مباح لكل شخص مقابل جزء قليل من
الدراهم فاردنا أن نأخذ جوازا بحضور درس من الدروس ، حتى نطلع على نظام
التدريس ، وكيفية الاقامة ولكننا اخبرنا ان الجوازي يؤخذ قبل الدرس بيوم
والجامعة واقعة في حديقة كبيرة جدا في نهايتها الشرقية تماثيل عدة

لأعظماء رجال السياسة والعلم من اهل سويسرا

وقد كتب على كل تمثال منها بعض أعماله العظيمة التي تدل على مقدار ماله من الفضل والهمة في رقي امته

وهكذا تعيش الامم الحية بتمثيل عظماء رجالها لا بنائها حتى يتسنى لهم النسيج على منوالهم . والاقتداء بأعمالهم . فينشئون على حب الفضيلة والعمل لامتهم وانكار الذات وتضحية المصالح الخصوصية بجانب المصالح العمومية . فيسمى السكل متكاتفين متساندين في رفعة أوطانهم وترقية شئونهم ماديا وعلميا واقتصاديا . فيعيش الافراد ناعمي البال مطمئني القلب .

ومما يلفت النظر في سويسرا بنوع خاص ان دواوين الحكومة ومصالحها ليس بها حجاب ولا خدوم يرشدونك الى محل رؤسائهم

ولقد ذهبنا الى زيارة مصلحة الصحة بناء على ما كتبه مفتش الحدود بين ايطاليا وسويسرا على الجوازات من ضرورة عرض أنفسنا على طبيب الصحة فلما ذهبنا اليه لم نجد من يرشدنا الى حجرة الطبيب الخاص لعدم وجود خدوم ولا حجاب ولا سعاة على الابواب الخاصة بالموظفين بل يدخل الانسان دار الحكومة كأنه داخل في محل خال من الموظفين لان كل موظف داخل حجراته المغلقة . وما زلنا تنتقل من طريقة الى أخرى ومن محل لآخر ونسأل من يصادفنا من الناس حتى وصلنا الى حجرة الطبيب . فاطلع على الجوازات وأعطانا شهادة بأننا اصحاء الاجسام .

وقد كتب على باب حجرة كل موظف هذه العبارة (أدخل بدون استئذان) وحينئذ خطر ببالي (والضد أقرب خطورا بالبال) ما يكتب على أبواب الموظفين هذه العبارة (ممنوع الدخول) كأنه يأتي أمرا منكرا داخل حجراته مع ما يهولك من كثرة الخدوم والسعاة الواقفين على بابه فاذا

أردت الدخول في مصلحة من المصالح المصرية لقضاء شأن من الشؤون أخافك من يقابلونك من الخدم والسعاة والحجاب فلا يمكنك مقابلة الرئيس حتى تقابل الحجاب ثم كاتم السر (السكرتير)، الى الانتظار الممل، بل ان لم ينظر الكاتم إليك نظرة عطف ورحمة خرجت في بعض الاحيان من المصلحة بدون مقابلة الرئيس فتعطل أعمالك ويذهب وقتك النفيس سدى، فتفضل عدم قضاء مصلحتك على ما تراه من الذل والهوان في سبيلها

فتي يأتي الوقت الذي يعرف فيه الموظف المصري واجبه، ويحترم حقوق الناس ويسعى في انجازها، ويعلم أنه ما جلس على كرسيه الا لخدمة الناس وقضاء مصالحهم، وأنه يأخذ أجره من عرق جبينهم، وتمتنع هذه الكلفة والفوارق الهائلة التي تجعل الهوة سحيقة بين الموظفين والاهليين، ولا تكون مصالح الحكومة كالتكاي يقم الموظفون فيها بدون انجاز أعمال الناس. والويل لك إذا دخلت مصلحة لم تعرف بها أحدا فإنه لا يقضى لك أمر ولا ينجز لك عمل وإذا طالبت بحقوقك سمعت ما تكره وربما كان ذلك سبباً في أنه لا تقضى حاجتك إلا إذا توسلت بالرئيس وكان عادلاً لطيفاً

وقد عجبت كل العجب من عمل السويسريين ونظامهم في أعمالهم، وانجازها بالترتيب لا فرق بين قريب وغريب وحقير وعظيم وعلى الجملة فقد جمعت سويسرا بين محاسن الطبيعة ومحاسن الاخلاق والنظام في الاعمال

ولكون هذه المدينة لم تحو آثاراً ولا متاحف لم تطب لنا الإقامة فيها كثيراً وقد غادرناها الى مدينة باريس قصبة فرنسا ان شاء الله .

من جنيف الى باريس

بعد أن فرغنا من زيارة أهم مزار في مدينة جنيف ، قنا منها قاصدين مدينة باريس ، فركبنا القطار الذي يقوم من محطة جنيف الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا ، فوصلنا الى باريس الساعة العاشرة والنصف مساء وحجر القطار فاخرة تحوى ثمانية مقاعد كل مقعد عليه رقمه ليتيسر لكل من يحجز الامكنة معرفة مكانه ، وكل مقعدين يفصلهما فاصل مكسو بالمخمل الاحمر ، وقد سار القطار بنا ينهب الارض منها ، نحو ساعة ونصف ساعة في مناظر سويسرية جميلة ، تأخذ بالالباب وتسحر الاقئدة ، حتى وصلنا الحدود الفرنسية عند محطة تسمى (ديوان التفطيش) فسكننا بها نصف ساعة ومرر بنا المفتش خلفه خمسة رجال يساعدونه ، فيسأل الراكبين هل عندكم شىء ممنوع حمله فيكتفى منهم بقوطهم لا أو نعم ، وبعد ذلك سار القطار في اجزاء من بلاد فرنسا تشبه مناظرها المناظر السويسرية ، الى أن وصلنا الى محطة غير منها القطار اتجاهه ، وهنا سار في أرض سهلة ، متوسطة الخصوبة ، يتخللها قليل من جبال وتلال ووديان وماء جار ومزارع واسعة ، ترتع فيها الماشية محتاطة بسيلاج من الاشجار يمنع الماشية من تجاوزها مرعاها

وعند الساعة الثالثة دعينا في المرة الثانية لتناول طعام الغذاء مقابل سبعة عشر فرنكا ، وانواع الاطعمة لذينة شهية وهى :

- ١ - كامخ (سائلة) وهى سردين - قوطه بيض ممزوج بشىء شهى
- (٢) شربة (٣) بيض مقلى ممزوج بلحم الخنزير ، ولذا لم يكن لنا نصيب فيه

(٤) قطعة من اللحم العجالي الصغير (بتلو) تسمى (روزيف) يصحبها بطاطس
محمرة (٥) جنبه رومي (٦) جيلاته (٧) موز وتفتح

وقد انتهينا من الاكل الساعة الرابعة والنصف . ولما لم يكن يصحب
هذا الاكل ماء غير المشروبات الروحية اضطررت لاختذ زجاجة ماء معدني
ثمها ثلاثة فرنكات قيمة الفرنك بالقطع قرش وربع قرش

وقد أخذ القطار يسير بسرعة عجيبة ، ولم يقف بعد أن جاوزنا حدود
سويسرا غير مرتين حتى وصلنا الى محطة باريس وهنا يعجز القلم عن وصف
الانوار التي تتقدم محطة باريس على مسافة بعيدة ، وقد ظهرت المحطة
والضواحي تتلألأ بالانوار الساطعة الخلابه ، التي تأخذ بمجامع القلوب ،
وتسحر الالباب ، وتترك في النفس أثراً لا يمحي ، خصوصاً لمن لم يرها
قبل ذلك

وقد يخيل للرائي أنه يسير وسط ثريات وأنوار ساطعة ، كأنه في
حتفال بمهرجان عظيم وقد سار القطار مسافة طويلة فيها
وبعد أن وصلنا الى محطتها ، نادى كل مندوب باسم فندقه ، وقد قرأنا
في الجرائد أسماء الفنادق ، والعيشة في الاسر ، وأثمان كل فاخترنا النزول في
بنسيون (عيشة الأسر) ، فركبنا سيارة تطوى الارض طياً ؛ وسط شوارع
واسعة ، كثيرة الاضواء المتلألئة وما زالت سائرة حتى وصلنا الى المكان
الذي تقصد اليه فلم نجد فيه حجرة خالية ، فرجعنا بالسيارة نبحث عن فندق
حتى عثرنا على فندق يسمى (مصر) فارتاحت نفوسنا الى ذكر هذا الاسم
المحبوب عندنا ، ومنينا أنفسنا بالراحة فيه ؛ ولكن الامر كان بعكس ذلك
فان صاحبه طالب منا في الحجرة التي تحوي سريرين ستين فرنسكا عدا الاكل

وهي قيمة كبيرة بالنسبة له ولذا نمنا فيه تلك الليلة وفي الصباح قمنا مبكرين وكان هذا اليوم باردا فتناولنا طعام الافطار وخرجنا نبحث عن السفارة المصرية حتى أرشدنا اليها . وهناك قابلنا حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ البنا إمام السفارة مقابلة شفت عن لطفه للمهود وأدبه الجم ، وحضرة صاحب العزة سيزوستريس بك الذي كان قنصلا لمصر في الباجيك في ذلك الوقت وهو غاية في الأدب وحسن الخلق ورقة الحديث ، وحضرة عبد السلام بك الجندي المملوء هممة ومروءة وذكاء ، وغيرهم من موظفي السفارة . فارتاحت نفوسنا واطمأنت قلوبنا ، وأصبحنا كأئنا في مصر ، لوجودنا بين أبناء وطننا العزيز وأخذنا نتجاذب اطراف الحديث عن مصر وحالتها العامة برهة من الزمن ثم سألناهم عن الفنادق التي يعرفونها فأرشدونا الى فنادق جميلة اخترنا منها واحدا موقعه أمام القنصلية المصرية وأجرة النوم فيه خمسون فرنكا بما في ذلك الاكل . فاحضرنا حقائبنا اليه وتناولنا فيه طعام الغداء واسترحنا الى الساعة الرابعة وبعد ذلك خرجنا لنرى أهم شوارع باريس . وهنا يقف القلم ويحمد الفكر ولا يعرف كيف يصور الكاتب أو يصف ما يقرب جمالها وحسنها الى ذهن القارئ لانها جمعت من المحاسن نصيبا وافرا ولكن أجدني مضطرا الى ذكر شيء مجمل عن وصف باريس وما حوته من الجمال والابداع

باريس

هي باجماع آراء الكتاب والزائرين لها والقادمين عليها والساكنين فيها أول مدائن الارض عظمة وضخامة ، وزهاء وبهاء ، ورونقا وجمالا .

وحسنوا جلالاً . لم ير الناس من يوم أن قامت للحضارة والمدنية قاعة نظيراً لها يناظرها ، ولا شبيها يشابهها . في جمال شوارعها . وضخامة مبانيها . وعظمة ميادينها ، ومتاحفها وحاناتها ومتنزهاتها ، وتنسيق حدائقها وقصور ملوكها ، ورقة أهلها

فهي مركز دائرة التمدن الحالى ، ونبراسه الذى ينير ما حوله من البلدان والممالك . مقصد الطلاب . وقبلة السائحين ، ونزهة المهومين . ومفرجة كرب المكروبين ، يؤمنونها من فجاج الارض على اختلاف مللهم ونحلهم وأجناسهم ؛ ويتسللون اليها من كل حذب وصوب . فلا تخلو هذه المدينة العظيمة من الآلاف المؤلفة تنساب اليها من جميع الاقطار والنواحي القاصية والدانية ؛ سواء فى الصيف أم فى الشتاء ليمتعوا ارواحهم بنجائها . ويعتدوا نفوسهم بزيارة معاهدها ومتاحفها وآثارها . ويرتضعوا لبيان علومها ومعارفها . ويرتشفوا من منهلها العذب . ويرجعوا الى بلادهم متضلعين فى العلوم والمعارف وأنواع الفنون والصنائع . فهي مطمح القاصد ونجعة الرائد . ومورد الظمان وجنة الضجر . وسلاوة المحزون . منبع الازياء ومصدر الكياسة واللياقة واللطف والظرف . أس الحضارة وفهم الاشارة وموطن الرقة والرشاقة . يقفوا المتمدنون أثرها ويتبعون خطواتها وينسجون على منوالها ويحتذون حذوها فيما يستجد فيها من التمدن

طليلة المدائن العظمى فى العلوم والمعارف والمخترعات ، عليها اعتمد الناس فى ترقية النش ، وارسلت اليها الممالك المختلفة ، والبعوث الكثيرة ليرقوا بلادهم بما تعلموه واستناروا به من علوم هذه المدينة العظيمة وفنونها فعملوا شأنها وتصبح امة حية ناهضة ، بين الامم الراقية

ولقد كان لها الفضل الاول في ترقية افكار المصريين ، المرسلين اليها
زمن محمد علي باشا وخلفه ، فرجعوا منها حاملين لواء العلم ، ونالوا في ميدانه
القدس الملى فاصبح يضرب بذكائهم المثل ، ولهم الأثر البين في النهوض
بامتهم وترقية احوالها ماديا وأديبا ، وفي رواج الصناعة والتجارة وتنظيم الجيوش
ونظام الشوارع والمدن ، والحدائق ، وسن القوانين والنظام الذي ضمن
سير الامور على محور الاستقامة والعدل

فيها من المعارض والمتاحف ، ودور العلم ، وبيوت الصناعة ، ما يعجز
القلم عن وصفه وتعدادده ، وبيان قيمته الفنية والعلمية ، التي تدل دلالة
واضحة على ما لفرنسا من القوة العالمية ، والمجد التالد ، وضربها في العلوم
والمعارف بسهم وافر ، حتى اصبحت علما يهتدى بها ، ومنارا يسترشد به ،
في دياجير الظلمات ومداهم الخطوب والنوائب ، ولطالما تغنى المادحون
بمدحها واجاد الواصفون في وصف تلك المشاهد والمناظر التي تسر الناظرين
وقفت عقول السامعين

يخيل إلى السائرين في شوارعها وطرقاتها ومنعياتها انه في عيد عظيم
واحتفال جسيم ، لان أهلها في هرج ومرج ، غادين راحلين ، لبس
وخلاعة ، جمال ورشاقة ، وجوههم مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، تحسبهم لم
يخلقوا الا للنعيم ولم يعيشوا الا في هنائه ، لا يعرف الشقاء ولا البؤس لهم
بابا ، بهرعون الى هاتيك المتنزهات اليانعة ، والرياض النظرة ، ذات الازهار
الجميلة ، يكبون على الملاحى ، ويتهافون عليها ، تهافت الفراش على النار
فهى بهم غاصة ، وبمناظرهم الجميلة مزدانة ،
يدلك على مقدار تهافتهم على دور التمثيل والملاحى انى قصدت مرة

ان احضر رواية (تاييس) في الابراحتى ادى بيعى ماشوقى الى رؤيته
الواصفون ؛ فصدت نافذة التذاكر لابتياح تذكرة منها الساعة الحادية
عشرة صباحا ، وقد تأخرنا عن الميعاد المضروب لفتح نافذة التذاكر خمس
دقائق ؛ فلم تتمكن من الوصول الى النافذة الا الساعة الثانية عشرة وربع
الساعة ، فكيف يكون الحال لو تأخرنا نصف ساعة ، وقد بلغ الازدحام
غايته ، ولذا تجمد رجال الشرطة في عناء وتعب لكثرة الوافدين
بين أهلين واجانب

وانه ليعسر على الذى يزور باريس وهذه حالها ، وتلك آيات جمالها ،
وصفها وصفا يقرب حقيقتها الى ذهن القارى

وان الشوارع الباريسية ، محور الجمال والاتقان ؛ ينفق عليها مجلس
بلديتها المبالغ الطائلة فى كل عام ، حتى تبقى بحالة تليق بعظمة المدينة ومكانتها
فترى فيها احسن ما اكتشفت بمراء العين ؛ من قصور نفحة للأثرياء ؛
او لحفظ الآثار ، او للفائدة العامة ؛ ومخازن جمعت ما تنهى فى الحسن
وعرابة الصنع ، رتبت فيها البضائع على نسق بديع ؛ وجواهر تسطع
انوارها وتتلألأ من وراء الواح زجاجية نقية ، وهى فى الليل اوفر بهاء
وزخرفا منها فى النهار ؛ اذ يلقون عليها النور الكهربائى ، فتزهو فوق زهائها
وتتلألأ بضوئها الساحر ، فيجذب بريقها الساطع آلافا من المتفرجين ،
وعلاوة على ذلك فان فى كل الشوارع اناسا يخطرون بابهى الحلل وسيدات
يرفلن فى الدمقس والحريز وبديع الازياء ؛ ولهن فى حركات السير والتثنى
فن عجيب يصدق عليهن قول الشاعر :

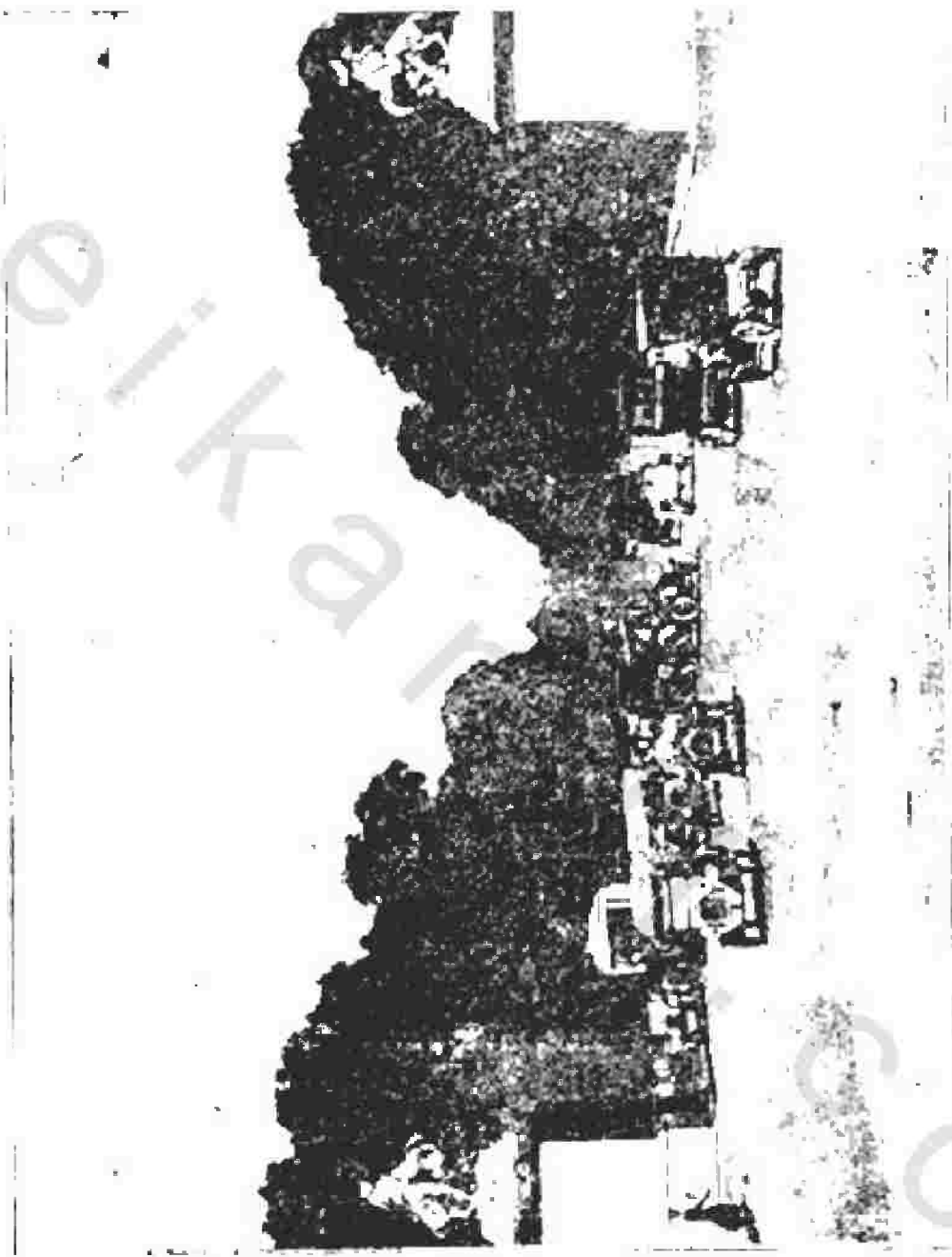
اذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

فلو انك زرت باريس ولم تشهد ضواحيها ولم تدخل متاحفها وقصورها
الباذخة ، وجناتها الياقة ، بل اقتصرت على التجوال في شوارعها الفيجاء ،
لكفاك منظراً تروح اليه نفسك ، وتشهد بغرابة هذه المدينة ، التي
يشيد الناس الى هذا اليوم نظيراتها

شارع الشاه البزة

هذا الشارع يمتد من ساحة الكونكورد الى بناء قوس النصر ،
الذي شرع نابليون الأول في بنائه ، لاقتصار جيوشه على جيوش اوربا
وهو يعتبر متنزها عاما لاهل باريس ، تحفه الحدائق الغناء من
الجانبيين ، قد نضدت على جوانبه المقاعد الكثيرة للحكومة ولبعض الشركات
فاذا جلست على كرمى للشركة ، جاءك عامل يطالب منك ان تدفع له نصف
فرنك أو اقل من ذلك مقابل جواز (تذكرة) ، تبيع لك التنقل على تلك
المقاعد طول اليوم . وهذا الشارع مقسم الى ثلاثة اقسام ، قسم لسيار
السيارات العادية والرائحة ، وقسم للغادين والرائحين مشاة

وجميع هذه الأقسام غاصة بالأشجار الباسقة والازهار الجميلة ، يتخللها
كثير من النافورات ، تسير فيه السيارات متصلة بعضها ببعض كاقطار يظن
الناظر اليها انه في احتفال بملك كبير او فاتح عظيم ، فاذا اراد الانسان قطع هذا
الشارع عرضا ، فلا يتمكن من اجتيازه الا بصعوبة ، فالناس فيه كأنهم في يوم
حشر ، تحيط به العماثر العالية من الجانبين ، تناطح السماء بعلوها الشامخ تحوى
منازل الاغنياء . وقصور الاثرياء . والقهوات ومسارح اللهو والفنادق

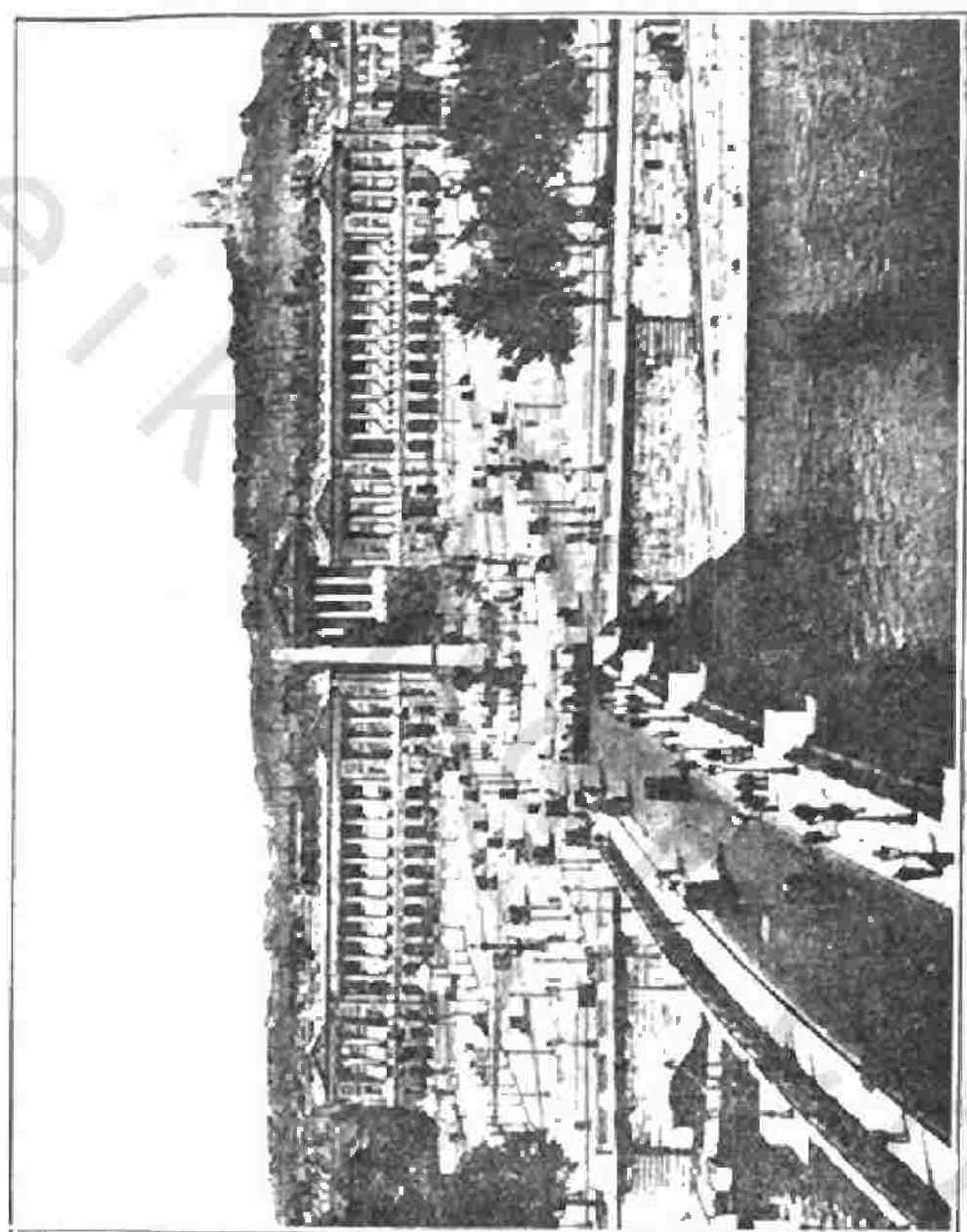


فلو سرت فيه يوم الاحد رأيت من اشكال الناس وازيائهم وجماعاتهم ما يبهرك ، وتحسب ان السعادة والجمال صوراً في ذلك الشارع ، فانيما قلبت الطرف رأيت جمالا يروك ، ومنظرا يسرك ، تسير فيه المركبات الضخمة التي تسمى (امنبوس) وهي كثيرة في شوارع باريس ولندن

ساحة الكونسكورد

هي ساحة واسعة لانظير لها في الارض كلها كما علمت ، ولم تصنع امة من الامم مثل هذه الساحة العظيمة الشأن ، يرى السائر فيها ابهى المناظر واحسنها ، في وسطها مسلة مصرية ، اهداها المغفور له محمد علي باشا الى لويس فيليب ، ملك فرنسا . وهي قائمة على قاعدة عظيمة ، ومن حولها الماشي والممرات الواسعة ، يسير فيها المتزهون والمتفرجون . وقد شيد في ناحية منها عدة فساق جميلة ، تخرج نافوراتها ، من افواه صور اسماك تحضنها تماثيل فتيات من احسن ما اقامه المثالون فهي آية في الابداع والجمال وساحة الكونسكورد كما علمنا قديمة العهد اشتهرت ايام الثورة الفرنسية . شهدت في تلك الثورة ما لم تشهد الساحات والبيادين في العالم من الاهوال والفظائع . حدث بهامن الحوادث ما تشيب لهولها الولدان ، وتراعد لذكرها القرائص فان رجال الثورة جعلوها مقر فظائهم ومظالمهم ، فاقاموا فيها المشانق وأطاروا مئات رءوس من العطاء والأمرء ورجال الدين . صبغت جوانبها بدماء المقتولين . ولقد قال بعض المؤرخين ، إن الذين قطعت اعناقهم في ساحة الكونسكورد مدة سنتين ، من سنة ١٧٩٣ الى سنة ١٧٩٥ لم يقلوا عن الفين وثمانمائة شخص من عطاء فرنسا ، منهم الملك لويس السادس عشر

新橋駅



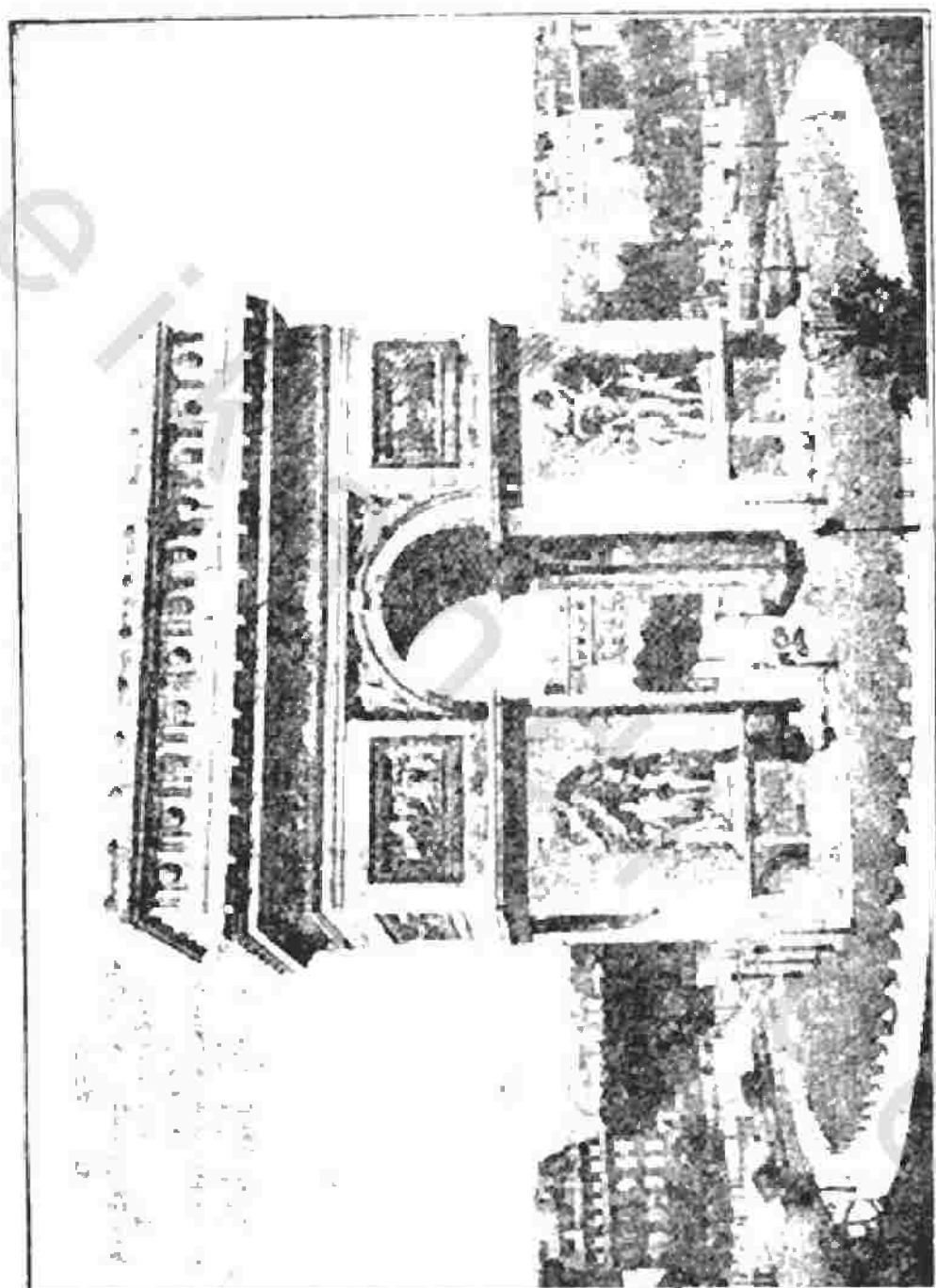
وزوجه ماري اتتوانت واختها اليصابات ، وأخوه الدوك دورليان ، وابن عمه
فيليب واعوانهم ، وكثير ممن ينتسب اليهم
فسبحان الملك الديان الذي يغير الشئون من حال الى حال ، فبعد أن
كانت مصرعا للرجال ، ومقرا للمظالم والنكبات والاهوال ، اصبحت
مسرحا للغواني الحسان ، ومركز البهاء ، ومقر الظرفاء ، ودعامة العمران
ترتاح لمنظرها النفوس ، وتسر رؤيتها القلوب ، مذهبة الاحزان ، ومخففة
الاشجان ، لما حوته من المناظر الفتانة ، والتماثيل البديعة الصنع .
وينتهي شارع الشان اليزه من الجهة الاخرى بقوس النصر العظيم

قوس النصر

هو بناء ضخم شاهق البنيان ، عظيم الأركان ، له أربعة حنايا ضخام
مقام وسط ميدان عظيم ، تنفرع منه عدة شوارع من اكبر شوارع باريس
المعدودة في اوائل شوارع مدن العالم زينة وبهاء
شرع نابليون الاول في بنائه تذكارا لانتصاره على جيوش اوربا ،
واتمه من بعده فيليب ، تحوى حناياه رسوم المعارك العظيمة التي احرزت
فيها الجيوش الفرنسية نصرا على الاعداء

وقد اقيم في اعلى هذه الحنايا الاربع عدة تماثيل ، غاية في العظمة
تمثل رجالا وقتيات وحيوانات ، رمزا وتصويرا لحالة فرنسا وحروبها
وغلبتها في المعارك والوقائع الحربية الكبيرة .

وهو اكبر قوس للنصر في الارض كلها كما علمت ، ويعرف باسم
قنطرة الكوكب ، رمزا للكوكب الذي تنبعث منه الاشعة والانوار في



Arch of Titus

كل جانب . كما تنبعث منه الطرق وتتفرع منه الشوارع ، وهي اثنا عشر شوارعاً ، من أجل الشوارع واحسبها ، توصلك الى داخل المدينة وخارجها قد زينت جميعها بالاشجار الباسقة ، والازهار النضرة ، والقصور الشائخة . والعمائر الباذخة ، والمصايف الجميلة البديعة

ومن اهمها الشارع الذي يوصل الى غابات بولونيا . فهو لا يقل كثيراً عن شارع الشان اليزه من حيث السعة وانشاء الحدائق على جانبه حتى يتصل بغابات بولونيا ، رصت على جانبيه المقعد داخل المتنزهات وخارجها

ولعظم هذه الشوارع وتشابهها يضل الانسان فيها ، ولا يعرف الشارع الموصل الى محل قصده ، وقد ضلنا مرة فيها وحسبنا اننا نسير في الشارع الذي يوصل الى فندقنا ، فاذا بنافى شارع غيره وهذه الشوارع كلها مركزها قوس النصر ، فاذا وقف الانسان تحته ومد بصره رأى هذه الشوارع عبارة عن حدائق غناء فاصبحت بذلك مجتمعا لاهل الترف ، ومتنزه جماعات الحظ واليسار ، يأتون اليها ، من سحيق الاقطار ، ليمتعوا بحاسنها الطرف . يجتمع فيها كل يوم من أهل المدينة وزلاؤها الآلاف المؤلفة ، ليجلوا محاسن مناظرها ، يسير أكثرهم في سيارات جميلة المنظر ، والازاهر من هنا وهناك ، والشجر الانيق في كل جانب وماء البحيرات الصناعية يتدفق من انابيبها ، فكان السائر فيها يسير في ارض جمعت انواع المحاسن . ولا غرابة بعد هذا الجمال اذا توافد عليها الناس من جميع فجاج الارض بخيلهم ورجلهم ، حتى ان المسير يتعذر على الناس خصوصا ايام الاحاد فتضطرب صفوف السيارات وتسير الهوينا

ولم يكن يحلولى الا الجالوس فى حداثقها والسير فى جنباتها، خصوصا
غب المطر الذى يكسبها منظرا حسنا وهواء عايلا ونسيما بليلا
وفى وسط ارض قوس النصر مدفن الجندى المجهول، تذكارا للتضحية
التي قامت بها فرنسا فى الحرب مع المانيا من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨
ومما يلفت النظر فتحة فى نهاية القبر تتصاعد منها النيران ليل نهار
يحيط بالمدفن، الذى لا يرتفع عن سطح الارض، اكاليل الازهار الكثيرة
يحضرها من فقدوا اقاربهم فى الحرب، ولم يعرفوا عنهم شيئا. وهو رمز
لكل جندى فقد فى ساحة القتال، وهذا القبر محروس بجندين يقفان
امامه دائما، وقد كتب على سطح القبر ما ترجمته: (هذا قبر الجندى المجهول
الذى قتل مدافعا عن وطنه)

وكل شخص يزور هذا القبر يخضع لقيعته ويقف امامه خاشعا خاضعا،
وقد وقفت امامه ولم اتنبه لذلك، فجاء الى الجندى وارشدنى بلطف الى خلع
القبعة فخضعت لاشارته

وكل من حل هذه المدينة تدعوه نفسه الى رؤيته ولذلك تجد الساحين
والزائرين يقدون اليه بكثرة عظيمة

وكل يوم أحد تقوم فرقة من الجيش بموسيقاها تحمل اعلاما
واشارات كثيرة تقف امامه وتؤدى التحية العسكرية له ويتبعها كثير
من الناس، تم ترجع بهذه الاعلام والموسيقى تصدح بالحنان المحزنة،
مختربة الشوارع، فيكون النظر مؤثرا والحزن والسكون والرهبة بادية
على وجوه السائرين

والجندى المجهول يدفن فى اضمخ محل تتجه اليه انظار الساحين

والزائرين ، فقد رأيت في روما في أضخم بناء يحرسه جنديان تغطيه الازهار
والا كاليل ، ورأيت في لندن في اكبر معبد وهي كنيسة (وست منستر)
التي خصص اكثرها لدفن مشاهير رجال انجلترا الذين لهم الاثر البين في
نهوضها ادبيا وماديا وعاميا واقتضاها و سياسيا اكراما لهم واذاعة لمجدهم
وتخليدا لذكورهم

متحف اللوفر بباريس

لا يقوى مثلي على ابراز مارآه وشاهده في متحف اللوفر بباريس ،
في صورة تجمع شتاته ، وتعطى للقراء صورة حقيقية ، لان هناك معاني
تقوم بنفس الانسان ، وليس في مقدوره أن يلبسها اللفظ الذي يرضاه
لها . على اني ساجتهد بقدر ماتسمح لي الحالة في وصف مشاهدته فيه من
التحف والآثار ، حتى لا أحرم القارئ من الاطلاع على بعض ما عند القوم
من الآثار الخالدة ، والاهتمام الكبير بحفظ ما تركه الساف للخلف ، ليكون
درسا عمليا تحتذيه الابناء فيعملوا مثلهم ، ويقوموا بمثل ما قاموا به من
جلائل الاعمال وعظائم الامور . وتكون انشودتهم :

لسنا وان احسابنا كرمتم يوما على الآباء تتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

في صبيحة يوم قنا مبكرين ، قاصدين زيارة متحف اللوفر العظيم
الذي يتحتم على كل زائر باريس أن يفكر في رؤيته قبل كل شيء لاهميته
وعظمته ، واعتباره من اشهر المتاحف والمشاهد في العالم ، لاشتماله على

كثير من الآثار المهمة المتنوعة من آثار اغلب الممالك القديمة والحديثة التي لها شهرة في التاريخ فذهبتنا لتركب المركبات الكهربائية التي تسير تحت الارض ، وهي اشبه بالقطار منها الى الترام

ينزل الانسان الى المحطة من فتحة في الشارع يحيط بها سياج من حديد قليلا معلقة عليها خارطة تعين الطرق التي يقطعها القطار تحت الارض ، فقطعنا نحو عشرين درجة في النزول و سرنا تحت قبو من الصيني حتى وصلنا الى فتاة ، داخل نافذة الجوازات (التذاكر) ، يقدم لها الانسان الاجرة المطلوبة ، فتعطيه الجواز (التذكرة) الى المحل الذي يقصده ثم سرنا قليلا منحدرين على درجات سلم آخر ، حتى وصلنا الى فتاة أخرى ، اشترت على هذا الجواز ، ومنها اجتازنا بابا الى محطة نضدت فيها المقاعد ، جلسنا حتى حضر القطار ، الذي لا يغيب اكثر من خمس دقائق . واذا وقف القطار فتحت ابوابه للركاب ومتى تحرك افقات هذه الابواب ، من تلقاء نفسها واديرت مزاجها وحدها ايضا ، ثم يسير القطار بسرعة عظيمة

وجميع المحطات محلاة بصور الاعلانات الكثيرة ، وباغلبها دكاكين تباع بعض الاشياء كالكتب والصور وغيرها ، وبها عدة صناديق على هيئة الموازين في المحطات ، مملوءة (بالشكولاته) ، وبكل عدة فتحات ، كتب على كل منها ثمن ما يريد الانسان ، فيضع الثمن في فتحة من تلك الفتحات ، فينحدر مادفع ثمنه (من الشكولاته) بعد ان يدير يدا فيه

وللراكب في بدء امره دهشة عظيمة ، متى خيل اليه أنه يسير تحت الارض بهذه السرعة ، وكيف يكون حاله اذا خر عليه السقف ، او فسد الهواء

في هذه الانفاق الكثيرة التي ليس لها منافذ الا فتحات المحطات، ويبقى عدة ايام بين استغراب ودهشة، حتى يألفه، والناس تركب فيه بكثرة فيكون مكتظا دائما بالراكبين. ولم اتذكر مرة انى ركبت فيه ووجدت بعض مقاعده خالية الا قليلا، خصوصا عند الساعة السادسة، وقت خروج العمال من محال اعمالهم، فان الانسان لا يقوى حتى على الوقوف بينهم

وجميع هذه الانفاق منارة بالكهرباء ليلا ونهارا، ومسقوفة من الداخل بالصينى اللامع على هيئة قبو. ويبلغ اتساع هذه الانفاق في بعض مواضعها كالمحطات نحو اثني عشر مترا

وقد عددت درجات بعض السلام من سطح الارض الى المحطة فالتفتها نحو ثلاثين سلما، وبعض المحطات بها رافع يصعد فيها من لا يقوى على صعود السلم لعلوه، مقابل شئ من النقود

والناس في المحطات في هرج ومرج، خصوصا عند ما يغرون الركوب من قطار الى آخر، فانهم يسرعون في السير رجالا ونساء واطفالا، في انفاق مختلفة الاتجاهات، نازلة وصاعدة، قد يضل فيها الانسان وان كانت مرسومة عليها الاتجاهات، وقد ضلنا طريقنا مرارا فيها. وهم يهتمون بتطهيرها دائما خوفا من فساد الهواء حتى تكون صالحة للتنفس، وإلا مات تحت الارض خلق كثير

وهذه الانفاق تمر تحت نهر السين في جهات كثيرة منه، فهو آية في العظمة وعمل خطير، يدل على المقدرة الكبيرة، فلم يكفهم مشاركة الطيور في سماءها والاسماك في مائها حتى ذلوا باطن الارض للسير فيها لتكمل لهم المواصلات بأنواعها، ولتسهل لهم الحركة في اعمالهم الكبيرة

وتخف الحركة الهائلة فوق الارض . ولك الحق ان تركيب بجوازك هذا جميع الخطوط تنتقل من خط الى آخر مادمت تحت الارض ، ومتى ظهرت فوقها بطل عمله

مازلنا سائرين تحت الارض ، حتى وصلنا الى محطة قريبة من اللوفر فصعدنا من باطن الارض الى ظهرها من فتحة في الشارع ، محتاطة بسيلاج من خديد كانتا بعثنا من قبورنا . وبعد ان سرنا قليلا لاحت لنا نخامة متحف اللوفر وعظمته

متحف قصر اللوفر

هذا القصر العظيم كان في أوله مسكنا للملك فرنسا ، بدءوا في بنائه سنة ١٥٤١ وأخذوا في تحسينه ووسعوا بنياته جيلا بعد جيل ، وكان آخر ملك زاده حسنا الامبراطور نابليون الثالث ، فاقه أوصله بقصر (التولري) الذي أعده لسكنه حتى بلغت مساحة القصرين معا في عهده نحو ١٩٥٠٠٠ متر مربع فكانت لهما الشهرة العظيمة حتى خرب جزء من التولري في احدى الثورات ، فلم تهتم الحكومة الجمهورية، لاصلاح القصر ولكنها أبقت منه حديقة الجميلة واهتمت باصلاحها، وجعلتها من متنزهات باريس العامة المشهورة بجالها وتنسيقها وحسن ازهارها حتى صار يضرب بها المثل بما فيها من الاشجار الباسقة والحسن والجمال والاتقان تقصدها الأسر للأنزهة فيها والتمتع بحسنها في وقت الفراغ من الأعمال . دخلنا من بابه الاول الى فناء واسع مستطيل تحيط به أجنحة من القصر ، وبعد أن سرنا في هذا الفناء ما يقرب من مائة وخمسين مترا قابلنا رجلا

يبيع صوراً للمتحف فسألناه عن ميعاد فتحه للزائرين ، فأخبرنا أنه لا يفتح إلا الساعة العاشرة وكانت الساعة حينئذ التاسعة ، فاجتزنا هذا الباب الى ساحة عظيمة أيضاً تحفها مباني هذا القصر في وسطها حديقة أقيمت فيها التماثيل المختلفة رمزا الى حوادث تاريخية ، وتتصل هذه الحديقة بحديقة (التولري) التي مر ذكرها ، يفصلها شارع كبير تمر فيه المركبات والسيارات فجلسنا على مقعد من مقاعدها ، نمتع الطرف بالازهار والأنوار والتماثيل البديعة ، حتى أتى الوقت فقصدنا الباب الذي تقاطرت عليه أفواج السائحين والمتفرجين ، ففتح ودخلنا مع الجميع متراصين متساندين ، وقد تفرق هذا الجمع بعد سيره قليلا في نواحي المتحف وهذا القصر أفخر وأعظم قصور باريس على الإطلاق بل قيل إنه أوسع قصور الدنيا بأسرها . وقد يهولك منظره عند دخولك الى أول ردهة منه لما به من العظمة وحسن الترتيب ونخامة البناء وغرابة التماثيل .

رأينا الطابق الأسفل ، وبعضه يشمل اثار القسم الشرقي بعجائبه وغرائبه ، وهو أقسام منها ما هو خاص بالآثار المصرية القديمة ومنها ما هو للآثار الرومية والرومانية والفارسية والاشورية وغيرها من الممالك الشرقية القديمة . وجميعها وضعت في حجر متداخلة ، يصل الانسان من بعضها الى بعض بطرق متعرجة .

والآثار المصرية بنوع خاص بهجة ورواء دالة بأوضح بيان على ما كان للمصريين من القدح المعلي في فن النقش والنحت ، وتماثيل يظهر لاول وهلة أنها أحسن تماثيل قام بنحتها ونقشها أشهر النحاتين والمثالين . وقد ملئت بها عدة حجر سميت بأسماء مختلفة ، منها قاعة ايميس ، وقاعة الاموات لما فيها من

الآثار التي تدل على مقدار ما كان يبذله المصريون لحفظ اجسام الاموات وما كانوا يعتقدونه من خلود الروح ، وبناء القبور العجيبة وغير ذلك مما يعرفه من اطلع على دار المعاديات المصرية ولا يتسع المجال لشرحه الآن . وهناك متحف لاصور المجسمة التي صنعت في القرون الوسطى وهو يشتمل على عدة قاعات غاية في الابداع والاتساع ، مكتظة كلها بالنفائس من التماثيل المنحوتة من الاحجار ، ترمز أغلبها الى حالات دينية وسياسية . وعلى الجملة فلكل أمة من الأمم القديمة آثار على أشكال مختلفة وأنواع متنوعة منها ماهو من البرز ومنها ماهو من المرمر ومنها ماهو من الرخام . والآحجار أغنيها يدل إما على حوادث تاريخية أو أحوال سياسية أو حروب دينية أو ما كان يتخيله هؤلاء من النجوم وحوادثها ، فيدلون عليها بتماثيل حسب ما يتخيلون مثل رسم صنع تمثال للزهراء على هيئة فتاة غاية في الابداع وحسن الصنع ، ومثل إله تهر تبر وجد تمثاله في حديقة برجيزى فى رومه وأجل تمثال لآلهة الجمال فى اليونان يسمى (مترف) أجل ما وجد الآن من رسم الآلهة وغير ذلك من التماثيل التى تمثل تاريخ الرومانيين ، وعظمة الفراعنة ، مما يقف الناظر أمامها مذهولا .

وهناك صور وتماثيل تدل على معان مختلفة لا يتسنى لى ولا لغيرى وصف بعضها فى كتب ضخمة لان فى هذا القسم ما يشرح حالة الرومانيين من العظمة برسم مشاهير عظماء رجالهم وأحوالهم السياسية والدينية ، وما لهم من المواقف الشهيرة ، ويميد الى الذاكرة قوة الاشوريين ورفعة وعظمة المصريين ، وما وصلوا اليه من النبوغ فى فن النحت والتمثيل فى الازمان الفارعة ، والعصور الخالية ، بينما كانت جميع الامم الارض تأهتة فى دياجير

الظلام الخالك ، ليس لها من العلوم والفنون والعظمة ما تساوى شروى تقير
بجانب معارف المصريين ، فكانت كنبهراس عظيم الضوء ، انتشرت اشعته
على جميع الممالك المجاورة لها ، فاكسبتها مدنية وحضارة لما اخذته من علومها
ومعارفها مما جعلها تسمو الى الرقى وتسلك سبيل حضارتها

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار
وهذا المتحف يمتاز عن دار العاديات (الاتكخانة) في بلادنا بانه
يشمل آثار كل امم الارض فيرى الناظر اليها ما كان للامم من العظمة ،
ويمكنه ان يحكم بعض الحكم على أخلاق تلك الامم في مدنياتها وحضارتها
ورقيها وحالتها المعادية والمعاشية

وفي الطريق العلوى من هذا المتحف قسم الرسومات البديعة التي
قدرها بعضهم بانها تزيد عن ثلاثة آلاف رسم تقدر قيمة بعضها بنحو
عشرين الف جنيه

ولمادخلت هذا القسم اخذتني الدهشة ، وخالطني الدهول ، ووقفت
حائراً أفكر وأسائل نفسي كيف تسنى لفرنسا ان تجمع في هذا القصر
تلك النفائس الغريبة للامم المختلفة وفي أى زمن حصلوا على تلك الصور
التي يخيل للناظر اليها انها حقيقة ، ولا تنقص غير الحركة والكلام ، وان تلك
الصور تمثل لك كل ما يخطر ببالك من احوال الدنيا والآخرة فقد شغلت
عدة حجر من القصر يبلغ طولها نحو كيلو متر ولا يمكن السائر فيها ان
يشاهد ما بها مشاهدة تامة ولو في عدة ايام ، لان جميع الرسامين المشهورين
في امم الارض لهم بها عدة رسومات وصور نفيسة شتى لمهرة الرسامين
الفرنسيين وغيرهم

وهناك حجر تحوى مالا يصين من صور ورسومات واسلحة ومفروشات وآلات طرب وقوارب صغيرة مصنوعة من سن الفيل الدقيق غاية في الجمال، وعلى أوان صينية محلاة بأبداع النقوش، وأوان بلورية واقشة واحذية صغيرة جداً تمثل صغر ارجل الصينيات وغير ذلك كثير. ومن هذا يعلم بعض ما في هذا المتحف من النفائس والذخائر التي تقدر بملايين الجنيهات ومن الصور التي تلفت الانظار صورة يوم القيامة، وحالة الناس في ذلك اليوم وما هم فيه من الذهول والكرب، وصورة كليوباترا ملكة مصر المشهورة، وصورة آسية امرأة فرعون تتشل موسى عليه السلام من النيل وصور دينية تمثل حوادث الانجيل والتوراة، او تمثل خيال المصريين على اشكال بديعة انيقة، غاية في الجمال عظيمة التأثير في النفوس، وصور المعارك البرية والبحرية.

وقد أدى بنا المطاف ونحن مسرعون لرى بعض الحجر قبل فوات الوقت المحدد الى رواق (ابولون) مزينة جدرانها واسقفه بالذهب والتماثيل الجميلة التي لها روعة في النفس، نضدت فيه الجواهر النفيسة والحلى البديعة داخل الواح زجاجية وكذا الاواني الفضية والذهبية التي كانت لملوك فرنسا مما لا يدخل تحت تقدير. وقد رأينا داخل الواح زجاجية تاجا مرصعا بالماس والاحجار الكريمة، وبجواره سيف نفيس حليت قبضته باحجار الماس الكبيرة وهو لتابليون الأول ومعه قطعتان من الماس كبيرتا الحجم قد بلغ وزن احدهما كما هو مكتوب عليها ١٢٠ قيراطا

وقد زين هذا الرواق بصور جميع المشهورين من الرسامين بينهم بعض ملوك فرنسا وغير ذلك مما يهر العقول ولا يحيط به وصف

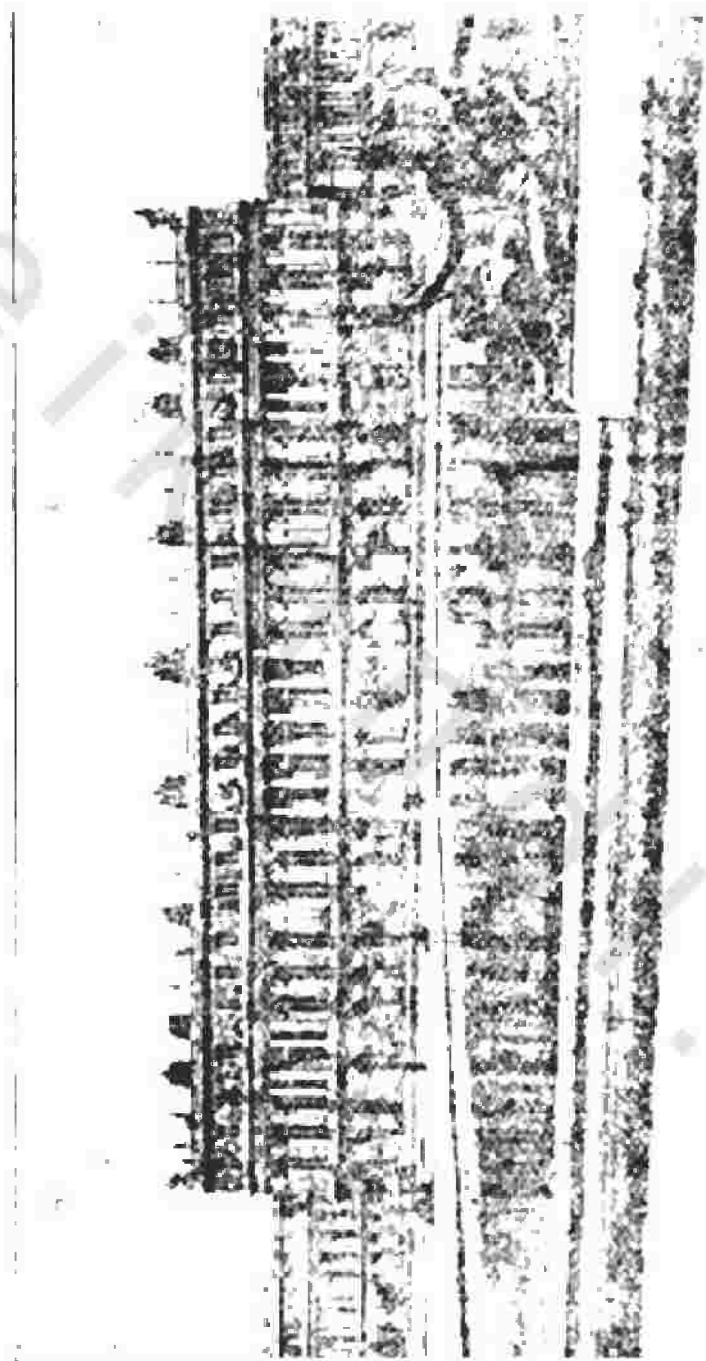
والخلاصة ان قصر اللوفر وتحفه آية من آيات الجمال ، وعظمته تفوق كل عظمة . ولم تتمكن من مشاهدة جميع ما يحويه هذا القصر الفخم لان هذا يحتاج الى عدة اسابيع بل الى شهور واعوام لمن يريد درسه درساً فنياً وعلمياً وتاريخياً ودينياً . ولم نر في ساعتين اكثر من الطابق الاول وجناح واحد من الطابق الثاني مع السرعة هذا ما أمكنني ان اقدمه الى القراء وان كان قطرة من بحر . وما لا يدرك جلّه لا يترك كله

قصر فرساي

فرساي مدينة صغيرة قريبة من باريس ، ابتدأت شهرتها على عهد لويس الرابع عشر ، فانه جعلها مقر حكمه الرسمي مدة الصيف ، وشيد فيها هو ومن أتى بعده من الملوك قصوراً لم تنل انهم ماشيده الملوك الاوريون واكثرها بهجة وزينة وزخرفة

وقصر فرساي هو ذلك القصر العظيم الذي يقصده السياح والزائرون من كل فج . ولما اعتزم لويس الرابع عشر تشييده ، قرن ذلك بالجد والاجتهاد في ابرازه الى حيز الوجود ، بسرعة عظيمة ، حتى بلغ عدد العاملين في اصلاح الطرق وتنسيق الحدائق والبساتين ، واعداد ما يلزم له على ما يقال ٣٦ الف رجل في اليوم الواحد ، تساعدهم ستة آلاف من الخيل الى أن تم العمل وبرز هذا القصر الفخم شاهداً لهذا الملك ومن أتى بعده بالقدرة والهمة العالية ، واصبحت له شهرة تاريخية ، لوقوع كثير من الحوادث المهمة فيه ، بما هو معروف في كتب التاريخ

وقد زاد في هذا القصر من أتى بعد لويس الرابع عشر من الملوك



نقش فرسی

عمائر أخرى متصلة به ، غاية في الابداع والعظمة ، ولذلك كانت مجموعة
مركبة من عدة عمارات

وقد هجر هذا القصر العظيم من عهد الثورة الفرنسية ، وكاد يتخرب
ويذهب عمل هؤلاء الملوك مع حوادث الزمان وكوارث الايام ، حتى
فكر بعضهم في بيعه تقاديا من تحمل ما يستدعيه ترميمه واصلاحه من
التفقات الباهظة ، الى أن تولى الملك لويس فيليب ، فرأى أن يرممه ويصلحه
وينشئ فيه المتحف التاريخي الباقي الى الآن ، وكان ذلك سنة ١٨٣٢ م
فوضع فيه جميع الرسوم التي ترمز الى حوادث تاريخية حتى أصبحت المجموعة
التي فيه عديمة المثال

فنا مبكرين في يوم لنقضيه في مشاهدة هذا القصر وتحفه العجيبة،
فركبنا الترام الذي يسير تحت الارض ، قاصدين محطة فرساي ، ولما وصلنا
اليها ، اخذنا جوازا (تذكرة) لركب قطار السكة الحديدية الموصل اليها،
فسار بنا القطار في مناظر جميلة ، تشبه مناظر سويسرا من حيث الارتفاع
والانخفاض والمضاب والتلال ، ووشيت سفوحها بالاشجار والازهار ،
والمنازل الجميلة المشيدة فوق التلال ، ولذا كان القطار تارة يعلو واخرى
ينحط ، وطورا يدخل في نفق

وما زلنا سائرين نتمتع الطرف بهذه المشاهد الجميلة ، حتى نزلنا في محطة
فرساي وسرنا في الطريق الموصل اليه ، وكان هذا اليوم ممطرا ، فذخرنا
الظلل ، وسرنا تحتها حتى لاح لنا القصر من بعد تعلوه الابهة والجلال .
دخلنا من بابه الخارجى فرأينا سياجا عظيما من الحديد يحيط بفناء واسع ،
يكشفه جناحان عظيمان من ذلك القصر ، في وسطه تمثال لويس الرابع عشر

يغطي جوادا ضخما ، فوق قاعدة عالية من الرخام ، والتمثال والجواد من النحاس ، فوقفنا في هذا الفناء الواسع المرصوف بالاحجار ، نرى عظمته وجلاله ، وعلو همة من شادوه وقد صدق فيه قول من قال

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه جماله الايام

وقد دخلنا من بابه الذي يوصل الى حجراته مع جم غفير من السائحين والمتفرجين ، بعد أن دفع كل منا فرنكين أجره الدخول ، دخلنا حجرات الطبقة الارضية وفيها شيء كثير من الصور والتماثيل التي لا يمكن حصرها ولا مشاهدة جميعها إلا بعد جهد كبير . ومما لفت نظرنا أن من بين هذه الحجرات احدى عشرة حجرة ، بها الرسومات التاريخية من اول مدة شارلمان الى مدة لويس السادس عشر ، ويسمى مجموع هذه الحجرات برواق تاريخ فرنسا وفي الواقع إن الرسومات التي فيها ، تمثل حروب فرنسا الشهيرة في المدة المذكورة . وفيها أيضاً رواق الامبراطورية وهو يشمل عدة قاعات كالسابقة تحتوى على رسومات الوقائع الشهيرة التي حصلت مدة الامبراطورية ، مثل دخول نابليون الاول برلين واستقباله رؤساء مدينة ويانه وغير ذلك من الحوادث التاريخية . وفي هذه الطبقة أيضاً حجر التماثيل المجسمة التي تحتوى على كثير من تماثيل رجال الجمهورية والامبراطورية مما لهم اثر بين نهوضها ماديا وأديبا وحربيا وسياسيا

واذا أردت أن ترى عظمة قصر فرساي وأبهته فانظر اليه من حديقة التي سيأتى وصفها فانك ترى ما يملأ نفسك رهبة وجلالا وتقديراً لهمة ملوك فرنسا وما كانوا عليه من أهبة الملك والسطوة والمقدرة

أما من الداخل فلا ابالغ اذا قلت أنه قصر يقل نظيره في أعظم

قصور العالم ، لم يشاهد السائح زخرفة قصر وعظمة بناء وصورا وتماثيل مثل ما يشاهد في قصر فرساي ، لان الصناع أفرغوا ما في جعبتهم ، في زخرفته وتحسينه وتزيينه ونقشه ، حتى يصح ان يقال فيه (ليس في الامكان أبدع مما كان) فاذا دخلت حجراته الواسعة المزينة بالرسوم والنقوش العجيبة ، ورأيت ما تحويه من النفائس ، شعرت في الحال بعظمة الذين شادوه ولطالما رأيت هذه الحجرات عزاً ونخراً في عهد لويس الرابع عشر وفي هذا القصر توج الهوسيون ولهم الاول امبراطوراً على ألمانيا كلها ، وبه الرسوم الكثيرة التي تدل على انتصار فرنسا على الالمانيين خصوصاً في عهد المغوار نابليون الاول وغيرها من الامم مما يصح ان يكون درساً واضحاً يشرح تاريخ فرنسا وحروبها الكثيرة من الرسوم المجموعة في حجرة الحروب وقد قسمت هذه الحروب حسب تاريخ وقائعها في غرف خاصة . فصور الحروب الصايبية في حجرات خاصة بها ، وصور حرب القرم كذلك ومعارك نابليون المشهورة في قسم آخر ، وحروب ممالك شمال أفريقيا وكيفية أسر الرجال والنساء والامراء بأزيائهم وضمت كذلك في حجرات خاصة بها

ومن بين هذه الرسوم صورة تمثل المانيا جاثية على ركبتها بذل وخشوع أمام فرنسا ، وهولندا مصابة بصاعقة الحروب تن وتشتكي ، واسبانيا وجلّة . وقد بلغ من شهرة هذه وذيوعها بين تلك الامم أنها كانت حسب ما رواه بعض المؤرخين السبب في تألب ممالك أوروبا ضد الملك لويس الرابع عشر

ومما يذكر بالاعجاب والغرابة حجرة المرايا العظيمة فان طولها يبلغ

٧٣ متراً في عرض ١٠ امتار في ارتفاع ٢٣ متراً وهي تطل على إسمايين القصر وحياضه وبحيرانه من سبعة عشرة نافذة كبيرة تجاه كل نافذة مرآة محلاة بالذهب تنعكس فيها صور الزائرين والمتفرجين حتى يخيّل إلى الانسان أنه يسبح في ماء، وقد زين سقفها بالذهب والصور البديعة، التي تشير إلى حوادث تاريخية أو خيالية

وإذا أشرفت من إحدى تلك النوافذ على الحديقة وبحيراتها وبركتها اطربك هذا المنظر، وملاً نفسك سروراً لا يقدر، وتتجلى لك عظمة القصر وحديقته، ولا يسهل على واصل وصفه، خصوصاً إذا كانت المياه تتدفق من البرك الكبرى ومياه الانايت ترتفع في الجو على أشكال غريبة متنوعة. ويصل الانسان من هذه الحجرة العظيمة الى حجرة نوم لويس الرابع عشر، مفروشة بأحسن الفرش، في وسطها سرير نهاية في القخامة والزخرف، يفصله عن باقي الحجرة سياج ليس لاحد من الزائرين ان يتعداه، وقد مات لويس الرابع عشر على هذا السرير بعد ان حكم فرنسا زمناً طويلاً جداً، وقد زينت هذه الحجرة بأبدع النقوش وافخر التماثيل وثمان الاثاث

ورأينا في هذا القصر مسرحاً للتمثيل (أوبرا) آية في الزخرف والزينة والعظمة شيده لويس الرابع عشر وأبدع في زخرفته وموه في نقوشه بالذهب وكسا مقاعدها المخمل الاحمر (القطيفة) وجعل له أروقة تشرف على المسرح وليس المسرح عرضة للزائرين، بل يبحث عنه من يحب أن يراه ويكافئ الحارس الذي عهدت اليه حراسته ييمض الثرنسكات حتى يسهل له رؤيته.

وقد رأينا حجرة ماري انطوانيت الخاصة بها ومحل جلوسها وبعض حجرها التي اعدتها للحوادث وكيفية تنقلها من حجرة الى أخرى بحالة لا يمكن للناظر أن يعرفها الا بالارشاد مثال ذلك انك تجد في نهاية حجرة من حجرها هيئة مكتبة بها كتب قيمة ، فيتوهم الناظر اليها انها نهاية الحجرة فاذا بها عدة منافذ خلف هذه المكتبة، وقد استعملتها حين هجم عليها الثوار فاخفت عن انظارهم مدة طويلة ولكن ذلك لم يجدها نفعا فانها وقعت في ايديهم وقتلت كما مر ذكره فيما سبق وغير ذلك من الحبر والاروقة التي تحتوى على نقائس وتحف لا يتسنى لزائر مثل وصفها فانها

نجل عن الوصف

وطول هذا القصر يبلغ نحو ٤١٥ مترا به حديقة لا توصف جمالا ونضرتها وما فيها من الازهار والنافورات المتعددة والاحواض الكثيرة، وبها ٦٠٠ بحيرة غاية في الجمال، وبركة يتدفق منها عشرة آلاف متر مكعب من الماء، رد اليها بالآلات البخارية من امكنة بعيدة وهم يعلنون عن تدفق الماء منها في ميعاد محدود بصحف باريس ويكثر أن يكون ذلك كل خمسة عشر يوما، فيتقاطر الناس عليها لمشاهدة ذلك المنظر البديع النادر المثال لان خروج الماء منها وظهوره بالوان متعددة واشكال بديعة يسحر العقل ويحير اللب. ومنظر الحديقة من أعجب واغرب ما يرى الناظر لالكبرها واتساعها، وانما لنظامها وجمالها، وحسن ازهارها نظمت على اشكال هندسية يجمع الشكل الواحد عدة الوان من الازهار. يحيط بجميع بحيراتها تماثيل مختلفة الصنع والجمال، وعلى منحدراتها يجلس الناس على بساط من الخضرة، موشى بالازهار المختلفة، كأنها يد رسام خطها على قطعة من

الورق . ويتصل بهذا القصر قصران آخزان ، يعرف احدهما باسم (تريانون الكبير) والثاني باسم (تريانون الصغير)

أما الاول فبناه لويس الرابع عشر لاحدى محظياته واشهر مافيه الآن عجالات قديمة فاخرة استعملها ملوك فرنسا الاول في احتفالاتهم العامة والرسمية واكثرها من ايام بونابرت ، وبعضها قد استعمل في موكب تتويج نابليون الاول ، واستعملت اخرى في زواجه ، الى غير ذلك من العجلات المزخرفة التى تدل على الابهة والعظمة . واشهر مافيه برلمان صغير جعله لويس الرابع عشر لاجتماع المجلسين ، حين الاختلاف في شأن من شئون المملكة ، ولكل رئيس من الرؤساء مقعد خاص به ، وفي صدر البرلمان عرش الملك البديع الصنع آية في الزخرف والزينة

وقد جاسنا على مقاعده الفخمة ، فداخلى العرور حيث اجلس في محل جلس عليه أحد عظماء فرنسا ، وكان ذلك اثناء شرح المترجم لنا ما يحويه هذا البرلمان ولا يدخله الا طائفة قليلة من السائحين والزائرين ، والباقي ينتظر حتى يخرج من دخل وهكذا تدخل طائفة ويفلق الباب ولا يفتح الا بعد انتهائها من القرعة وفي مقابل ذلك تدفع قيمة قليلة من النقود

واما التريانون الصغير ، فهذا قصر شيده لويس الخامس عشر ، وكان قصرا لبعض افراد الاسرة المالكة ، وله حديقة جميلة تفتح كل يوم ، يقصدها المتفرجون . وفي القصرين رسوم وآثار تشير الى حوادث حجة تاريخية لا تخرج عما وصفناه آنفا

ولا يزال قصر فرساي له الشهرة التاريخية في الحوادث الحربية وغيرها ، وبه تعقد المحادثات والمعاهدات ، إما على فرنسا أو لها ، وآخر

معاهدة عقدت فيه معاهدة الحرب العظمى ، بين فرنسا والمانيا وحلفائهما
ولا تزال مشكلتها معقدة الى الآن ، لعدم اذعان المانيا لما جاء فيها من
الشروط ومحاولة التماس من قيودها ، ولا ندرى ماذا تتمخض عنه الايام
من مكنون حوادثها ، خصوصا بعد رياسة هندنبرج الذى تنبته لتوليته
أعصاب اوربا

ان الليالى من الزمان حبالى مشقات يلدن كل عجيبة
وما ذكرته عن قصر فرساي وما به من التحف قل من كثر وليس
الخبر كاليان

قصر الفخيم

بناء فخيم آية فى العظمة والفخامة بناء لويس الرابع عشر ليكون مأوى
لمن اصابتهم عاهة من الجند اثناء الحروب ولم يكن لهم اهل يعولونهم
والذين يفضلون الالتحاق به على الاقامة عند اهاليهم وتجرى عليهم الارزاق
فيه ماداموا احياء يدير شئونهم واحوالهم جنرال عظيم من اقدم القواد فى
الملكة يقضون اوقاتهم فى حدائقه الواسعة ورحبته الجميلة يتزهون
ويقراءون ما طاب لهم من الكتب والمجلات والصحف وقد شيدت لهم
فى هذه الدار الواسعة كنيسة يتعبدون فيها لهم ما يريدون من امر الدنيا
والآخرة بدون ان يكابدوا ادنى صعوبة ويسمى هذا القصر الفخيم
دار « المعجزة »

ويشغل هذا القصر مساحة من الارض لا تقل عن ١٢٧ الف متر
مربع وقد هى لان يسم نحو خمسة آلاف نفس ولكن لا يجتمع فيها

نصف هذا العدد لا يشار بعضهم العيشة الحرة في بلادهم على العيشة في هذا القصر

وواجهة القصر نخمة فان طولها يبلغ نحو مائتي متر. وهو ثلاث طبقات زينت بتماثيل كثيرة ترمز إلى وقائع الحروب التي نصرت فيها فرنسا على اعدائها. وبه الآن معرض عظيم القدر والقيمة يقصده السائحون والمتفرجون من جميع جهات الارض، وبه عدة حبر جمعت فيها الاسلحة على اشكال متنوعة ممتدة قديمة وحديثة وما استعمل منها في الحروب الفرنسية والذي غنمته جنود فرنسا في حروبها الكثيرة من المدافع والسيوف خصوصا ما غنمه الفرنسيون في الحرب الاخيرة من الالمان وترى فيها الاسلحة البيضاء المستعملة للهجوم وهي تشمل البنادق « والطبنجات » وسائر الاسلحة النارية كما انها تحوى الاسلحة البيضاء المستعملة عند جميع الامم. ويتبع الاسلحة المذكورة عدد الخيل وما كان يستعمله المحارب من الملابس اثناء الحرب من رأسه الى قدمه مما يمثل حالة الحروب القديمة والحديثة تمثيلا تاما. وبه عدة قاعات بها تماثيل رجال الحروب والقواد العظام بملابسهم الحربية على اختلاف انواعهم وهياتهم وجهاتهم كقواد الجزائر الاوقيانوسية وقواد امريكا وسواحل آسيا وافريقية وغير ذلك مما يعجز القلم عن وصفه. وبه حجرات تشمل على صور صغيرة تمثل انواع الاسلحة في الازمان الغابرة الى وقتنا الحاضر. ومما يلفت النظر وجود سلسلة من الحديد يبلغ طولها نحو ١٨٠ مترا استعملها العثمانيون لوقاية جسر مدوه على نهر الطونة أيام محاصرتهم ويانة. وبالكنييسة التي مر ذكرها في هذا القصر قبر نابليون

الاول بطل فرنسا العظيم الذى دوح البلاد وقهر الممالك والعباد أقيمت عليه
قبة يهولك منظرها وتروءك عظمتها وتقف امامها خاشعا خاضعا عند
ما تذكر ذلك البطل المشهور واكبر قواد الارض قاطبة فى العصور
الحديثة وما قام به من امتلاك الممالك التى كانت تنه كبرا وصلفا واذل
اكبر الجبارة من الملوك ودانت له اوربا بأسرها وتحكم فيها كأنها اماره
صغيرة ولكن بعد زمن صغير زال ملكه وذهب عزه وتهدم مجده

لكل شىء اذا ماتم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته ازمان

فان الدهر قد قلب له ظهر الحن وادارت له الايام ظهرها واذاقت
مرارها بعد ان تمتع بلذيتها وشهى ثمارها فوق اسيرا فى يد الانكليز
على اثر خدعة نصبوها له (والحرب خدعة) فنفوه الى جزيرة القديسة
هيلانة وبقي بها اسيرا حتى مات فنقلت رفاته منها الى هذا القصر الفخم
كما وصى قبل موته انه يريد ان يدفن فى فرنسا المحبوبة بجوار نهر السين
ففعلوا ما اراد وشيدوا على قبره هذه القبة العالية التى ترى جوانبها من عدة
اماكن بباريس قد طليت بالذهب وهى عبارة عن مربع ضلعه ٦٠ مترا وفى
وسطه قبر نابليون من قطعة واحدة من الحجر طولها أربعة متار وارتفاعها
اربعة امتار ونصف وحول القصر عدة تماثيل بديعة تشير الى الاصلاحات
التي قام بها نابليون الاول كاعادة النظام واصلاح الادارة والمجالس الادارى
والصناعة الى غير ذلك

وبها لوح احمر من الرخام كتب عليه اشهر الوقائع التى قام بها هذا

البطل العظيم وفي القبة غير قبر نابليون فيبور بعض المشاهير من اقربائه
وقد كتب على قبره هذه العبارة « أتمنى أأدفن على شواطئ نهر السين بين
الامة الفرنسية التي أحبها كثيرا » وبهذه الكنيسة ايضا نحو ١٥٠٠ راية
غنمها جنود فرنسا في معارك نابليون الاول وكلها محفوظة في ذلك القصر
كما ان هناك حجراً كثيرة مملوءة بالملايس القديمة المتعددة الاشكال
والانواع والالوان لمؤك فرنسا وأبطالها مما يعجز القلم عن وصفها وعدها
وقل ان يأتي فرد من الناس في باريس ولا يرى عظمة هذا الاثر
العظيم الذي يملأ النفس عظة واعتبارا ويشعره بعظمة الاثر الموجود به
ويذكره بحوادث الدهر وعبره

فصل في تكملة

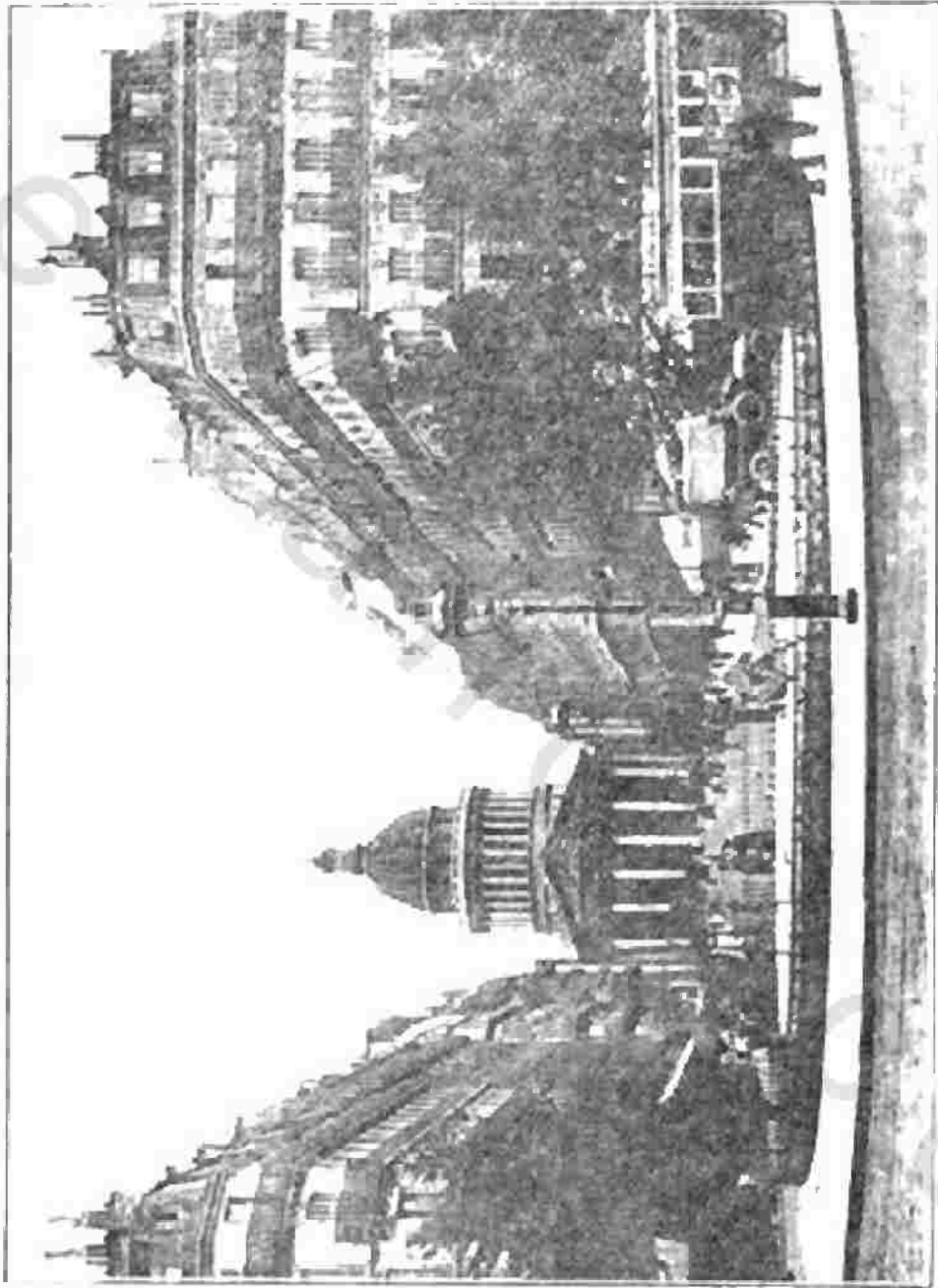
هو قصر بديع تحيط به الحدائق من كل جهاته وقد وصلنا اليه بعد
مشقة لاننا قصدناه راجعين وبعد هذا كله لم يصحح لنا بدخوله كما لم يصحح
لغيرنا ولذلك حولنا وجهتنا لرؤية متحفه الجميل الذي يعد من ابداع المتاحف
فاول ما يرى الراي في صالاته الخارجية تماثيل كثيرة صنعت من المرمر
البديع وغيره تشير الى حوادث كثيرة ومعاني متعددة كتمثال العدل وتماثيل
الاخاء والاتحاد وتماثيل للشجاعة والحروب . وقد أدى بنا المطاف الى حجر
كثيرة متصلة بعضها ببعض فرأينا مالا يوصف حجر زينت سقفها بالنقوش
البديعة وحواطها بالرسوم الغريبة والاطر الموهبة بالذهب تحوى صوراً
جميلة منها ما يشير الى بعض الحوادث الحربية ومنها ما يشير الى حوادث
تاريخية ومنها صور ربات الجمال اللاتي اشتهرن في التاريخ بحوادث دعت

الى رسمهن ليرى الزائر صواب تلك الحوادث المهمة ومنها صور تدل على بعض الكواكب وأخرى من خيالات المصورين تشير الى معان كثيرة ويظن الناظر اليها انها حقيقية كلها ناطقة بفضل المثالب والرسامين وهذا المتحف مكتظ بالمتفرجين والسائحين خصوصا الامريكان الذين يملئون انحاء اوربالا لاني مداخلت متحفا او أترا الا وجدته مملوءا بهم

مدفن عظماء فرنسا

بعد أن فرغنا من زيارة متحف قصر لكسمبرج اعترمنا زيارة مدفن عظماء فرنسا فسرنا اليه حتى اشرفنا على فناء واسع في نهايته بناء ضخم مرتفع يصعد الانسان اليه بسلم عريض يبلغ نحو خمسين مترا شيدت واجهته على عمد ضخمة تشير الى عظمة البناء وابهته

بعد أن صعدنا هذا السلم سرنا على منبسط من الرخام حتى وصلنا الى بابه فقابلنا رجل داخل حجرة صغيرة لها نافذة فاخذ منا «فرنكين» وسمح لنا بالدخول فدخلنا في فناء واسع مرصوف بالرخام مقام على عمد ضخمة سقفه مرتفع جدا مزين بالنقوش البديعة مموء اكثره بالذهب الوهاج وقد اقيم في صدر هذا المحل مذبح من الرخام الابيض الناصع واقامت عليه وبجوانبه التماثيل التي لا توصف لجمالها يعلوها تمثال على هيئة فتاة ترمز الى حرية فرنسا ويمتد على جوانب هذا المذبح من الجهتين على مسافات طويلة اروقة مزخرفة يجلس فيها الرهبان حين اقامة الصلاة ليلقوا على الناس المواعظ وقد دفن على جوانب هذه الكنيسة الضخمة عدة من عظماء فرنسا في قبور بارزة من الرخام وبعد أن متعنا النظر بهذه المناظر الجميلة -



« مدفن العظماء بدمشك »

رأينا على بعد قوما مجتمعين على باب ليدخلوا منه الى رؤية بقية القبور الضخمة فانتظرنا معهم حتى يخرج من دخلوا قبلنا ومازلنا كذلك حتى فتح الباب رجل سار امامنا وتبعناه وسرنا في ممشى حتى وصلنا الى سلم نزلنا منه الى سرداب طويل مظلم منار بالكهرباء وعلى جانبه القبور داخل حجر مجللة باكاليل الازهار قديمة وحديثة مضاءة بالكهرباء كتب على كل قبر اسم صاحبه وقد أخذ الدليل يشرح لنا اسماء اصحاب القبور وما قاموا به من بعض الاعمال التي كانت لها اثر بين في ارتقاء فرنسا أدبيا وماديا وعاميا وحربيا كالفلاسفة والقواد والعلماء والكتاب والشعراء كفولتير وهوجو وغيتا وقد دخلنا مدفنا واسعا ضم نحو اربعين جثة من عظام فرنسا وجميعها منارة يراها الانسان من نوافذ حجر المقابر الا أن هذا النفق الطويل الذي يجتازه الناس لرؤية المقابر رطب ذوا رائحة تضايق المتفرجين فلا يرغب الانسان البقاء فيه وقد خرجت منه وعندى صداد شديد ولو ضاهينا هذا المدفن بمدفن عظام الانكليز الذي سياتى وصفه لرأيناه أضخم منه بناء وزخرفا وعظمة

غابات برلونا

هي حديقة واسعة طارت شهرتها في الآفاق ، حتى أصبحت مجمع أهل الترف ومتنزه جماعات أهل الحظ واليسار ، يقصدونها من سحيق الاقطار ، ليمتعوا الطرف بمحاسنها الفتانة ، الجذابة للنفوس ، الساحرة للالباب يجتمع فيها كل يوم من أهل المدينة والزائرين والسائحين والنازلين بها عدد عديد ، يسير أكثرهم في سيارات جميلة ، بين الازهار النضرة

والشجر الباسق ، والخضرة اليانعة ، والبحيرات الجميلة ، التي تمخر بها
الزوارق ، تغدو وتروح حاملة شمساً تسطع انوارها ، فتزيدها حسناً
وبهجة ورواء . بها من الشلالات الصناعية ، ما يشرح القلب ويسر النفس ،
تندفق منها المياه فيكون لخبرها هزة في النفس

ولا عجب بعد هذا الحسن والجمال الوفير ، اذا توافد الناس على هذا
المتنزه بخيلهم ورجلهم ، فيتعذر السير عليهم في ايام الآحاد ، فتضطرب صفوف
السيارات ان تسير الهويناء

بها دروب كثيرة لا حصر لها تحترق هذه الغابة الكثيرة الاشجار
الباسقة ، تحتها الاشجار القصيرة ، والاعشاب الجميلة المتنوعة . بها مطاعم
وقهوات وبارات ، انشئت على شواطئ بحيرات جميلة ، تسرح بها الحسان
كما تسرح الطباء في خنائها يخل إلى السائر فيها انه في دار النعيم

وقد قضينا زيارتها يوم الاحد ، فلما وصلت اليها رغبت أن أسير
راجلاً ، حتى امتع الطرف بمحاسنها ، وأرى شوارعها الجميلة ، وطرقاتها
ومنعطفاتها وما زلت امتع نفسي بجمالها الرائع وتنسيقها البديع حتى ادى
ني المسير الى بحيراتها وهناك رأيت بحيرة ملاءى بالزوارق والقوارب
تحمل الغانيات يجذفن بمجاديف تدفع القوارب دفعا ، ويشاركهن في هذا
البجع والطيور فيحدثن منظراً جميلاً ، ويبلغ طول بعض هذه البحيرات
نحو ١١٥٢ متراً في عرض مائة ، وقد اقيم في بعض هذه البحيرات جزيرتان
فيهما المطاعم ومحال الرقص والالعب المتنوعة والقهوات . وعلى منحدرات
هذه البحيرة وعلى الخضرة الجميلة جلسنا بين الجالسين أمامنا الماء تسير فيه
الزوارق حاملة المتفرجين والمتزهين وفوق رؤوسنا اغصان الاشجار الجميلة

يهزها النسيم العليل ، وبجوارنا يتابع الماء تنحدر مياهها فوق الاحجار والصخور ثم تنحدر الى البحيرات ، وكل زمى الذى قضيته على شاطئ البحيرات ، وأنا بين استغراب ودهشة ، بسبب الحرية المتناهية التى تلحق الانسان العاقل بالحيوان الاعجم ، تجلس الفتيات مع الفتيان والرجال على شواطئ البحيرة مختلطين مستهترين ، لا يحقن منتقدا ، وليس من ينتقد اعمالهن الا الغريب الذى لا يعرف اخلاق وعادات تلك البلاد ، فانه كثيرا ما استوقف نظرى مشاهدات يحمر لها وجه الانسان خجلا مألوفة ، يا حة عندهم ، حتى يأتىها الشرطى الموكل بالحفظ ، فيألفها من انسانية قد انقلبت الى وحشية

ويخيل الى أن فرنسا تسير بهذه الحرية المطلقة الى هوة سحيقة وستصير بعد زمن ما اباحية واذا دام الحال على هذا المنوال ، انتشرت من باريس تلك الازياء المغرية التى تنفر منها الطباع السليمة الى الامم خصوصا الامم التى تقلد تقاييدا اعمى

ولقد عجبت كثيرا من مقدرة رجال فرنسا لقيامهم بالاعمال الجسيمة وخلق النعيم والرفاهية لاهلها ، وكيف يعتنى اهل باريس بقضاء اوقات فراغهم فى اللهو والسرور والجلول والحبور وخروجهم الى المتنزهات العامة بكثرة فان الغابة مع اتساعها وصلاحياتها للسير والجلوس مكتظة بالتنزهين حتى خيل الى ان جميع سكان فرنسا هجرت منازلها الى تلك الغابة ؛ وقد كانت هذه الغابة قبل اصلاحها مابجا للشريرين وقطاع الطرق حتى اعطتها الحكومة لبلدية باريس بشرط ان تقوم بالنفقات اللازمة لاصلاحها اصلاحا يعود بالمنفعة على الامة ؛ فقبلت البلدية ذلك ؛ وانجزت ما وعدت

فاصبحت هذه الغابة أحسن متنزهات باريس ، مع بقائها على هيئة الغابة الطبيعية ، ولكن شوارعها اصبحت تضارع أحسن شوارع المدن ، وقد بلغت مساحتها أكثر من ألف فدان . وزادت رغبة النساء للتنزه فيها لما يقصدها من أهل اليسار وغيرهم فتجدها ملاءى بهن ، يتبارين في اظهار جمالهن وخلاعتهم وملابسهن الحسنة

وصفوة القول ن هذه الغابة في باريس نقطة الجمال واكبر متنزهاتها وليس لمدينة من المدن العظيمة ضاحية مثلها ، جمعت انواع المحاسن والجمال ، وحسن الانتظام تتصل بها اعظم الشوارع التي تعتبر كمتنزهات عامة ، تكثر فيها المقاعد فيجلس الناس عليها لرؤية الغادين والرائحين ، ومن لم يرها فقد فاته شيء كثير

برج ايفل

من غرائب الآثار وانغمها واعجبها وادلها قدرة على براعة الانسان وعلو همته ورقى فكره (برج ايفل) فان منظره يهولك لعظمته ونفامة بنائه وتركيبه أكثر مما يهولك منظر هرم الجيزة الاكبر

وهو يعد الآن من غرائب الصناعة ، وأجل آثار التمدن الحالى بنى فى سنتين من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٨٨٩ للمعرض العام الذى اقيم فى باريس فى تلك المدة بناه المهندس الشهير جورج ايفل ، فقال من حكومته اعظم مكافأة وبعد اتمامه نصب عليه العلم الفرنسى ، وهو لا يزال الى الآن وقد اقيم وسط حدائق غناء ، يبلغ علوه ٣٠٠ متر أو الف قدم وهو أعلى بناء فى الارض ، مصنوع كله من الحديد تقريبا ، اقيمت قوائمه المنحنية

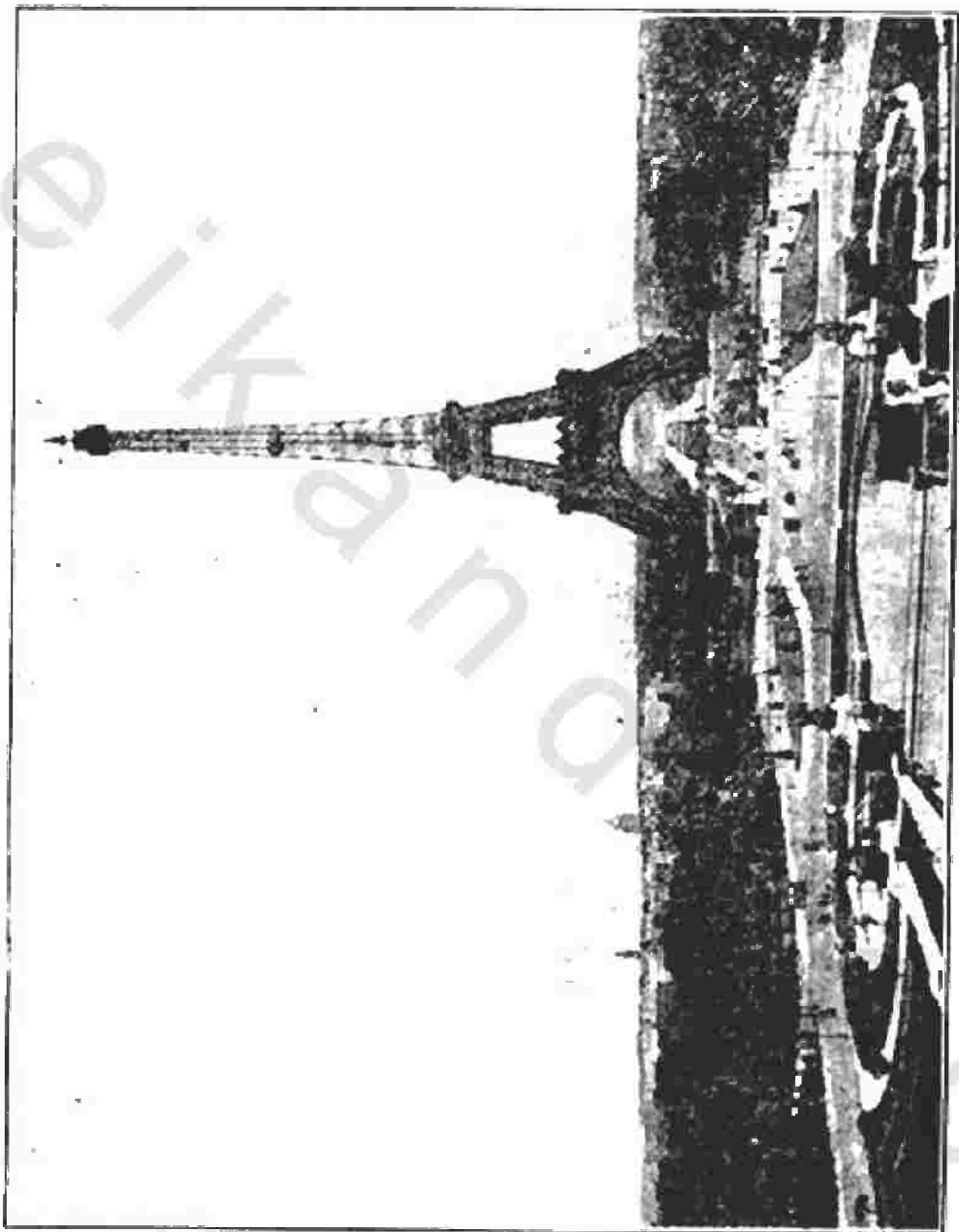
على قواعد ضخمة من الاحجار الكبيرة ، يشغل من الارض مسطحا اكثر من ١٦٧٠٠ متر مربع ، وكل ضلع من اضلاع مربعه ١٢٩ متر أو يقال إنه اذا وزن حديدہ لا يقل عن سبعة ملايين كيلو جرام ، به خمسة وعشرون مليوناً من المسامير كما علمت . وقد جعل ثلاث طبقات ، يصعد اليها إما بدرج أو بالآلة الرافعة (السنسير) وهي التي يعتمد عليها الناس في صعودهم الى الطبقات الثلاث ويمكن أن يصعد بواسطة هذه الرافعة نحو ٢٣٠٠ شخص في الساعة الواحدة ومثلها للطبقة الثانية و ٧٥٠ للطبقة الثالثة ، ويمكن لعشرة آلاف نفس الاجتماع في جوانبه في آن واحد

وقد أخذت جوازا من نافذة على بابه ثمنه خمسة فرنكات للصعود لآخر طبقة فيه ، ولكل طبقة اجرة خاصة ، ولما دخلت حجرة الرافعة وجدتها واسعة ، تسع نحو ٦٣ شخصا في المرة الواحدة وقد اضطرب قلبي وبللني العرق في يوم كان باردا لما فكرت اني سأصعد الى هذا العلو الشاهق ، ولما امتلأت ارتفعت بنا بسرعة ، تسير على جانب من جوانب البرج كأنها تسير على قضيب سكة حديدية

وصلنا الى الطبقة الأولى ، التي تبعد عن سطح الارض بنحو ٥٧ مترا ومسطح ارضيتها نحو ٤٢٠٠ متر مربع ، وهي مفتوحة على مسطح ٩٠٠ متر مربع فيرى الناظر من هذه الفتحة أرض البرج

وقد شيد في هذه الطبقة عدة اماكن للطعام والقهوات يسع الواحد منها من ٥٠٠ الى ٦٠٠ نفس ، بها دكاكين للبيع والشراء والبارات وحديقة جميلة ، وقد نقش في أعلى محال هذه الطبقة صور كبار المهندسين الفرنسيين الذين اشتهروا في هذا القرن باختراعاتهم ، وفي هذه الطبقة دعا جورج ايفل

برج افشار



فى يوم ٤ يوليه سنة ١٨٨٨ نحو مائة رجل من كبار محررى الجرائد الباريسية لتناول الطعام وكانوا أول من صعد فيه بعد صناعته

وتبعد الطبقة الثانية عن سطح الارض ١١٥ مترا ومسطح هذه الطبقة ١٤٠٠ متر مربع ولما اردت الصعود من هذه الطبقة الى التى أعلى منها راودتنى نفسى أن اكتفى بما رأيته ولكنى لما رأيت الرجال والنساء والاطفال يصعدون بدون خوف ولا وجل شجعتنى ذلك وحب الاطلاع الى المضى الى النهاية وفى هذه الطبقة البارات والقهوات وبعض الحوانيت مما يعد سوقا صغيرا

وكلما وصلنا الى طبقة غيرنا الرافعة باخرى اصغر منها لان البرج شديد على شكل هرمى يستدق كلما صعدنا ، فتستعمل رافعات مناسبة لذلك ، وليس هناك طريق للوصول الى الطبقة الثالثة وهى قمة البرج غير الرافعة وكنت اعتقد أن هذه الطبقة لا تسع فوق سطحها سوى واحد أو اثنين فلما وصلت اليها وجدتها تسع نحو ٦٠٠ نسمة بهادكا كين أيضا لبيع الاشياء الجميلة تذكارا لزيارة هذا البرج ، وفى القمة برق بدون سلك (تلفراف اللاسلكى) وبريد

وهنا تأخذك الدهشة حينما ترى باريس تحت نظرك كأنها خارطة تنظر اليها من جميع نواحيها فيحدد لها نظرك وترى الشوارع العظيمة الاتساع تسير فيها الناس والسيارات كأنها طرق نمل كما ترى نهر السين يخترق باريس كأنه جدول مزرعة يسير متعرجا فيها وترى غابة بولونيا العظيمة كأنها حديقة صغيرة ، والقصور والضواحي الجميلة والمعامل يتصاعد منها الدخان ، فيداخلك سرور يملأ نفسك ، وتود ألا تغادر هذا المكان

لتمتع نظرك ببديع المناظر الباريسية الجميلة التي لا يتسنى لك رؤيتها الا
من هذا المكان

والجلوس على قهواته يعمده الانسان من اجل النزهة وأحسنها فكانه
جالس في السماء أو فوق هامة الجوزاء

وقد اقامته شركة نالت به امتيازاً لمدة احدى وعشرين سنة فجمعت
تفقاته مدة المعرض وكل ايراده في المدة الباقية ربح خالص لها فان عدد
الذين سعدوا الطبقة الاولى منه كما قال بعض المؤرخين ١٦٩٦٨٠٢٧٨ والثانية
١٦٢٨٣٠٢٣٠ والثالثة ٥٧٩٠٣٨٤ فمجموع ذلك اكثر من أربعة ملايين في
مدة ستة اشهر

وعندى أن برج إيفل يعد من غرائب آثار الدنيا وعجائبها واكثر
مشاهد الزمان غرابة ، ويدل دلالة واضحة على مالاًهل فرنسا من الثروة
والغنى في العلم خصوصاً العلوم الهندسية، فهو على الاجمال من أحسن ما جادت
به فريضة الانسان ، ولا يمكن شخصاً أن يتصور عظمة هذا البرج وكيفية
إقامته ، وما به من الحديد ، حتى يحضر الى باريس ويراه بنفسه

الملاهي بباريس

الاورا وميـدـانها

اذا سرت في شوارع باريس ، ورأيت ميداناً فسيحاً تتفرع منه عدة
شوارع مكتظة بالناس والمركبات المتراصة ، ورأيت جندياً يمتطي جواداً
وتحت إمرة خمسة جنود راجلين فقل هذا ميدان الاورا

لم تر عيني طول حياتي مثل هذا الازدحام وتلك الحركة الهائلة، التي يقف الانسان أمامها ذاهلاً ، خصوصاً من لم يرها من قبل : قوم يهرولون وسيارات تمر ، وعالم يكرر ويفر ؛ وآخرون يغوصون من فتحات فيه تحت الارض لا يستطيع الانسان أن يجتازها إلا بعد ان يأمر الشرطى بوقف السيول الجارفة من السيارات . فاذا حول وجهه الى شارع وصفر وقفت حركة السيارات فجأة ، وتكون في لحظة جسر عظيم عريض من السيارات وتدفق سيل من الناس يقطع الشوارع . ومع هذا الازدحام وتلك الحركة الكبيرة لا تحدث أخطار وهذا يتبع النظام ومهرة السائقين ، ومعرفة الناس واجب السير . ومتى أشار الشرطى بمرور السيارات سارت تدب ديباً بحركة تسترعى الانظار .

وقد سرت في هذا الميدان ليلاً حين خفت الحركة فرأيت العمال يصاحون بعض جوانبه ووجدته مرصوفاً بالخشب السميك ولم اتيته إلا بعد تفرس كبير لاني لا أعلم أن الميادين ترصف بقوالب من الاخشاب المتينة .

وفي هذا الميدان يجتمع الناس على قهوة قريبة من دار الاوبرا . تسمى (كافيه ده لايبه) قهوة السلام ، وهى من أشهر القهوات وأوسمها ، يجلس الناس عليها لمشاهدة الحركة في هذا الميدان ، ويقصدها عصراً أهل الذوق والالطف من الجنسين ، فنظر هذا الميدان يأخذ بالالباب ، ويبين عظمة الممالك ومقدار ازدحام المدن الكبيرة بالسكان ، وعليها تمر وتجلس غانيات باريس وحسانها ، فهو مركز حركة المدينة ونقطة اتصال أعظم شوارعها

مسرح الاوبرا

في هذا الميدان أقيم مسرح الاوبرا وهو بناء شامخ حليت جوانبه وحيطانه وأعالیه بالتماثيل الكثيرة المتعددة المتنوعة ، ابتدئ في بنائه سنة ١٨٦٢ ولم ينته منه الا سنة ١٨٧٤ ، وهو أوسع مسارح العالم . وان كان مسرح (سكاللا) بميلانو و (سان كارلو) بنابولي يسع كل منهما أكثر منه لكثرة محالهما ، الا أنه أوسع منها مساحة ، فانه يشغل من الارض مامساحته نحو ١١٢٣٧ مترا مربعا . ولقد افرغ فيه العقل الانسانی من التحسين والزخرفة قصارى ما يصل اليه . وقد انفق في بنائه مبلغ يقدر كما قال بعض المؤرخين بـ ٤٧٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك واجهته التي تشرف على الميدان تشتمل على طبقة أرضية أقيمت على سبع حنايا (بواك) يصعد اليها من سلم عريض ، جميعها محلاة بالصور والتماثيل التي ترمز الى حالة الشعر والموسيقى والغناء والانشاد والرقص الى غير ذلك وتعلو هذه الطبقة أخرى تشتمل على سبع نوافذ فوق الحنايا السفلى تشرف منها على هذا الميدان العظيم الساطع بالانوار المتلألئة . ويحيط بهذه النوافذ عمد جميلة تبلغ نحو الثلاثين واكثرها من الرخام الملون متوجة رءوسها بالبرونز المطلي بالذهب الوهاج .

وقد صنعت الخارجات (بلكونات) أمام هذه النوافذ من الرخام الاخضر ويعلو هذه الطبقة سياج محلي بما يفوق الوصف من الصور والتماثيل المذهبة . ويعاوه قبة عظيمة أقيم عليها تمثال اله الشعر ورب الانشاد . أما داخل المسرح فقد اتفق المؤرخون على أنه أحسن مسرح للتمثيل والموسيقى

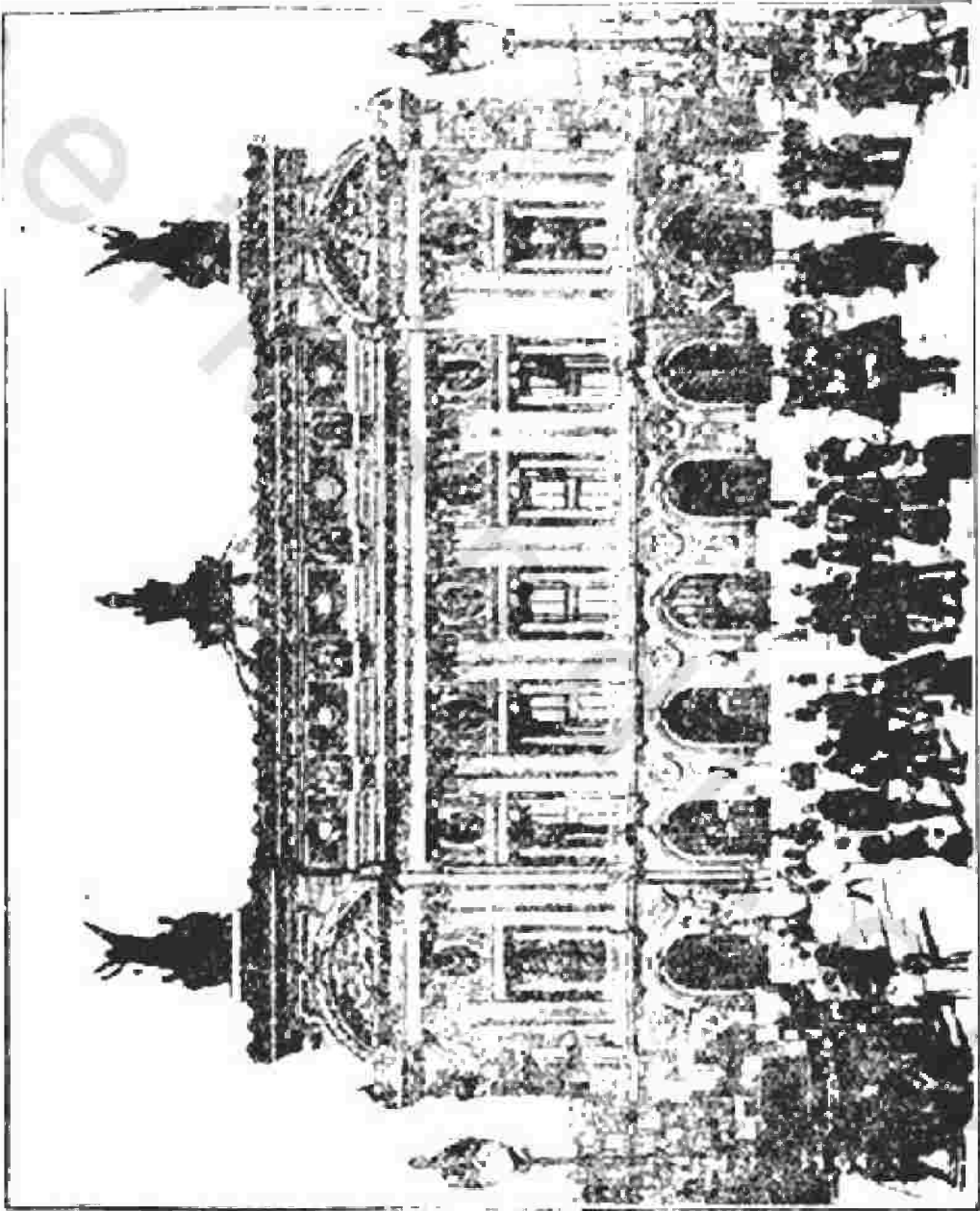
فى الأرض كلها لو عدت الابنية التى تؤثر فى نفس الناظر اليها داخلا
وخارجا لكانت أربعة :

(١) الاوبرا ببـارىس (٢) كنيسة ميلانو (٣) قصر المحاكم فى بروكسل
(٤) كنيسة الفاتيكان وقصره بروما

جميعها من المباني الضخمة العظيمة التى اشتهرت عند الخاص والعام ،
والمثلون فى هذا المسرح ينتقون من أحسن الممثلين والممثلات ، وأمهـر
المغنين والمغنيات ، وتمده الحكومة الفرنسية بإعانة سنوية

ولقد يقف الانسان أمام وصفه حائرا لا يتسنى له وصف جماله وآيات
حسنه وبهائه ، كله أعمدة مذهبة ونقوش دقيقة ، ومقاعد فاخرة وسقف
تلمع وجدران تسطع وصور تكاد تنطق ، بلغت غاية المدى من الاتقان
والجمال ، يرقى اليه الصاعدون على سلم عريض ، صنعت درجاته من المرمـر
الابيض فاذا ما صعد الداخل رأى من كل جانب منه اناسا يصعدون
وينزلون فى الفروع الباقية من هذا السلم العجيب حتى أنه ليظن الانسان
أنه فى بلاد الجن وهذا السلم مقام على ثلاثين عمودا من الرخام

ومما يزيد الانسان ذهولا نخامة ذلك المسرح المذهب رخامه الساطع
زجاجه ، يقصده عليه القوم من الرجال والنساء بأفخر الملابس ، وثمان الجواهر
وبين كل فصل وآخر يخرج الناس للسير فى بهو تراه آية فى الجمال
وحسن البهاء ما وصف مثله الواصفون ، كله رخام صقيل ، وبلور نضيد
وذهب وهاج وأطلس نفيس ، وتماثيل ، وصور آلات الموسيقى والغناء
بالسقف وسائر الأنحاء ، بلغت نهاية الزخرف وحد الاتقان ، تعد من عجائب
هذا المسرح من حيث بنائها وزخرفها وتذهيبها ، وما بها من العمـد وسعتها



کوبر پیدیس

فان طولها يبلغ نحو ٤٤ مترا في عرض ثلاثة عشر في ارتفاع ثمانية عشر مترا
بها مرايا ارتفاع الواحدة منها سبعة امتار بجوانبها عمدة صغيرة تبلغ العشرين،
تحتال فيها الغيد الحسان ، ببديع الازياء فينسى الانسان هموم الحياة ومتاعها
ولا يفكر الا في بديع صنع الباري

رهبان مدين والذين عهدتهم ييكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركما وسجودا

وهذا المسرح يحوى سبع طبقات من المقصورات مكسوة جميعها
بالخمل الاحمر فاذا اطفئت الانوار ظهرت الالوان محمرة كأنها اللهب يدخل
النساء فيه لابسات المعاطف فاذا ما جلسن على مقاعدهن خاعنها فظهرن
جزءا من ظهورهن وصدورهن فحلت محل ضوء الكهرباء

ومما لاحظته في هذا المجتمع الادب الكامل والوقار التام تسيل الناس
فيه رقة ولطفا وحسن ذوق ، فاذا ما دخلت المسرح تقدمتك فتاة
وارشدتك الى مقعدك بلطف ورقة . وهنا يجمل بك ان تقدم لها شيئا
من النقود ، وإن لم تطلب منك ذلك . واذا ما دخلت خلال الفصل
ارشدتك الى محلك بضوء كهربائي

وجميع الرجال يخامون قبعاتهم (برانيطهم) متى دخلوا المسرح الا النساء
فلهن الحرية التامة في ذلك ، وقد علمت ان لك الحق ان تطلب الى السيدة
التي تحجب قبعتها نظرك عن رؤية الممثلين نزعها عن رأسها ، وهو واجب
يقوم به الشرطي اذا عجزت عنه

ومما يلفت النظر بنوع خاص انك لا تجد في المسارح اولادا ولا بنات
مع آبائهم وامهاتهم ولا تسمع دويا ولا صفيرا ولا دقا بالعصى والارجل
كالذى نشاهده في مسارحنا ، فاخلاق الناس وآدابهم في المجتمعات العامة
يصح ان تكون نموذجا للاخلاق الراقية والاداب العالية

وعلى الجملة فانك اذا نظرت الى حوائط المسرح وما فيه من التماثيل
والزخرف والنقوش والجلوس هالك هذا المنظر ، وملاً نفسك هيبة
واحتراما لاهل باريس وعجبت لتفنههم في اتقان ملاذهم واعتقدت انك في
عالم آخر لم يخطر لك على بال

واذا خرجت تمشي بين فصل وآخر وجدت في نواحيه قهوات
وحانات ومحال للتدخين والمطبات بانواعها وغير ذلك مما يريح المتفرج
ومن حسن الحظ انى حضرت فيه رواية (تاييس) وقد كنت رأيت
تمثيلها في مصر فرأيت البون شاسعا والفرق عظيما : رأيت الممثلين يؤدون
ادوارهم في حذق ومهارة غاية في الاتقان والبراعة خصوصا من أدت دور
تاييس فانها برعت في اتقان دورها مع جمالها الرائع وحسن صوتها الرخيم
وسلامة التعبير ، وحسن الالتقاء وجودة التمثيل ، كما اجاد الكاهن كل
الاجادة وقد اعجبني منه مبارته واستمراره على نصيح تاييس والحامه عليها
في الاقلاع عما هي عليه من الغواية والضلال صابرا على ما يلاقيه منها من
الاهانة والتحقير حتى ذلل ماصعب وامكنه ان يدخل مواعظه الحسنة
وارشاداته الى آذانها ثم الى قلبها حتى انقادت له واتبعت نصائحها واقلعت
عما كانت عليه من الغواية ووقعت في جباله فاصبح يتصرف في قلبها ويلعب
به كلما تلعب النكباء بالعود ، ورجعت الى الله رجوعا لا تشوبه شائبة التعلق

بزخارف الدنيا ونعيمها ، وقد فارقت الحياة وهي في ريعان شبابها فاسف
السكاهن على موتها وبكى بكاء مرا وظهر انه كان يحبها حبا يقرب من العبادة
كل ذلك مثل بفاية الدقة والاتقان والبراعة ، حتى ترك ذلك في نفسى
اثراً لا تمحوه يد الايام

ولا يزال يرن في اذنى الى الآن صدى صوت تاييس وهي تلتجى
الى صنم معبودها ان ينجى شبابها وزهرة جمالها من سقوطها فى يد هذا
السكاهن وحيرتها بين الرجوع الى نصالحه ومواعظه وبقائها فى ملاهى
الدنيا وملاذها

فأين مارأيته من براعة الممثلين فى مسرح الاوبرا مما أراه فى مسارحنا
فانى لا اكاد افهم لبعض الروايات مغزى لعجز بعض الممثلين عن القيام
باتقان ادوارهم وعدم وضوح مغازى الروايات التى تمثل . ولا انكر ما يقوم
به بعض الممثلين فى مسرح رمسيس من اتقان ادوارهم إلا أن ذلك لا يعد
شيئاً بجانب مارأيته هناك

واعتقد انه اذا دام تشجيع الحكومة للممثلين وقام اهل المسارح
بما تفرضه عليهم الوطنية واتجهت اغراضهم وميولهم الى الغرض منه أدوا
خدماً جلية للامة واثروا فى اخلاقها تأثيراً بينا يفوق وعظ الواعظ وارشاد
المُرشد فنتقل الامة من هذا الانحطاط الخلقى الفظيع الى درجة الرقى
والكمال وقفنا الله جميعاً الى خدمة الوطن العزيز

من باريس الى لندن

لم يكن من برنامج سياحتى أن أزور إنجلترا، ولذا لم اطلب من قلم الجواز (البسبرتات) في مصر ذلك. ولكنى لما وجدت نفسى في باريس وعلمت بفخامة وعظمة معرض (ومبلى) وان الناس يقصدونه من الممالك السحيقة، لمشاهدة ما به من آيات الصناعة والفنون، اعتزمت زيارته مهما اعترضنى من الصعوبات، فقصدت قنصلية إنجلترا في باريس، لآخذ منها جوازاً بالسفر الى إنجلترا، فامتنعت عن اعطائى جوازاً، بادعاء انى لم أطلب ذلك وأنا بمصر، فايسيت من السفر الى إنجلترا، ولكنى فكرت أن اذهب الى قنصل مصر في باريس، لعلى أجد عنده حلاً. فلما ذهبت اليه، واعلمته الخبر، أشر على الجواز (بقوله لا مانع من ذهابه الى إنجلترا) وأخبرنى أن أقدمه الى القنصل الانجليزى فلما قدمته اليه لم يتردد لحظة فى السماح لى وتقاضى ٣٥ فرنكاً رسم الجواز.

وبهذه المناسبة لا يفوتنى ان أثنى ثناء عاطراً على حضرة المحترم مراد بك قنصل مصر فى باريس لسمو اخلاقه ورقى آدابه ولما يقوم به من الاعمال الجليلة فانه يمنع كثيراً من الباريسيّات الساقطات اللاتى يحضرن الى مصر، للاتجار باعراضهن، ولا يعطى لهن جوازاً الا اذا قدمن له سبباً معقولاً يقتنع به، ويساعده فى ذلك حضرة المحترم التقى الشاعر الناصر موسى بك رئيس الكتبة هناك، وقد رأيت ذلك بنفسى مراراً فلو لم يكن للقنصل فائدة سوى منع هذا السيل الجارف، والخطر المهدق عن مصر لكفى ذلك، مع أنها تقوم بتسهيل شئون المصريين وربط العلاقات التجارية

وحسن التفاهم والتعارف بين المصريين وغيرهم ، ونشر فضل مصر في البلاد التي تجهل مكانتها وزيها .

ولم يغب عن ذهني مآلاته احدى الكاتبات الفرنسيات ، (انا سنذهب لنا كل عسلا وجرادا بريا) لما دعاها صاحب الدولة سعد باشا زغلول الى حفلة شاي اقامها في باريس ، فاذا كان هذا حال كاتبة متنورة ، ملمة باحوال الأمم فما حال من لم يعلم عن تلك البلاد شيئا مع أن أهل فرنسا أكثر ارتباطا ومعرفة بالمصريين من غيرهم لما لهم من المصالح الكثيرة فيها . ولا انسى مقابلة صاحب السعادة محمود نخري باشا ، سفير مصر في باريس فانه قابلنا ببشاشة ولطف لم اعهدهما في عظيم مثله ، وجاملنا أحسن مجاملة ، وقضى معنا وقتا طويلا من زمنه النفيس ، فعرفنا منه اخلاقا يصح ان تكون نموذجا لارقي الاخلاق ، يقوم باحسن الخدمات لمصر والمصريين هناك ، وينشر فضلها ومكانتها وأحقية استقلالها ولزوم السودان لها بصحف باريس الكبرى

وهو قوى جدا في اللغة الفرنسية ويعرف اللغة العربية ويحفظ كثيرا من شعرها ونثرها وكذا يحفظ كثيرا من القرآن الكريم وله مكانة سامية ومنزلة خاصة بباريس .

وياحبذا لو قام كل سفير بما يقوم به سفير مصر في فرنسا وانجلترا ، حتى يقف العالم على أحوال مصر وحقيقتها ومركزها وما هي عليه من الرقي الذي تستحق به أن تتبوأ مركزها اللائق بها تحت الشمس ، وقد سرت آدابه واخلاقه الى جميع موظفي سفارته حتى اصبحوا جميعا غاية في حسن الاخلاق والادب . ومما يجدر ذكره اني شاهدت جميع مستخدمي السفارات والقناصل في الممالك التي زرتها يلبسون القبعات متى برحوا مكاتب السفارة

ويلبسون الطرايش فيها ، مع انه يجب ان يلبسوا الطرايش داخل السفارات
وخارجها ، حتى يمثلوا مصر باعمالهم وازيائهم ، فيعرفهم كل من رآهم
وفي اعتقادي انه واجب يجب على الحكومة ان تلزمهم بلبس الطرايش
داخل السفارة وخارجها هذا

وقد ذهبنا الى محل كوك لناخذ منه جواز السفر (التذكرة) الى
انجلترا ذهبا وإياها فبلغت قيمتها ٢٩٠ فرنكا ، وقد سألتنا مستخدميه عن
احسن طريق واسهلها لعبور بحر المنش بين فرنسا وانجلترا ، فاختاروا لنا
الطريق من مدينة (ديب) الى مدينة (نيوهافن) في انجلترا وان كانت
المسافة تستغرق نحو ثلاث ساعات إلا ان السفر منه ليس مزعجا كالسفر
من كاليه الى دوفر وان كانت ساعة ونصف ساعة لان البحر بينهما شديد
الاضطراب والامواج والانواء ، فاتبعنا نصيحتهم

ولما كان في نيتنا ان لانمكث كثيرا في انجلترا تركنا حقائبنا الكثيرة
في الفندق الذي نزلنا به في باريس ، وأخذنا معنا ما يكفيننا من الملابس
مدة قصيرة ؛ لأن غرضنا زيارة معرض ومبلى والمشاهد المشهورة بلندن

ثم امتطينا سيارة من فندقنا الساعة العاشرة فوصلنا المحطة وركبنا
القطار حيث قام الساعة العاشرة والنصف صباحا ، مخترقا مروجاً نضرة
جلها تلال ووديان تجرى بها المياه والجداول ، بها مراعى واسعة ترتع بها
الخيول والبقر والغنم ومنازل منتشرة هنا وهناك ، يتمنى الانسان ان تكون
مسكننا له طول حياته . ولا اريد ان اعود الى وصف الاراضى التى يسير
بها القطار لانه قد مر وصف مثلها كثيرا

ومقاعد القطار نفحة مريحة ، وضع على رف كل حجرة من حجروه

كتابان كبيران ظننت انهما لاحد الركاب ولما لم يأخذهما أحد بحثنا فيهما فوجدنا ان بكليهما معلومات جغرافية عن الجهات التي يقطعها القطار وعدد ما يقطع بالكيلو مترات بين بلدة وأخرى وخرطها غاية في الدقة والاتقان توضح مواقع البلدان التي تمر بها وما بها من الفنادق واجرة المبيت بها ومواقعها ، ومعلومات واسعة ترشد المسافر الى كل ما يريد معرفته ؛ فمعجبت العجب كله لعناية الغربيين بما يدل على رقي البلاد وتمدينها وقيامها بما يفيد اهلها والمسافرين والسائحين ولم ار في قطر الممالك التي زرتها مثل هذا

ومازلنا سائرين وسط مشاهد تشرح الصدور وتسرع العين وتزيل الهموم والافراح تارة تصعد فوق تل وأخرى تهبط واديا وتارة ندخل في نفق ، حتى وصلنا الى مدينة ديب ، وهي ثغر فرنسي به ميناء واسعة محفوفة من غوائل البحر برصيف عظيم صناعي وطبيعي ، وهذا الثغر مشهور بلطف حماماته البحرية يقصده السائحون من كل فج ، وقد دخل القطار بنا الى الميناء حيث وجدنا السفينة في انتظارنا ؛ ووجدنا البحر هادئا هذا اليوم فسررنا وحمدنا الله ، ومنينا انفسنا بالراحة لقطع هذا المضيق المشهور باضطرابه وهيجانه ، ولما انتظم الراكبون واخذ كل مكانه ، صفرت السفينة ايدانا بالمسير ، فاصطف الناس في ممشى السفينة لرؤية المدينة والميناء من البحر ، فأقلعت وسارت باسم الله مجريها ومرساها ، واخذت تمخر عباب البحر في هدوء وسكون ، فلا السرور فؤادي ، لاني سأصل الى بلاد طالما تمنيت رؤيتها واخذت اتجاذب اطراف الحديث مع صديقي على افندي فهمي الرشيدى في امور شتى وبالاخص عن لندن وما بها من الحركة والزحام والخلق الانكليز في بلادهم ، وما نسمعه

عنهم من وداعة الاخلاق ، مما نشاهد عكسه في بلادنا من الفظاظة والغلاظة والكبر والغلظة المملة التي لا تحتمل . وما كنت اصدق ما يقال عنهم من انهم اهل لطف وادب و خلاق راقية ، حتى رأيت منهم من حسن الاخلاق والآداب فوق ما كنت اظن (وليس الخبر كالعيان)

وقد لاحظت اثناء سير السفينة ان طيوراً بيضاء كبيرة الجثة تقرب من النسر تتبع السفينة في سيرها ، حتى وصلنا الى مدينة (نيوهافن) من اعمال انكلترا ، ولم أعرف السبب الا اننى استنبطت انها تتبع السفينة حتى لا تضل طريقها ، فتصل الى البر الآخر في زمن قليل ، ومازلنا نتمتع الطرف والبحر هادئ ليس به ما يقلق الراحة حتى قربنا من مدينة (نيوهافن) وهنا شعرت بدوار ، فقاومته مقاومة كبيرة حتى سلمت منه وعند وصولنا أخذوا منا الجوازات ليؤشروا عليها بما يفيد صحتها والسماح لنا بالمرور ثم عرضت حقائبنا على المفتش بالمكس فلم نلاق صعوبة وقد يكتفى بسؤالنا عما معنا ، فنجاوبه صدقا ، فيخلى سبيلنا . وبعد أن خرجنا من محال التفتيش ، وجدنا القطار الذى يقلنا الى لندن منتظرا ، فركبناه وقام مسرعا ، وهنا يعجز القلم عن وصف المناظر الجميلة التي مررنا بها ، من مزارع غاية في التنسيق والترتيب ، ومراع ترعى بها أنواع الماشية ، وتلال مكسوة سفوحها بالاشجار الباسقة ، والوديان ذات الجداول الجميلة . وقد امطرتنا السماء غزيرا ، فاصدنا المنافذ بالالواح الزجاجية ، وصرنا نتمتع الطرف بالمشاهد التي نسجتها يد الطبيعة ، فطورا تصعد فوق قنطرة وأخرى تهبط واديا ، وما زلنا كذلك حتى اشرقنا على منازل العمال . وهنا يأخذك

العجب لعناية الحكومة بتشييد منازل للعمال غاية في النظافة وحسن الترتيب والنظام والصحة . وقد شيدت على نظام ونمط واحد في حقول ومزارع واسعة فانك تجد شوارع طويلة جدا مرصوفة ، تفتح فيها أبواب المنازل ، أمام كل منزل حديقة صغيرة يفصلها عن الشارع سياج صغير ، وكل بيت متركب من ثلاث طبقات أو اثنتين ، كل سطوحها بالطوب الأحمر ، فنراها كأنها مجاميع من الورود الحمراء ، فيرى الناظر إليها منظرا يملأ نفسه سرورا يرغب كل انسان في سكناها لما بها من الجمال وحسن الرونق والرواء وقد سار القطار في هذه المباني الجميلة الصحية ما يقرب من ساعة حتى خيل إلى أن لندرة عبارة عن مساكن للعمال لكثرة ما رأيت منها

وهنا رثيت لحال العامل المصري الذي يسكن احط الاكواخ واقدرها لا يجد مأوى يريحه بعد تعب الشاق المتواصل ، فلا الحكومة تنظر اليه بعين الشفقة والرحمة ولا هو يعرف كيفية نظام حياته ، فتراه يقضى سحابة يومه مجدا في عمله حتى يخيم الظلام فيذهب الى كوخ لا منفذ فيه الا كوة صغيرة في أعلاه لتصريف الهواء الذي يفسد من تنفسه وأولاده وماشيته فيكاد يختنق ولا ينجيه الا طلوع الفجر حيث يبدأ عمل يومه وما زال القطار يخرق هذه المشاهد الجميلة حتى وصلنا الى محطة فكتوريا الساعة السابعة مساء وهي محطة غاية في الابهة والعظمة .

ننصر

وصلنا محطة لندن بعد سفر ثمانى ساعات ونصف من باريس الى لندن عن طريق ديب ونيوهافن ، ولما وطئت قدماى أرض اكبر عاصمة في العالم

قوة وعظمة وسكانا، أحسست بانى فى بلد صاغتها يد الحضارة الراقية
والبستها ثوباً قشيباً، بلاد دوخ أهلها الممالك والبلدان، وتحكموا فى الرقاب
واستطالت يدهم الى أبعد مدى، فأصبحت تجبى اليهم الاموال من جميع أنحاء
المعمورة، وانتشرت تجارتهم مزاحمة كل اسواق العالم، وقد احكموا
مواصلاتهم برا وبحرا وجوا فدانث لهم البلاد والعباد

رأيت محطتها مكتظة بالمسافرين الى جهات عدة على ارضفة كثيرة
متعددة والخدمة منتشرون فى جميع نواحيها يرشدون الضال الى محل قصده
فى هدوء وسكون، يقصد المسافر نافذة التذاكر منتظرا دوره، فلا تزعجهم
بالمنالك ولا ضجة ولا جلبة، ولا جرس يطن، ولا صفارة ترعج الناس
بصوتها ايدانا بقيام قطار، ولا حارس يصيح فى الناس ان ابتعد عن القطار
ولا غير ذلك مما نسمعه فى بعض محطاتنا، بل كل مسافر يبتاع جوازه
ويقصد القطار مطمئنا عارفا بميعاد قيامه، ومع هذا الزحام الشديد وتلك
الحركة المدهشة لا نجد لها اثرا يخلق لان كل شئ سائر على محور النظام والترتيب
ولما سرت فى اول شارع فى لندن هالنى مارأيت من ضخامة عماراتها
وارتفاع بنائها ارتفاعا يناطح السماء تمتد اميالا غاصة بالساح النقيصة
والجواهر الثمينة، والحوانيت التى رتبت فيها البضائع ترتيبا يلفت النظر،
ولكن كثرة ما يتصاعد من دخان المصانع والمعامل شوه ظاهر تلك
العمارات الضخمة فزال جمالها ورويقها وبهاءها، الا فى مواضع قليلة من
لندن لبمدها عن مجرى دخان المعامل

وما كدت اخطو خطوات قليلة، حتى صدتنى جماهير السائرين،
لان المدينة يومئذ كانت مكتظة بالالوف التى حضرت من الممالك والبلدان

البعيدة لزيارة معرض (ومبلي) الذي طارصيته في الآفاق، فاخترقنا الصفوف واصطدمنا بالمئات والالوف سائلين عن اقرب فندق للمحطة فارشدنا شخص اليه فلما دخلناه لم ترق لنا الإقامة فيه وكانت تديره سيدة فاعتذرتنا لها بانه لا يوافقنا فاخبرتنا بان هذه فرصة يجب ان تغتنموها لان كل الفنادق مشغولة بالزائرين للمعرض فلم نصدق قولها وخرجنا نبحث عن الحبر التي عرفناها قبل قدومنا الى المدينة نحو ثلاث ساعات فلم نعر على حجرة واحدة فيها خالية فرجعنا الى فندق هذه السيدة ، ونحن نجرب أذبال الحجل ولا نود مواجهتها لرفضنا الإقامة في فندقها ولكن الضرورة اضطررتنا الى الرجوع اليها معتقدين انها ستقابلنا باحتقار وازدراء ، كما نعهد في اخلاق أهل بلادنا ، فلما وصلنا الى الفندق ، رحبت بنا ، وهشت وبشت في وجهنا فازالت ماعاق بنفوسنا من الحجل واكرمتنا كثيرا حتى اضطررتنا الى الإقامة في فندقها مدة اقامتنا في لندن . وقد يهولك كثرة الحركة في الشوارع فانك لا تقوى على قطعها عرضا الا بمساعدة الشرطي فتى أشار بيده الى تلك الجبال المتحركة من السيارات وقفت فجأة كأنما يده آلة كهربائية متصلة بمجلات السيارات والمركبات فاذا وقفت حركة السير ، مرت الناس افواجا ، ثم يرفع يده مرة أخرى فتعود سلسلة المركبات الى السير ، ولا يمكن سائقا أن يخالف أو امره مهما كانت حالته ولو سائق الملك والسيارات ذات الطبقتين (الامنيوس) لها كثرة لا تعقل فلا تخلو دقيقة من وجود سيارات منها تمر بك ، ويركب الطبقة العليا فيها من يريد التفرج على شوارع المدينة

ولا أخالك تصور هذه الحركة المروعة معها وصفتها لك فاتها فوق

وصف الواصفين . ولا عجب فان سكانها يزيد عن سبعة ملايين ، وهو عدد يزيد عن سكان مملكة برمتها ، حتى انك لو وقفت طول اليوم في بعض الميادين تريد اجتيازها لما وجدت فرصة تمكنك من ذلك ، الا اذا اوقفت حركة السيارات يد رجال الشرطة . وما الذي يقوله الواصف في مدينة اعظم مدائن الارض واكبرها واهمها اتصت بها العمار الكثرية من كل جانب حتى أصبحت كأن لا آخرها يعرف ولا أول لها يوصف ، فلو جمعت شوارعها العديدة بعضها الى بعض ، لبلغ طولها اربعة آلاف ميل ، وهي مسافة تزيد عن البعد ما بين مصر ولندن

ولما كانت لندن متسعة وحركة الاعمال عظيمة فيها لم يكن بد من إيجاد طريقة تسهل المواصلات وتقوم بإنجاز تلك الاعمال التي لاحصر لها ولذا شيدوا كثيرا من محطات السكك الحديدية من ذلك اربعة عشر محطة كبيرة لشركات مختلفة ، توصل لندن بالاطراف والجهات ، واكبرها محطة واترلو بها نحو سبعة عشر رصيفا تقوم منها القطر على شكل بديع ونظام جميل ينتقل الناس فيها من رصيف الى آخر على جسور جميلة يضل فيها المسافر ، ولذا يجب عليه ان يسأل العمال الواقفين في مدخلها عن الرصيف الذي يقوم منه القطار الذي يقصده فيرشدونه بلطف . وقد خصصوا عمالا يقومون بالاجابة عن كل سؤال يوجه اليهم يختص بقيام القطر ومجيئها وما يلزم لراحتهم وبعض هؤلاء العمال لا ينتهي من الاجوبة عن الاسئلة التي توجه اليه طول اليوم

وفي لندن من غير هذه المحطات اكثر من ثلاثين محطة أخرى خصصت بهذه العاصمة وقد بنيت كلها تحت الارض ، وانفقت بعض

الشركات في حفر السرايب تحت الارض مبالغ طائلة، وهي تخرق لندن في جميع جهاتها كالشرايين في جسم الانسان ويركب في تلك القطر التي تسير تحت الارض الالوف من الناس كل يوم وقلمما تجد فيها مقعداً خاليا وتمتاز هذه السرايب عن سرايب باريس فانها متسعة جميلة لا يشعر الانسان فيها باقل سامة كما يشعر في انفاق باريس لا تشم هواء فاسدا وكانك سائر فوق الارض، واكثر الناس يركبون فيها لبعدها عن جلبة المدينة ويظهرونها كل يوم حتى تكون صالحة للتنفس والسير فيها براحة تامة. ويقول بعضهم لو فسد الهواء فيها ماتت تحت الارض نحو مليوني نفس وبعض هذه السرايب تمر تحت مياه نهر التاميز كما تمر الناس في انفاق تحته ايضا سقفوها بالحديد، وبنوا لها محطة في كل جانب من جانبي النهر، والمسافر ينزل الى المحطة في آلة خافضة ورافعة، او على سلم كثير الدرجات حتى اذا وصلها وجد الناس تحت الارض بكثرة لا تعقل منتظرين ورائحين وغادرين كأنهم في يوم حشر او في مهرجان عظيم، وعلى كل فليس لامة من الامم من المواصلات برا وبحرا وجوا وتحت الارض مالا يجلترا

ومما يجدر ذكره أنه يحرس الشوارع رجال من الشرطة اقوياء اذ كياء ذوو نباهة وذوق، ينظمون حركة السير في الشوارع تنظيما يريح السائر خصوصا في محل تقاطعها، حيث يكثر الزحام، والناس جميعهم يطيعون اشارتهم، واذا سألت أحدهم عن محل تقصده اقبل عليك باهتمام وارشدك الى ما تريد من غير ان ترى على وجهه علامة ضجر او ملل، واذا خاتته ذا كرتة، وضع يده على جبهته، واخرج من جيبه مصورا (خارطة)

ونظر فيها ثم دلك على كيفية السير والوصول الى محل قصدك ، فازداد عجبى لتلك النباهة وهذا الاستعداد ؛ وتذكرت حال الشرطى المصرى الذى لا يعرف ما مجاوره من المحال والمساكن وقد تكون فى حوزة اشرافه وملاحظته

وللشرطى الانكيزى دراية كبيرة فقد يعلم كل شئ يحدث فى بلده حتى عن السياسة الخارجية لانه فى اثناء سؤالنا له عن السفارة المصرية ، قال من اين انتم فقلنا له من مصر فقال لماذا كل هذا الاضطراب وتلك المظاهرات مع انكم اصبحتم مستقلين كارلندا ؟ فقلنا له من اجل الاستقلال التمام لمصر والسودان ، فلم يجاوبنا وانصرفنا الى حال سبيلنا ، وقد لا يكون فى البلاد الراقية شرطى مثله فى روعة المنظر والهيئة ، فان رجاله ينتخبون من ذوى القامات الطويلة والاجسام الضخمة ويشترط فيهم ان يكونوا ذوى معارف وخبرة باحوال البلاد ، قولهم مسموع امام الحاكم فى كل حادثة يباشرونها ، فتكفى شهادتهم لأدانة المذنب ، وهو محترم لدى الجمهور يطيعون او امره فيما هو من اختصاصه

وقد يدهشك كثرة ما فى لندن من النوادى ومحال المجتمعات على اختلاف انواعها وتعدد احوالها ؛ لان لكل طائفة من الطوائف - وهى كثيرة - امكنة للاجتماع لترقية احوالهم ماديا واجتماعيا . وهى تعد بالالوف عندهم ، وقد تستخدم هذه الاندية فى بعض الاحوال للشئون السياسية ومن فوائده الاندية عند الانكيز ان اهل كل حرفة وطبقة يعرفون فى انديتهم اقدر الرجال واخصهم ، فاذا جاء دور الانتخاب لمجلس النواب يكون لمبرزيهم اعرف الدعاة لهم ، فيختارونهم للنياية عن الامة وبهذه

المناسبة ، انقل عبارة عن الاندية لبعض المؤرخين لما تحتويه من الغرائب والمجائب قال :

من غرائب الاندية في لندن نادى السكوت وهو للصم والبكم ، ليس فيه كلام يسمع ، ولا جرس يقرع ، ومن يدخل النادى من المشتركين يضغط على زر كهربائى ينير قطعة من المكان فيفتح له ، وبنور الكهرباء اصطاحوا على اشارات للتفاهم بينهم ، ويدخله الرجال والنساء يلعبون ويتجادثون احاديث صم ويفنون غناء الصم . وبها ناد للمعتزلين عن الناس يدخله من ضاقت صدورهم ، ولا تقبل فيه النساء الا بعد سن الخامسة والمشرين ، وقد جعل دوليا عاما ، ولا يؤدى المشترك فيه شيئا ، وهو فى بابه ، لانه يضم اناسا من اهل الارض بأسرها ، ومن جميع الطبقات الراقية وفيه طائفة كبيرة من أرباب المكانة والشهرة . وعندهم ناد اسمه نادى (العجل الذهبى) ونادى (القط الاسود) ونادينا وعضاؤه من اعظم الادباء ونادى (١٠١) ونادى الست الساعات وهو ناد اعضاؤه ستة ، يدخلون اليه كل يوم الساعة السادسة ويخرجون منه الساعة الثانية عشرة ومع كل واحد منهم كتاب . (والنادى الدائم) وعدد اعضائه مائة يقسمون ألا يخرجوا أما كنهم مهما كلفهم الامر من المخاطر حتى إنه حدث يوما حريق قرب ناديتهم فلم يخرجوا منه الا بقوة رجال الشرطة

وفى لندن اندية قلما تقبل فيها النساء ، وفيها اندية للراغبات عن الزواج . ومن انديتهم نادى اللويا السوداء على مثال نادى نيويورك ، وهو مؤلف من اربعين عزبا يجتمعون مرة فى السنة ، ويضع رئيسه فى صندوق اربعين حبة من اللويا ومنها واحدة سوداء ويسحب كل عضو حبة ،

فمن سقطت السوداء في يده حكم عليه قانون النادى بالزواج . والنادى يتكفل
بنفقة تزويجه ، كما يبتاع له أثاث بيته ، ويقوم بنفقة سفره ثلاثة أسابيع
مدة شهر العسل .

وفيها أندية طالبات الزواج على مثال نادى اليابان يتم بواسطته كل
اسبوع مائتا قران ، ويتزوج أكثر هؤلاء بالنظر الى صور خطيباتهم
الشمسية . وفيها ايضا نادى المنتحرين شعاره (بالموت شفاء الاسقام كلها)
ولا تقبل فيه النساء ولا العزب من الرجال ، ونادى للارواح يدخله علماء
ومحامون وجراحون وباحثون ممن يهتمون بكشف الاسرار عن مخاطبة
الارواح ، ونادى لمن لا انوف لهم ورئيسه مصرى انفه لا يكاد يظهر في وجهه ،
ونادى مشوهى الخلق ، ونادى السوداويين يجتمعون فيه كل اسبوع وهم
عبارة عن حوذين وسواقين وملاحين ، ليتسابوا ويتشائموا ، ويظهروا فضل
قرائحهم في علم الطعن والقذف ، ومن قصر من الاعضاء أو أبدى لطفا
في الفاظه وحركاته يفرم في المرة الاولى وفي الثانية يطرد من حظيرة اقرانه ،
ونادى العبوسين يدخله من ساءت اخلاقهم ، يلتزموت السكوت ، فيجلس
الواحد منهم الى ناحية ، يدخن غايونه بدون أن يتكلم ، ونادى قتل البشر ،
وهم يؤثرون القتل على ثلم الشرف ورئيسهم قتل خمسة وعشرين شخصا
في البراز ؟ اه

فانظر يارعاك الله الى هذه الاندية وغرائبها وتفننهم فيها بما هو معقول
وغير معقول .

وقد قال من وصف اندية الانكليز (الاندية مرآة صادقة تقرأ فيها

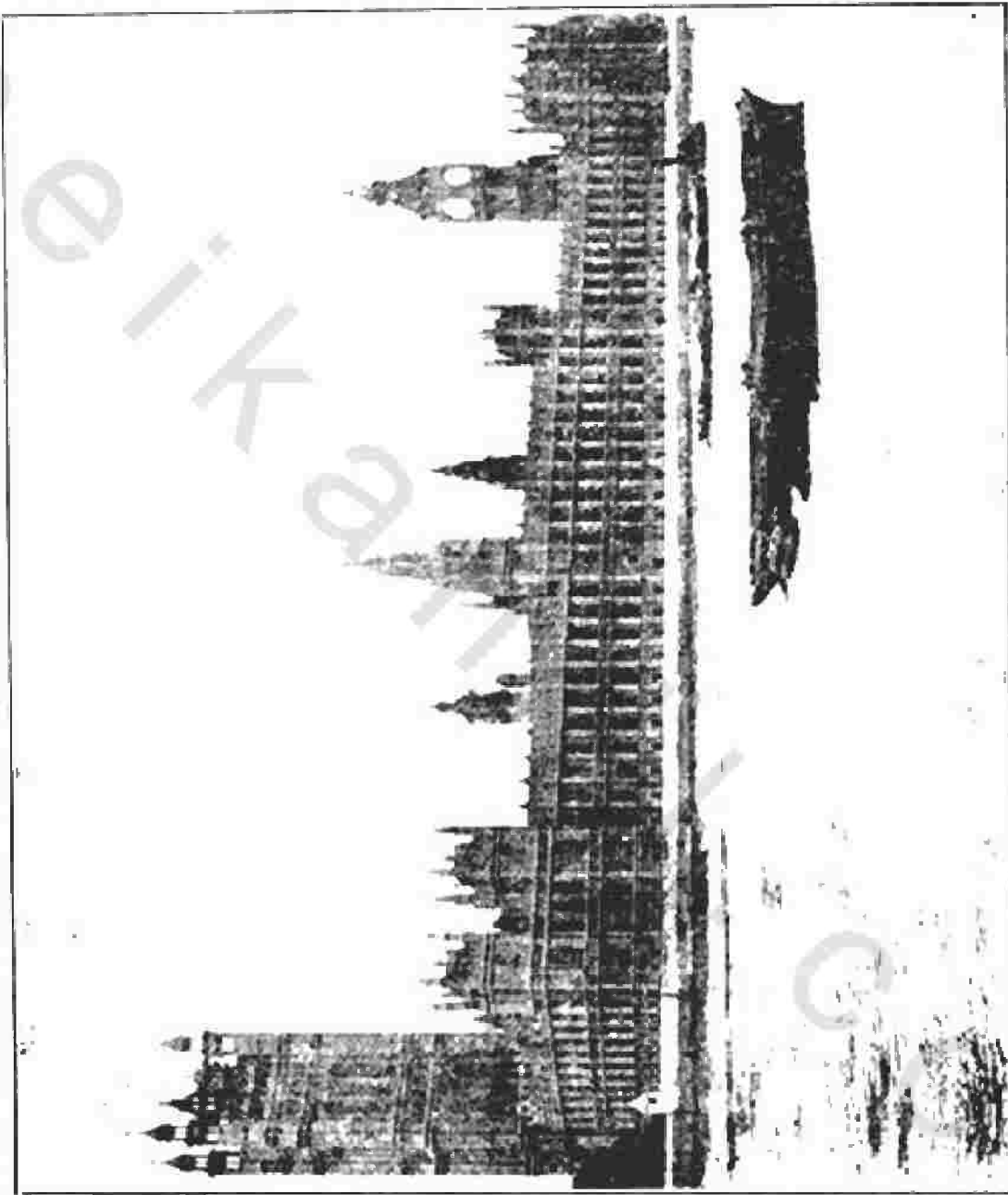
عنوان القاب والابدال الذى طرأ على المجتمع الانسانى والاخلاق على توالى
القرون والاعوام

وأقدم أندية لندن النادى البحرى الملكى أسس سنة ١٦٧٤
ولا يفوتنى أن اذكر أن الجو هناك لا يروق الشرقى الذى الف
الشمس الساطعة والضوء اللامع الصحو ، فالمطر هناك لا ينقطع الا قليلا ،
والسما لا تصفو حتى يرجع اليها ظلامها الدامس ، فيجتمع ظلام الجو مع
سواد النازل فيكونان ظامة لا تسر ، تجد البرد صباحا ومساء شديدا ،
فهو يشبه شتاءنا مع أننا كنا هناك فى شهر اغسطس ، ولذا تجد بعض
الانكليز يلبسون المعاطف نهارا وليلا ، وقد شاهدت بعض النساء لا يخلعن
معاطف المطر الا قليلا . والجو كثير التقلب لا يستقر على حال ، فلا تأمن
أن يكون الجو صحو حتى يتغير بسرعة عجيبة الى سحاب داكن فتسكب
الامطار بشدة ومع ذلك فلا تزعمهم كما تزعمنا لانهم ألفوه ، وجعلوا له
استمدادا فى لباسهم ومنازلهم وشوارعهم .

البرلمان الانكليزى

يقرب من كنيسة وستمنستر بناء ضخم ممتد الاطراف والنواحي له
عظمة وجلال ، هو مجلس نواب الامة الانكليزية ولورداتها . وعظامته
لا تخفى على أحد ، حيث تصدر منه سياسة العالم ، فهو مدير دفتها ومحورها
الذى تدور عليه وقطب رحاها . وقد أخبرنا سائح زار اكثر ممالك اوربا
أنه لا يوجد برلمان لامة من الامم مثله .

وقد شيد على نهر التاميز ، ممتدا على النهر بواجهة تبلغ ٩٤٠ قدما ،
مزينا بتمثيل الملوك والملكات من عهد وليم الفاتح الى عهد الملكة فكتوريا



البريد الانكليزي

ويشغل مساحة قدرها ثمانية افدنة انكليزية . به ثلاث عشرة ردهة ، غاية في الجمال والزخرف ، ومائة سلم في جهاته المختلفة وبه نحو ألف حجرة . وتنتهي واجهته في كل من طرفيها بمجناح بارز ، وما بين الجناحين ينقسم الى ثلاثة أقسام متساوية ، تفصلها عن بعضها بروج صغيرة ، لها منظر نغم يجذب القلوب ، ويدل على مقدار اعتناء الامم الراقية بمحل اجتماع نوابها ، ليتشاوروا فيما يعود على بلادهم بالخير والبركة ، وقد نزعوا ما في صدورهم من غل ، إخوانا على سرر متقابلين

لما وصلنا إليه وجدنا السائحين مزدحمين على بابه الخارجي ازدحاما شديدا يتعذر معه دخولهم الا بترتيب ونظام ، فاصطفت الناس على بعد كبير من بابه ، ولما فتح سرتا متراصين متكافئين ، لا يقدر الانسان ان ينقل قدمه اكثر من قدم . ولما دخلنا القاعة الاولى ، رأينا عظمة البناء والنقوش والصور وزخرف السقوف التي تلفت الانظار لجمالها وبهاؤها . ومازلنا سائرين متراصين يدفع بعضنا بعضا فلا يتمكن الانسان من الوقوف اذا أراد ، لشدة اندفاع الناس وعدم القدرة على التقدم او التأخر ، تتأمل في نظام الحجر وجمالها وتنسيقها ونقوشها وابداعها وسعتها ، حتى وصلنا الى حجرة مجلس اللوردات وهنا ظهرت عظمة البناء وجلاله ، غشيت جدرانها واسقفها بالذهب ، ونضدت فيها المقاعد مدرجة على هيئة (انف تيارو) مكسوة بالجلد الاحمر الناعم ، وضعت في وسطها منضدة تحيط بها المقاعد ، وفي صدر هذه الحجرة عرش الملك يجلس عليه عند الاجتماع ؛ له حسن وزخرف لامثيل لهما موه جميعه بالذهب الاخالص وارتفع حتى قرب من السقف ، وامام العرش شبه منبر يصعد اليه من يتخاطب اللوردات

وعلى يمين العرش وشماله مقاعد للأمرء والسفراء مرتبة ترتيباً يليق بمنازلتهم وطبقاتهم ، وبه عدة مقصورات مرتفعة أعدت للمدعوين وأصحاب الصحف وطول هذه الحجرة يبلغ نحو ثلاثين متراً في عرض أربعة عشر ، وارتفاعها كذلك ، بها اثنتا عشرة نافذة ، وقد رسم فيها كثير من صور الملوك الذين حكموا أنكرا ولهم يد في نهضتها ، وقد خرجنا من هذه وسرنا حتى وصلنا إلى ردهة واسعة على شكل دائرة مسقوفة بالحجر بها عدة تماثيل مقامة في جوانبها لعظماء رجال الأنكيز ، ويتفرع منها عدة طرق ، منها طريقان ، أحدهما للذهب والآخر للآيب ، فسرنا على اليمين في طريق طويل ، أقيمت بجوانبها منحوت زجاجية ، نسقت بها الكتب الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى وامتدت على مسافة طويلة ، منظرها يأخذ بالآبواب لكبرها ونظام كتبها وزخرف جلودها ، وأكثرها محلاة بالذهب وجلود الكتب بنظام واحد

وقد دخلنا من باب كبير وصلنا إلى حجرة مجلس النواب ، طولها ثلاثون متراً في عرض أربعة عشر ، وزخرفتها أقل بكثير من زخرف مجلس اللوردات ، والرئيس محل مرتفع في جهتها الشمالية ، قد نصدت مقاعد على يمينه جعلت للوزراء ، وخلفها مقاعد حزب الحكومة ، وقد خصصت المقاعد التي على يساره لرؤساء أحزاب المعارضين ، وخلفهم أحزابهم ، وبجوار الرئيس مقصورات خصصت لكتاب الجرائد والأجانب الذين يصرح لهم بالدخول لرؤية المجلس وسماع مناقشاته ، وبدخل حجرة مجلس النواب حجرتان : أحدهما عن يمين الرئيس والآخرى عن يساره ، يستعملان في تعيين عدد الأصوات إذا حصل شك في عددها ، فيدخل

الاعضاء الذين من رايهم الايجاب الى الحجرة النبي والذين من رايهم السلب الى الحجرة اليسرى ويعدون وقت خروجهم فتظهر نتيجة الاغلبية من غير شبهة

وقد دهشت للفرق العظيم بين حجرة اللوردات وحجرة النواب فانها خالية من الزخرف والزينة لا تزيد عن حجرة عادية ، دارت حولها المقاعد الخشبية الخالية من الفرش ، وفي صدرها مقعد للرئيس خال من الزينة والحلية . وقد داخلني شك كبير في أن تكون هذه حجرة مجلس النواب ولذا سألت كثيراً حتى تأكدت انها لهم ، فعجبت أشد العجب لمجلس نواب هو اقدم المجالس النيابية عمراً ، واعظمها صولة وهيبة ، تنقل الاسلاك البرقية أخباره فتكون لها طنة ورنه ، وتأثير عظيم في مجرى سياسة العالم اجمع ، عجبت ان تكون بهذه البساطة الغريبة اذا رآها الغريب لم يصدق انه مجلس نواب هذه الامة العظيمة

وقد سألت عن الحكومة في ذلك فاخبرت انهم لا يريدون تغيير ما كانت عليه قديماً وان النائب يخدم امته على أية حالة كانت وبأى اعتبار كان . وليس لهم مرتبات ضخمة مثل ما لتوابنا الكرام بالنسبة لا يراد الدولتين ودخلها ، وقد كان النائب عندهم لا يأخذ اجراً على نيابته ومما يدهش الناظر الى مبنى البرلمان خارجاً رؤية برجين عظيمين :

١ - الاول برج الساعة تضاء بالكهرباء حال انعقاد جلسات البرلمان يرى منه ليلاً ، كما تقام في أعلاه راية ترفرف عليه ، وارتفاعه يبلغ نحو ٣١٦ قدماً ، به ساعة من اكبر ساعات الدنيا وأعظمها وأدقها ، لها أربعة وجوه ، قطر كل منها ٢٢ قدماً ونصف قدم ، وطول الرقم قدمان ، والمسافة

بين الدقائق قدم وربع قدم ، وجرسها يزن ١٣ طنا ، اذا دق سمعه جزء عظيم من لندن مع سمعها خصوصا اذا كان الجو ساكنا . فهي آية في العظمة والغرابة

٢ - برج فكتوريا يبلغ ارتفاعه ٣٣٦ قدما قد بنيت به حجرة بطريقة لا تؤثر فيها النار ، حفظت بها الاوراق والمستندات البرلمانية . وأسفل هذا البرج العظيم ، مدخل الملك الذي يدخل منه عند فتح البرلمان . ولقد يخيل اليك وانت سائر في طرقات البرلمان أنك سائر في شوارع مدينة كبيرة ، وله من الخارج روعة في النفس وهيبة وعظمة ، لا يمكن أن يصفه واصف مهما بالغ في الوصف ، كما أنه لا يدرك دقة ما في الحجر من النقوش والتماثيل .

كنيسة وستمنستر

هي بناء ضخم نفخ يشعر الداخل اليه بالعظمة ، وهي مشهورة بمدافن الملوك والملكات وعظماء رجال الانكليز من السياسيين والشعراء والكتاب والقواد والصناع وغيرهم ممن اشتهر امرهم وذاع صيتهم ، ولهم عمل عاد على الامة بالفائدة الادبية والمادية . وقد رأيت فيما رأيت فيها قبرا نثرت عليه الورود والرياحين والا كاليل هو قبر الجندي المجهول وله عندهم احترام عظيم . فاذا وصل اليه الزائر رفع قبعته ووقف أمامه خاشعا خاضعا يعظم فيه الجهاد الوطني والتضحية الكبيرة : يهتدى الى قبره كل يوم كثير من الورود والا كاليل ، قد كتب على قبره مامعناه (هذا قبر الجندي المجهول الذي دافع عن وطنه الى آخر لحظة من حياته) وله احتفاء خاص في كل

الممالك التي زرتها خصوصا فرنسا وقد تكلمت عليه فيما مر . والزائر لهذه الكنيسة يشعر باحترام عظيم لأولئك الابطال الذين خدموا بلادهم ورفعوها الى ذروة المجد باعمالهم العظيمة حتى استحقوا الشرف والتكريم من امتهم احياء وامواتا . ومن بين المدفونين هناك من السياسيين (وليام بيت) الذي عين رئيسا للوزارة وهو في سن الرابعة والعشرين من عمره ، ثم المستر غلادستون وزوجته ، وقبر الشاعر ملتون وشكسبير وغيرهم كثير . ومنهم من هو مدفون في فناء الكنيسة وقبره سوى بالارض ومنهم من اقيمت له تماثيل كاملة ، ومنهم من وضع في تابوت من الحجر وثبت في الحائط وهناك تمثال نصفي للقائد العظيم غردون باشا الذي قتل في الخرطوم ايام ثورة المهدي وغير ذلك من العظماء

ومحل التعبد فيها على شكل صليب يعجب الناظر لجماله وزخرفته وزينته وقد اكثر الاغنياء من التبرعات لهذه الكنيسة حتى صارت من اغني الكنائس ، ولكن صادرتها الدولة في املاكها ، كباقي الكنائس ، ثم رجعت عن ذلك فيما بعد واعادت اليها ماسلبته منها

وينظر الانكليز الى هذه الكنيسة بعين التجله والاحترام ، ويكافئون الشخص على اعماله الجليلة بدفنه فيها ، ويعد ذلك اكبر شرف واعظم فخار له ولاسرتة ولذا تجد قبور عظماء الانكليز واغلب ملوكهم في هذه الكنيسة مرسوما على بعضها ما يشير الى صفات امتازوا بها في حياتهم . مثال ذلك تمثال شارل جاكينز فوكس الوزير الكبير ، صور وهو يقضي نحيبه بين ذراعي الحرية وعلى ركبتيه ورجليه شاراة السلم وتحت



كنيسة وستمنستر

قدميه رجل من الارقاء ، قد اطلق من قيود الاستعباد . وهكذا من هذه الاشارات والرموز والمعاني

وقد وصلنا في مطافنا الى باب امامه رجل يأخذ نصف شلن لمن يريد الدخول في حجر خاصة بالملوك ومحال تتويجها وبعض تماثيل لهم ولزوجاتهم . ومن اجل الحجر وانحرها محراب اعد لصلاة الملك له عظمة ونخامة وجلال نضدت فيها كراسي من الخشب الجميل ، ثبتت في الحوائط لها بهجة وتنسيق وترتيب ونقوش ورسوم بديعة ، يجلس على كل كرسى منها حاملو نشان (الحمام) يجتمعون فيه باحتفال عظيم عند حضور الملك ، وامام مقعد كل شخص كتاب مذهب جميل . وقبة هذه الحجرة من ابداع مايري الناظر : سقفها مموه بالذهب الوهاج وبها صور وتماثيل ونقوش واعلام كثيرة علفت في وسطها وفي جوانبها ، تعد من اعجب العجائب . وامام هذه الحجرة مكان مرتفع على شكل مربع ، صعدنا اليه من سلم بديع ، وهناك وجدنا الكراسي المتيقة الخالية من الزخرفة والزينة تتوج عليها ملوك انكثرا وقد اتبعوا هذه العادة قديما ولم تغير الى الآن

ولم أر ازدحاما وكثرة زوار كما رأيت في هذه الكنيسة ، لاننا قد حضرنا قبل فتح ابوابها فتراكت الناس عليها ، وعند فتحها انسابت الجماهير انسياب تيارات المياه القوية ، فساروا صفوفا متساندة ، متبعين السير بنظام في الطرق المعدة للمرور بين الكراسي الكثيرة ، يرى الزائر سلسلة دائرة من الداخلين والخارجين

وقصارى القول انها من اعظم الكنائس التي زرتها لوجود كثير من آثار الملوك والعظماء فيها مما يضيق المقام عن شرحه

معرض ومبلى

ارتضينا النزول في الفندق الذي لجأنا اليه بعد ان اعيانا البحث والتنقيب وكانت اجرة المبيت فيه ثمانية شلنات ونصف (٤٢) قرشا بما في ذلك تناول طعام الافطار ، وهو عبارة عن بيض مقلى وزبدة ومربي وشاي باللبن ، وبعض اللحوم لمن يطلب والانسان يقبل على الاكل صباحا بشهية ، لان الجو هناك بارد كالشتاء عندنا

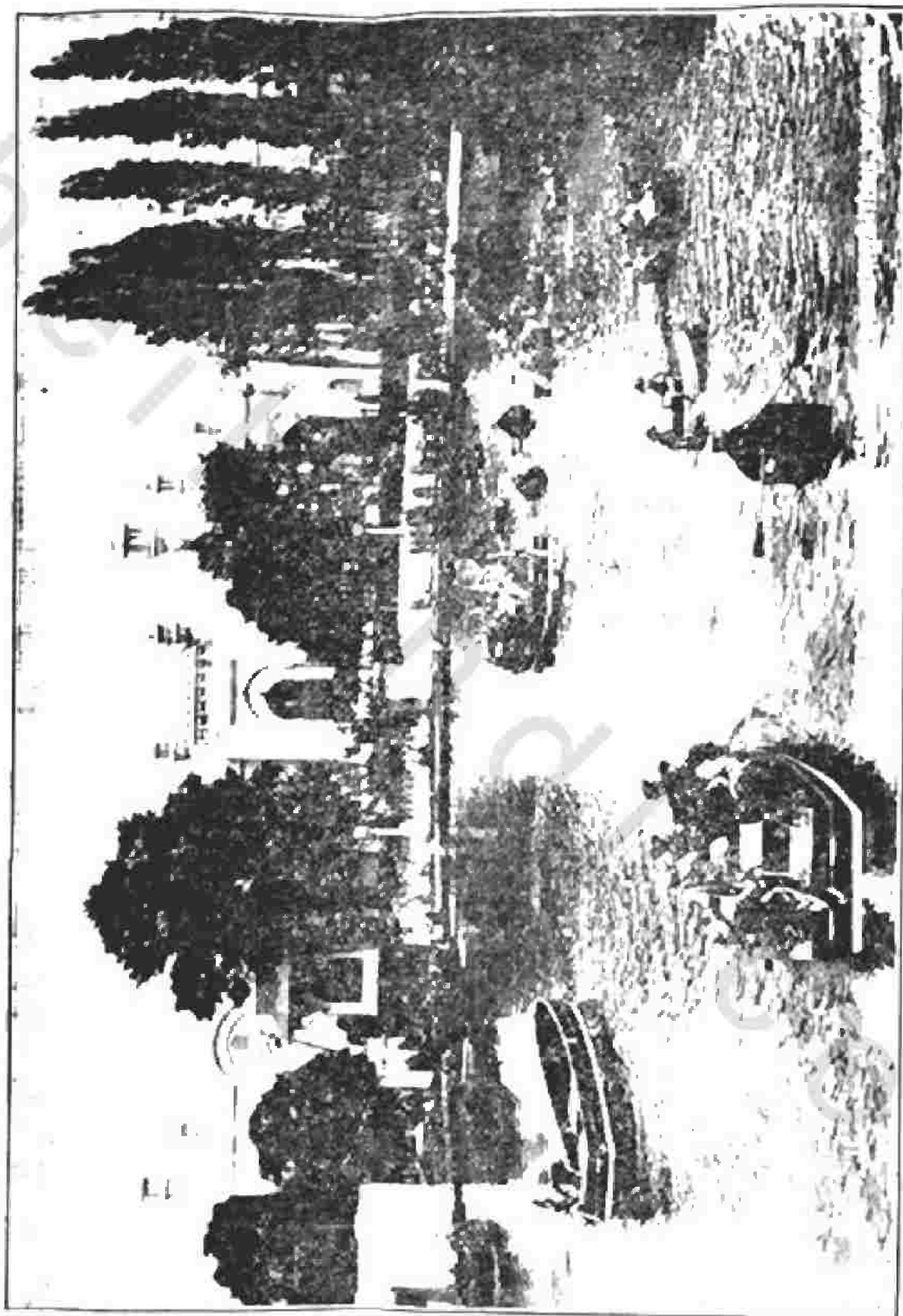
ثمنا فيه مستريحين تلك الليلة ، وقمنا مبكرين قاصدين رؤية المعرض ، فسرنا في الشوارع نتمتع الطرف بما فيها من محاسن التجارة والصناعة حتى وصلنا الى المحطة التي يركب منها زائرو المعرض القطار ، ومنها أخذنا جوازا بعد دفع شلنين ونصف بما في ذلك رسم دخول المعرض وبعد ان ركبنا القطار ، سار بنا فوق الارض جزءا من الزمن ، وبقية المدة سار تحتها ، في الاتفاق التي مر ذكرها في المقال السابق ، واجرة دخول المعرض وحدها شان ونصف ، ولما خرجنا من القطار ، صعدنا فوق قطرة (كبرى) ثم نزلنا وسرنا قليلا جدا حتى وصلنا الى باب المعرض

ومبلى ضاحية من ضواحي لندن ، تبعد عنها بمقدار ثلث ساعة في القطار ، فتحت انكثرا المعرض لزيارة الزائرين يوم ٢٣ ابريل سنة ١٩٢٤ وقد بلغت تكاليف اقامته نحو عشرة ملايين من الجنيهات الانكليزية ، اشترك في اقامته الهند وبعض المستعمرات الانكليزية والتي تحت الحماية ، فهو نتيجة اهتمام الامبراطورية باسرها ، ولقد كانت فكرة اقامة المعرض مختصرة عند الانكيز قبل الحرب العالمية الكبرى ، ولكن اشتعال نار

الحرب اخرت تلك الفكرة الى هذا الوقت . واذا كان هناك شئ يدل على عظمة الامم ورقيتها ، فمعرض ومبلى يدل دلالة واضحة على مالا نكاثرا من العظمة وبسطة الملك والسلطان وضربها في الرقي المادى والادبى بسهم وافر لا تضارعها فيه امة اخرى

فاذا اشرفت على المعرض من ربوة عالية هالك منظره ، وادركتك الحيرة ، وعلمت كيف تقوم الامم بعظام الامور وجلال الاعمال ، جمعت فيه كل دلائل الحضارة الحديثة ، ومقومات العصر الحاضر ، مما يقف الانسان امامه خاشعا

دخلنا بابه فرأينا حديقة واسعة جميلة ، بها انواع الزهور الزاهية الزاهرة نسقت تنسيقا بديعا ، وورصعت بها الكراسى الخضراء حول بحيرة جميلة المنظر ، وله في مدخله طريقان احدهما على يمين الداخل والآخر على يساره ، فسيرنا على اليسار وسط جرم غفير من الناس كلهم اعين لرؤية ما يذهل العقول فلا تجد احدا ينظر الى الآخر ، كانهم في يوم حشر ، رأينا مركبات كهربائية تتحرك مستمرة ينتظر الانسان سيرها بطيئا فيقفز بسرعة حتى يمكنه ركوبها ، فتسير به في جهات كثيرة من المعرض واذا اراد النزول انتظر بطاءها ونزل بسرعة كما ركب ، وكراسى بعجل يدفعها الخدم يركبها من يتعب من السير او من لا يقوى عليه ، وعجلات مقسمة الى صفوف بها مقاعد كثيرة يديرها رجل من الامام تسير بسرعة في طرقات المعرض الممهدة ، وعدة زوارق بخارية وغير بخارية في بحيرات جميلة ، مزدانة بمصابيح الكهرباء والاعلام ، فتحدث منظرا بالليل يسحر العقول وبها عدة جزر وسط البحيرات تقام بها المراقص والالعب ليلا وتصدق بها انواع



مجنونة معمرات وادي

الموسيقى وآلات الطرب فتمتقد انك في مهرجان عظيم جمعت فيه انواع
السرور والملاهي

وقد اقيم في ميدان واسع قريب من المدخل بناءان عظيمان ، اولهما
بناية تحوى الآلات الميكانيكية والهندسية ، وآلات توليد الكهرباء
وانواع العدد على اختلاف انواعها وتباين اشكالها ، وقد بلغت الدرجة
العظمى من الرقى

وأهم شئ لفت نظرى فيها ضخامة آلات توليد الكهرباء وتمدها
لايعرف انواعها واشكالها إلا من له خبرة ودراية بالعلوم الهندسية
والميكانيكية ورأينا عدة موانى بحرية للدولة الانكليزية ، مثلت احسن
تمثيل بها السفن الصغيرة التى تسير بالكهرباء تتبع فى سيرها الطرق البحرية
تدخل فى موانئها وتخرج منها ، ورأينا موانى ممثلة بالجبس تمخر فيها السفن
الحربية والتجارية وغير ذلك مما يعجز الواصف عن وصفه

ولسكونى لا اعرف انواع هذه الادوات ولا يمكننى حصرها اكتفى
بان اقول انها تدل دلالة واضحة على ما لانكثرا من الرقى الصناعى الذى
لا تضارعها فيه أمة أخرى ، وبهذا المبنى وحده خمسة واربعون شارعا ،
كتب على كل شارع رقم يدل عليه وعلقت على بابه الواح تدل على بعض
ما يحويه من الصنائع وغيرها وبه خيالة (سما) تعرض فيها كيفية سير
السفن الانكليزية ورسومها وخروجها من الموانى حاملة انواع التجارة
والصناعة فى جميع المحيطات

ومما بلغت نظر المتفرج فى هذا المبنى محل بناء السفن به الآلات

الضخمة التي تستعمل في بنائها مما يعجب لها من لم يرها من قبل ، والآلات الدقيقة كذلك

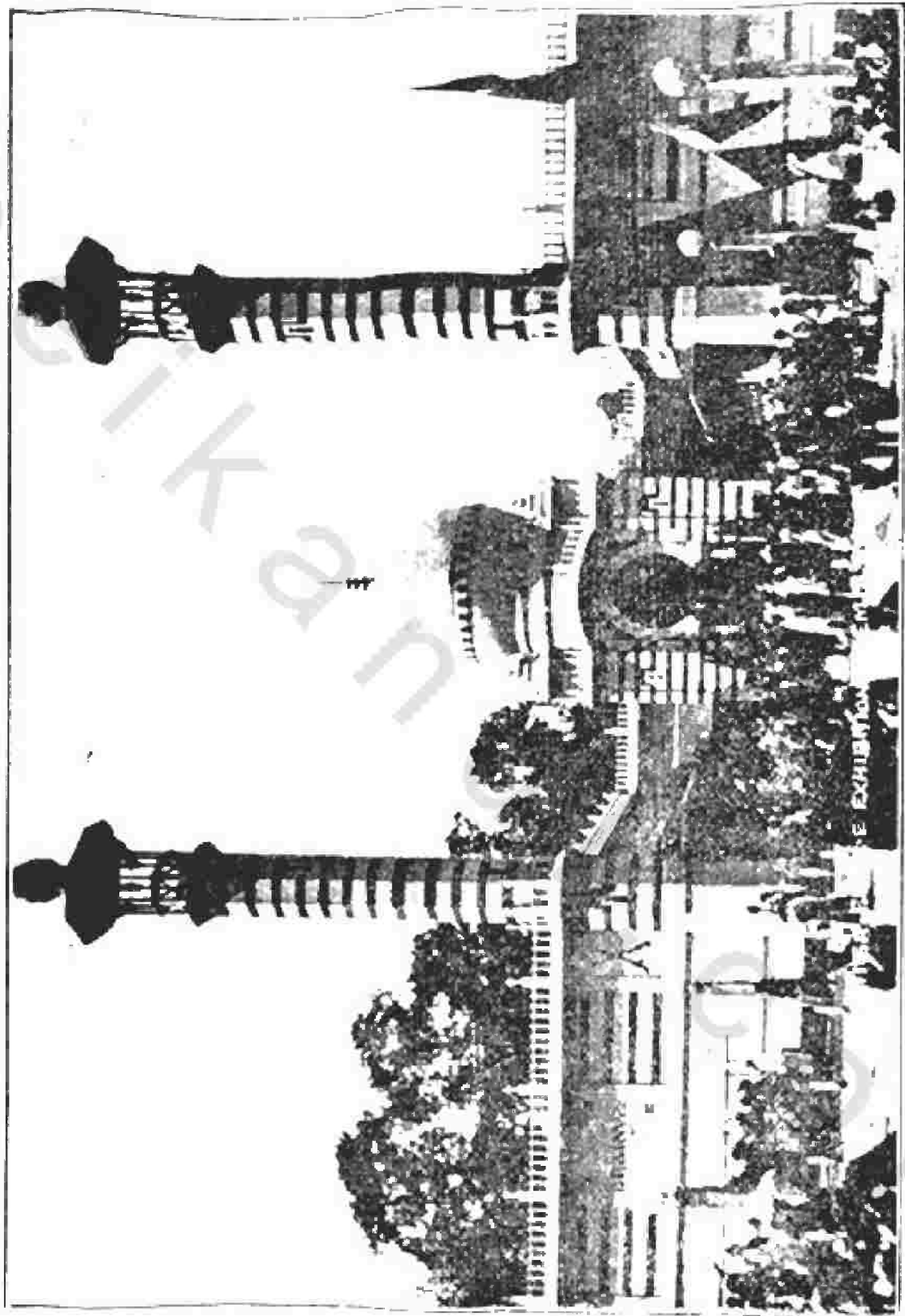
وترى عجائب الكهرباء في الكي والغسيل والطبخ والحلاقة كل ذلك من غير ان تديرها يد انسان ، وفيه السكك الحديدية مجهزة على احسن وابدع طراز وترى فيه اكبر القاطرات التجارية ؛ وبه هو لصاحب الجلالة ملك مصر المعظم فؤاد الاول على احسن مارتب ونسق ، به اثاث فاخر من الحرير النفيس فارتاحت نفوسنا لرؤيته ، وبه احدث السيارات واضخمها وغير ذلك مما لا يتصوره الا من يراه بعيني رأسه

والمبنى الثانى مبنى الصناعة والفنون به غرائب الصناعة وعجيب ما اخرجته يد الانسان واستنبطته قريحته ، على احدث نظام وابدع ترتيب ، حوى اهم صناعة الامبراطورية . به تماثيل كثيرة للرجال المشهورين الذين لهم يد في نهضة الفنون والصنائع ، وبه قسم الملاحى ترى مسرحا جميلا به زر كهربائى اذا ضغط عليه ظهر على المسرح الممثلين والممثلات بازيائهم القديمة فى القرون الوسطى ، فترى كيفية التطور الانسانى وما وصل اليه من الرقى . وبه كيفية صناعة الشكولاتة توضع المواد المكونة لها فى آلات فتتمر فيها بغاية السرعة فتظهر من الجهة الاخرى مجهزة كاملة ، وبه ايضا كيفية صناعة اللعب ، تمر الآلة على صفائح من القصدير فتكون فى طرفة عين اللعب وأغطيها وماعليها من كتابة وزخرفة مما يعجب الانسان له ويدرك سرعة الآلات فى احدث الاشياء وتجهيزها بسرعة عجيبة . ومن عجائب الصناعة وادقها نموذج لقصر ملكى ، ارتفاعه نحو ثلاثة امتار ، مركب من ثلاث طبقات ، حوى داخله كل مايصح ان يوجد فى قصور الملوك ، من

اثاث ورياش غاية في الجودة والزخرف، وبه مكتبة تحوى اكثر من اربعمائة كتاب، لا يزيد حجم الكتاب عن اتملة الاصبع. وبالجملة فيه كل ما يحتاجه ملك في قصره. وقد اشترك في صناعته اكثر من الف عامل وبعد اتمامه اهدوه الى ملكة انكلترا فظهر آية في عالم الصناعة، وكل ما في القصر من الاثاث والفرش والرياش مناسب لحجمه، ثم خرجنا من هذا قاصدين معرض الهند فشاهدنا بناء عظيم غاية في الفخامة والعظمة شيد على هيئة جامع من جوامع الهند الكبيرة ذى قباب عظيمة، يدخل الزائر بابا عظيما فيرى فناء صنعت به بحيرة جميلة، احيطت بالماشى المباطة بالحجار، واذا سرت بعد المدخل على يمينك رايت المحصولات النباتية والحيوانية والمعدنية قد اكتظت بها جوانب هذا المبنى الهائل، وترى الفيلة الضخمة والسباع والضباع والفهود محشوة قائمة على ارجلها كأنها حية، يرى الناظر اليها جلال قوتها وعظمتها، وداخل هذا المبنى معارض متعددة لكل ولاية من ولايات الهند وبها ما انتجته من المصنوعات والمحصولات الكثيرة المتنوعة

وصناعة الهند لا حصر لانواعها ترى الشيلان الكشميرية الجميلة على اشكال بديعة والملابس الحريرية المزركشة وسن الفيل بحجمه الطبيعي يبلغ طول السن نحو ثلاثة امتار، والخزف الجميل المزخرف غاية في الابداع وحسن المنظر، وانواع كثيرة معدومة النظير يسرك منظرها وتدهشك صناعتها

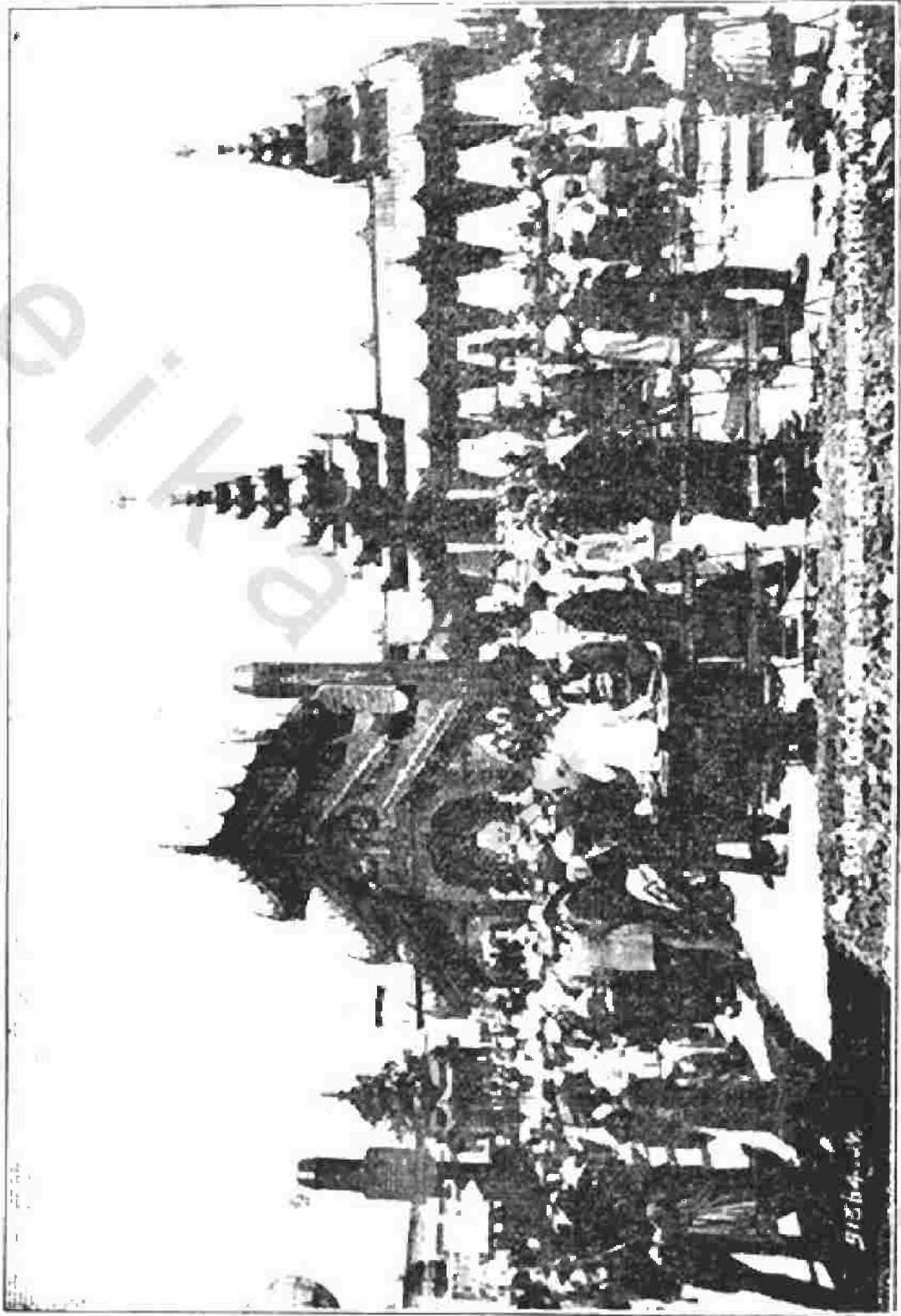
ومما يلفت النظر معرض الشاي فان الاشجار نقلت من مزارعها الى المرض وعرضت كما تعرض المناظر في المسارح يتخللها الجانون يبينون كيفية جنى اوراقها وتجهيزها وحملها على الدواب لارسالها الى الجهات وهو لشركة



موزه ملی افغانستان، کابل

انكليزية رأس مالها ثلاثون مليوناً من الجنيهات ، كما اخبرنا بذلك مدير المعرض الذى قابلنا بذوق كبير وقدم لنا كتاباً يحوى معلومات هامة عن الشئى وعمما تقوم به الشركة من تنمية زراعته ونشر تجارته »

وامام هذا المعرض محل واسع عاقت فى حوائطه عدة ألواح ، وتحف جميلة ؛ وقد عرض علينا من تلك التحف ما جعلنا نعجب من تقدم صناعة الهند . وقد كتب فى بعض هذه الألواح إحصاء يدل على نسبة المتعلمين فى الهند ذكوراً وإناثاً . وقد علمنا من مديره أن تعليم البنات بها ليس أقل من تعليم الذكور غير أن نسبة المتعلمين من المسلمين قليلة بالنسبة للأجناس الأخرى فأسفنا جد الأسف لانحطاط التعليم عند المسلمين فى جميع بقاع الأرض وأن عدد المسلمين الآن من الذكور فى جميع المدارس الهندية ثمانية ملايين ينفق عليها سنوياً اثنا عشر مليوناً من الجنيهات ، وهى نسبة قليلة لعدد سكان الهند . وفى المعرض غير ذلك أنواع من الصناعات الجميلة التى لا حصر لها . ثم خرجنا منه قاصدين معرض (برما) وهو بناء غريب فى بابه ليس له مثيل فى بنايات المعرض ، وليس على شكل المباني المألوفة ، له باب واسع بديع ، زخرف بمواد براقة تخطف الابصار ، وبالباب الخارجى عمودان كبيران ، قد غطيا بهذه المواد البراقة ، يصعد هذا المبنى بتدرج غريب طبقات بعضها فوق بعض ، كل طبقة أقل مما تحته بحيث تكون سطحاً صغيراً مدرجاً ويصعد هكذا حتى تتكون سبع طبقات تنتهى بشكل مدبب كالمئذنة ، تعلق بها الاجراس التى تطن وترن عند هبوب الهواء ، وكل هذا المبنى من الخشب المحرم البديع المزركش اطرافه ونواحيه ، وقد عرض فيه انواع كبيرة أهمها الاحجار الكريمة المستخرجة من بلادها



مطهر النبی ہوا فی یسوعی و یسوعی

وامام هذا المبنى بناء على هيئة ضريح ينتهى بقبة كبيرة مزينة بانواع الزينة التى زينت بها مباني برما ، به تمثال من ابداع التماثيل واجملها وهو تمثال المعبود بوذا ، وأمامه تمثال رجل جاث على ركبتيه ماداً يديه اليه يطلب منه الرحمة والغفران

وقد اتبع فى هذا المعرض أن كل مبنى يقام لمستعمرة من المستعمرات يلاحظ فيه أن يكون من نوع ما يسكنه أهل تلك المستعمرة ، وفيه تعرض جميع حاصلاتها التجارية والزراعية والصناعية والحيوانية والمعدنية ؛ ويحوى غالباً داراً للخيالة (للسما) تعرض فيه تطور تلك المستعمرة فى عاداتها وصناعاتها وتجاراتها قبل الاحتلال وبعده ، حتى يدرك الزائر مقدار التقدم والتطور الذى حصل على يد الاستعمار ، وما وصل اليه أهلها من الرقى فى كل شىء ، وترى أيضاً مناظرها الطبيعية من جبال وتلال وانهار ومعادن وبراكين ومزارع وصناعات ، ترى كل ذلك ممثلاً فى مستعمرة نيوزلنده الجديدة التى فيها البراكين تقذف المياه والطين ، وتظهر همجية أهلها قبل الاحتلال فان صناعتهم أولاً كانت عبارة عن صناعة الخوص وصيد الاسماك ورعى الاغنام ولكن بعد الاستعمار ظهرت كأحسن دولة متمدينة ، فى صناعاتها وتجارتها ورقى اخلاق أهلها ، وغير ذلك مما يصح أن يكون درساً وافياً لآحوال تلك المستعمرة فالذى يزور معرض ومبلى يدرس أحوال المستعمرات الانكليزية درساً جغرافياً وافياً ، لانه يرى كل شىء رأى العين وفى داخل البناية باعة من أهل تلك البلاد يبيعون لك ماتريد ابتياعه بعد أن فرغنا من زيارة معرض الهند ، قصدنا زيارة مباني الحكومة ، وبها معروضات وزارة الصحة والحرية والمالية الخ ، فرأينا فى معرض

وزارة الحربية بركة واسعة على شكل دائرة ، قد مثلت فيها القارات والمحيطات تمثيلاً جغرافياً ، وفي المحيطات تمخر السفن المصغرة التجارية والحربية ، ذهاباً وجيئة ، داخلية خارجة من موانئها ، تندفع بقوة الكهرباء في ذلك الماء ، فيستهوى لبك هذا المنظر البديع ، والسفينة تتبع طريقها ، حتى تصل الميناء وأنت ناظر إليها كأنك في عالم الخيال ، وإذا نظرت الى كمية السفن التي تقطع المحيطات ، ترى أكثرها سفناً المحيط الاطلسي كما ترى أقلها سفناً المحيط الاعظم

أما المحيطان المنجمدان فليس بهما سفن قاطبة ، وقد رأينا صور الوقائع الحربية الكثيرة التي انتصر فيها الانكليز على غيرهم ، كما رأينا أضخم المدافع وأرقى أنواع الطيارات .

ورأينا في وزارة الصحة كثيراً من انواع الامراض في المناطق الحارة ، وطرق علاجها ، والامراض التي تتولد من كثرة تعاطي خبز الذرة وكيفية معيشة الناس في الغابات والاحراش والاكواخ .

وقد رأينا في هذا المبنى كيفية سك النقود والمداليات الذهبية وجلاء النقود اذا لحقها صدام فتعود الى حالتها الأولى ورأينا النقود المصرية الذهبية التي سكت باسم صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الاول من القطع ذات الخمسة الجنيهات والجنيهين والجنيه ونصف الجنيه والريال الفضي

معرض هنغ كنغ — رأينا فيه كيفية تنقية الاحجار الكريمة ، ووضع الصغير منها في خواتم يقوم الصانع بصناعتها أمام الزائرين . ولهم مهارة كبيرة في صناعة اشياء متعددة من الخوص الملون بالاصباغ الجميلة ، وقد

اشترت منها سفطا غاية في الجمال محلى بالحرير وبه أقشة حريرية وعقود
مرجائية متعددة الانواع والاشكال

معرض جزيرة سيلان - قد هالنا ما رأينا فيه من الحيوانات المفترسة
المصبرة وكثير من الصنائع ، ومما يلفت النظر فيه كبر احجار الماس واللؤلؤ
وقد رأينا عقداً ثميناً من النوع الاخير ، قيمته الفا جنيه كما هو مكتوب
عليه ، وغير ذلك من الاحجار التي تقدر بآلاف الجنيهات

معرض ساحل الذهب - فيه رأينا كيف يستخرج الماس من أحجاره ،
وكيف يعرف الماس النقي من غيره ؛ وقد تكاثر الناس لرؤيته ، حتى اضطر
الشرطي ان يسير الناس صفوفاً منتظمة ايروا الصناعات التي يقومون
باستخراجها من احجاره : توضع الاحجار الصغيرة في حوض مستطيل من
بالخشب المتين ، مع قليل من الماء ، ثم يقف فوق حافته رجلان اسودان
قويًا العضلات ، يهزان الحوض بارجلهما هزاً عنيفاً ، فتسمع لاحتكاك
الاحجار صوتاً قوياً وهما كالراقصين المجتهدين ، يميلان يمنة ويسرة ويتصل
بهذا الحوض آلة اخرى يقبض عاينها رجل يساعدهما في الهز ، ويمدها بالماء
كلما نقص الحوض

معرض السودان الغربي - واعلم ما فيه حاصلات الاشجار وثمرها يشبه
اللوز ومنها ما يشبه الحصى أو الزلط مما لا عهد لنا برؤيته ، وبه محصولاتهم
الصناعية وازياء رجالهم ونسائهم مما يعجب الانسان لوجود مثلها في عصر
التمدين ، ومع حكمهم بامة من أرقى الامم مدنية وحضارة .

معرض السودان المصري - قد عرضت معروضاته في بنايه من
نوع ما يشيده اهله ، وقد كتب على بابها السودان المصري الانكليزي وبه

انواع ما يصنع من الخوص والذرة والدخن وازياء الرجال والنساء. ومما

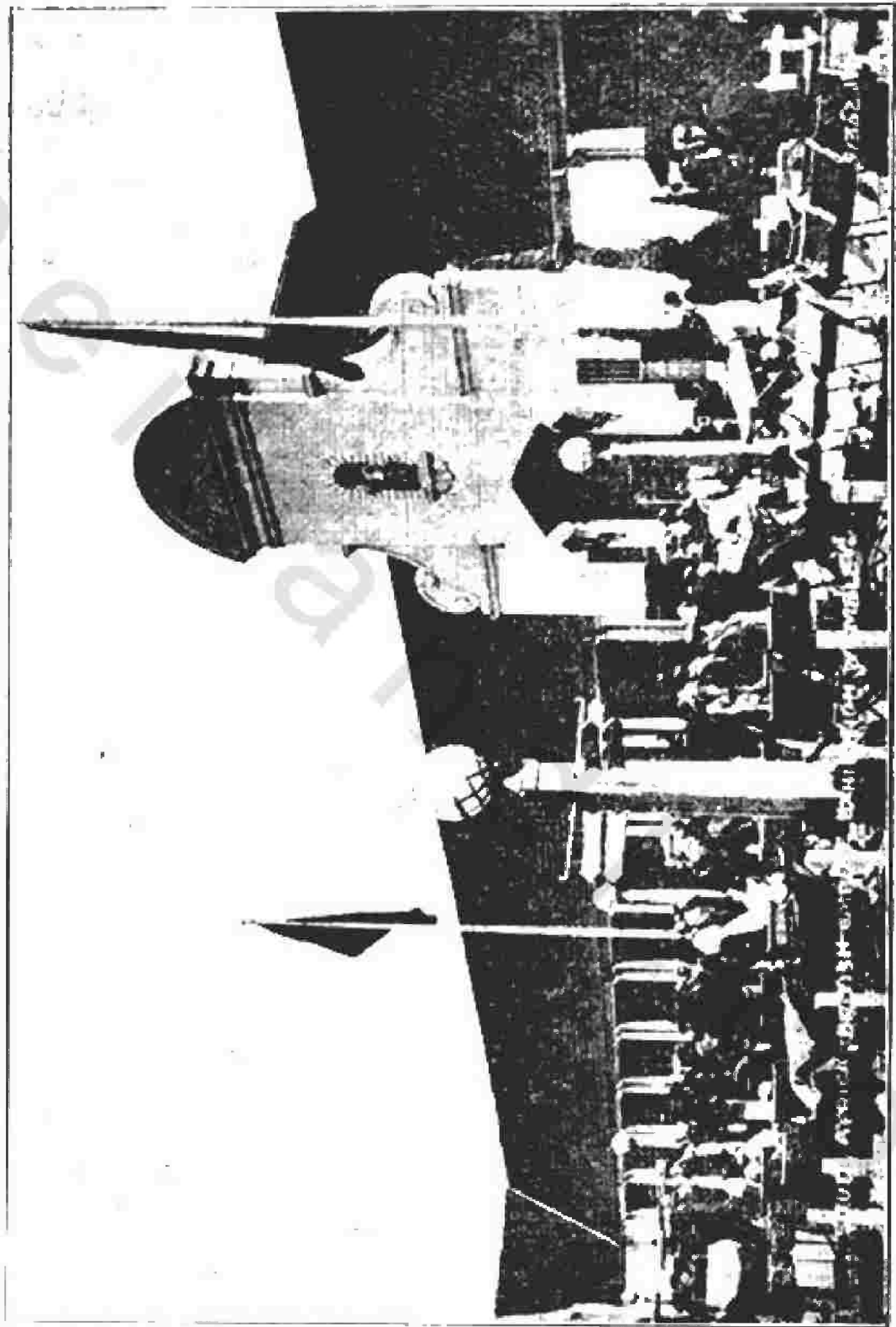
(١) نقل شجرة القطن في براميل بلوزها الكبير المفتوح قد يبلغ طول الشجرة منه نحو مترين، وقد وضع خلفها القطن السودانى الناصع البياض مما جعلنا نقف أمامها باهتين، وقلنا لهذا تسمى معامل لنكشير فى نشر زراعة القطن هناك، وتحض الحكومة الانكليزية على التمسك به، والعرض عليه بنواجزها، مما دعاهم الى اقامة خزان مكوار

(٢) عرض خزان مكوار كما تعرض المناظر فى المسارح، فترى خزاناً ضخماً هائلاً لم تر العين مثالا له، ذا عيون كثيرة، تجرى على سطحه القطر الحديدية التى تحمل مواد البناء، وقد صنع فى طرف منه ممر للسفن الذهبية والآلية، وقد بينوا فى لوحة فيه القوائد التى تعود على السودان من تشييده، واهملوا الضرر الذى يلحق أرض مصر من ذلك، وقد قدروا ما يتدفق منه من المياه وغير ذلك من المعلومات التى جعلت انظار الزائرين تنجس اليه فقامت أين احتجاج الشعب المصرى وحكومته على تمثيله وعده من المستعمرات الانكليزية، وما معنى قبول الاحتجاج حينذاك، رب ان القوى يعتز بقوته، فلا يسمع نداء الضيف ولا يشعر بالامه، ان العزة لله جميعا.

معرض جنوب افريقية - به محصولات كثيرة متنوعة اشهرها البرتقال والتفاح لجماله وكبر حجمه، والماس وكيفية تنقيته بآلة كبيرة ضخمة مركبة من عدة اجهزة، ويبان أدواره التى يأخذها حتى يصلح للاستعمال وبه الفحم الكثير الذى يستخرج من مناجمها وغير ذلك مما لا يحصى. وقد

يسرك جدا رؤية الماس وهو ينتقل في الأجهزة . وقد رأينا فيه خارطة افريقية مصنوعة من الجبس ، وفيه مثلث السكة الحديدية المنوى ايصالها من جنوب افريقية الى القاهرة مبينا فيها مقدار ما انجز منها وقد مدت من جنوب افريقية حتى قطعت نهر الكونغ ، وقربت من بحيرة فيكتوريا نيازا ، وبالتأمل في هذه الخريطة ترى أن الباقي يبلغ نحو الخمس تقريبا وهو معلم بنقط يتبين للناظر اليها بسهولة .

ومما يجدر ذكره عرض انواع النعام حيا وريشه وبيضه وفراخه وله حظيرة فيه . و يروق نظرك عرض قطع الماس الكبيرة التي يخطف الابصار بريقها والكتل الكبيرة الذهبية ، وقد بنوا فيه حظيرة للأغنام وبه خارطة تعرض عليك أهم المصنوعات التي عندهم والمناظر الطبيعية والحدائق الجميلة وكيفية ترتيبها وتنسيقها وزراعتها مما يجعلك تتصور تلك البلاد تصورا يقرئك من الحقيقة حتى يخيّل اليك انها من أغنى البلاد . ويعد من أهم المعارض ومبانيه ضخمة ومحصولاته وتجاراته ونظامه وتنسيقه قطعة من عمل أوربا معرض كندا - هو من أهم المعارض التي زرتها لصناعة وتجارة وزراعة وحاصلات ، ترى به الشلالات الكبيرة تنحدر منها المياه بقوة فإذا رأيت فيها شلالات نياجارا يغنيك النظر اليه عن الذهاب الى بلادهم كأنك تراه رأى العين ، رأينا المزارع الواسعة الكثيرة التي تعرض عليك في مناظر جميلة كما تعرض في المسارح ، وتروعك كثرة الفواكه بها وكبر حجمها ، وترى غاباتها الكثيرة وجبالها وخليجانها وموانئها وما يصنع فيها من اللحوم وكيفية حفظها وتصديرها الى جهات كثيرة ، وكيفية صناعة الزبد التي انفردت بكثرتة عن المستعمرات الأخرى ، حتى صنعوا منها كثيرا من



مبنى الحكومة في دمشق ودمشق

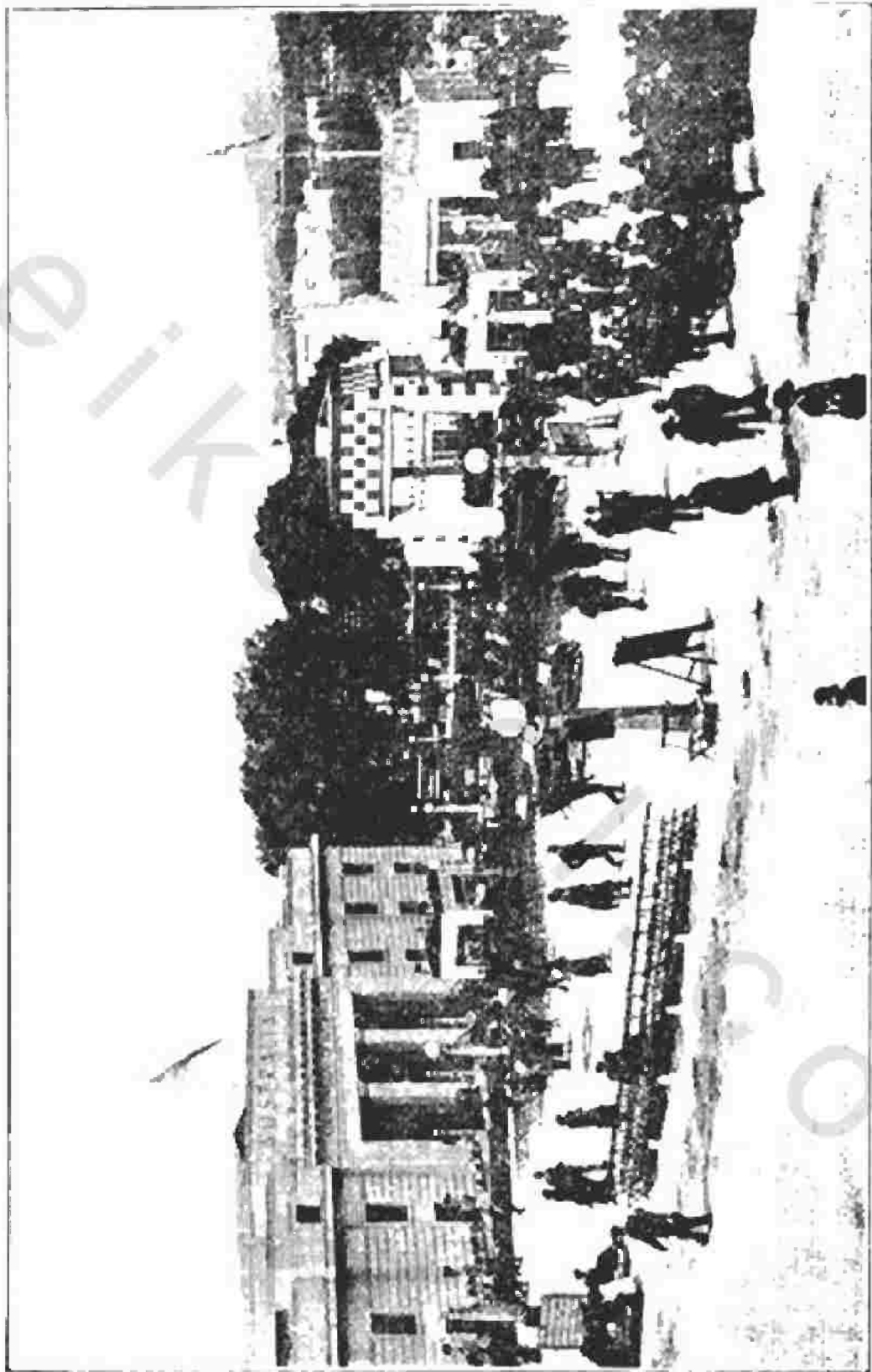
تمثيل البقر والخيول بحجمها الطبيعي . وبه آلات لتنظيف السجاجيد غاية في الغرابة ، وقد شرح لنا أحد العمال كيفية التنظيف بإدارة الآلة أمامنا فدهشنا لتقدم الانسان في تسهيل اعماله كما عجبنا لرؤية آلة قيل لنا انها تريل آلام الصداع بغاية السرعة ، ورأينا السموك الكثيرة العجيبة طرية كأنها اخرجت من البحر الساعة ، وهي تصدر الى مختلف الجهات

وقد يعجبك كثيرا ويسرك كثرة موانئها وجبالها المتوجة بالثلوج والسفن الصغيرة الكثيرة التي تسير مندفعة بقوة الكهرباء متبعة الطرق البحرية الجغرافية ، وكثرة المنازل الجميلة المنتشرة المشيدة على سفوح الجبال تحفها الحدائق الجميلة الغناء ، والاحراج والمراعي الواسعة الكثيرة مما يدل على كثرة خيرات تلك البلاد ونخامة مناظرها الطبيعية ، واجتهاد اهليها في اقتان الاعمال

وقد كتب تحت صورة امرأة في اطار جميل عبارة معناها (كندا مستقلة استقلالاً حقيقياً مادام يمكن لكل شخص ان يعمل حراً)

ومعرضها يعد نموذجاً لحسن المعارض وجمالها وتنسيقها ونظامها وإذا سألت عماله عن شيء اجابوك بلطف وذوق وقدموا لك كتباً تبين لك احوال تلك البلاد من حيث تجارتها وصناعاتها وزراعتها ووقفيها مما لا يعرف عنه شيئاً من كتب الجغرافيا

معرض استراليا - بناء ضخم ، داخله كثير من انواع الحبوب التي تعددت انواعها والوانها ، غاية في الجودة ، وقد رتبته بهيئة يسهل على الزائرين تمييزها ، وقد احصيت منها نحو الثلاثين ، ولها باجتماعها منظر بهي ، عرضت مراعيها الواسعة تروى بها انواع الماشية ، وبه كثير من انواع



اسفاليا في معرض ومينى

اللحوم السمينه التي تعطى مثالا لجودة المراعى واعتناء القائمين بشأن تربيتها وتحفظ هذه اللحوم لمدد كبيرة ، ويصدر منها كثير الى جهات العالم ، وقد تعددت به انواع السموك التي لم ار نظيرا لها في حجمها ونوعها ، وبه مناظر مزروع واسعة متعددة ، اقيمت بها تماثيل الخيول والابقار والاغنام ، وتماثيل الرجال يستندفنون وسط الغابات على نيران الحطب ايام الشتاء ، كهيئاتهم الحقيقية ، ولهم مهارة فائقة لا تقل عن كندا في صناعة الزبد ، وهي من أهم مايلفت نظر المتفرج ، وقد اقاموا منها تماثيل الابقار والخيول كما مر ذلك في ذلك معرض كندا ، فتقف امامها مسرورا بمنظرها الجميل ، وأسرك مناظرها الطبيعية التي لها روعة في النفس وهي كثيرة الاشجار والطيور وخيرير الماء المنحدر على الصخور والمنساب بين الغابات

وقد أحضرت أنواع الطيور المصبرة والحية ، منها بيناء ، غايه في الجمال وحسن الصوت ، نهز رأسها ذات اليمين وذات اليسار وفوق وتحت اذا سممت كلامها ولم ترها اعتقدت أن الذي ينطق رجل فصيح اللسان واذا قربت منها هزت رأسها وقالت لك بصوت فصيح بالانجليزية (Good bye) وقد اجتمع حولها المتفرجون ليسمعوا كلامها ويروا لعبها

ومما هو جدير بالذكر آلات جز الصوف فانها سريعة جدا في ازالة الصوف عن جلد الاغنام ، وقد انتظرنا كثيرا ، لنرى فعلها ، وقد جهز لها كثير من الخراف ليرى المتفرجون فعل تلك الآلة الغريبة ، وهي عبارة عن آلة تعلق بين حاملين على ارتفاع نحو مترين ونصف متر تشبه آلة الخلاقة يقبض عليها رجل بوجهها على جلد الخراف كيف شاء فتتمر عليه من السحاب فترى الخراف قد خلصت من صوفها لكثيف بسرعة عجيبة

وبه فواكه كبيرة الحجم ، وقد أحضرت أشجار البرتقال والتفاح محملة بأثمارها الجميلة التي لا نظير لها الا في معرض كندا ، الذي مر ذكره ، وقد اقيمت تماثيل الجناة وايديهم ممتدة لقطف التفاح والبرتقال ، ووضعته في الاسقاط ، وتجد كثيرا من البرتقال والتفاح مبعثرا تحت الاشجار . وقد ظهرت مزارعها البديعة كما تظهر على المسارح ، فكان المنظر بهيجا يسر الخاطر ، وقد عرضت فيه كتل كبيرة جدا من الذهب الخالص تساوى الواحدة منها مئات الجنيهات ، كما هو مكتوب عليها

ولهم مهارة كبيرة في كيفية الفوص والبحث عن اللؤلؤ ، وقد اقيمت التماثيل من الرجال ، مرتدين ثياب الفوص ، شارحين ما يفعله الغائص في البحر عن اللؤلؤ ، ويده وفوق جسمه ما يقيه من هجوم الحيوانات البحرية ولهم حذق عجيب في صناعة الكاوتش (المطاط) حتى صنعوا منه بسطة منقوشة بنقوش جميلة كما ينقش السجاد

وتعد استراليا من البلاد الغنية بمحصولاتها ومزارعها وحيواناتها ، وداخل هذا المعرض خيالة (سما) مجانا ، رأينا فيها مناظرها الطبيعية تسحر العقول ، وترى كيفية حياتهم الاجتماعية واحتفالاتهم في مواسمهم وافراحهم وغير ذلك مما يصور لك احوال معيشتهم قبل الاحتلال الانكليزي وبعده معرض الرسوم — رأينا فيه الرسوم وتماثيل القرن العشرين (ورسم الدخول فيه نصف شلن) رأينا صنعة جميلة يسائل الانسان نفسه عند مراآها : كيف وصل هؤلاء الرجال الى جودة هذا الرسم الذي يتطق ببراعة الرسامين والمثاليين ، وضعت هذه الصور الكثيرة الجميلة الدالة على معاني شتى من شئون الحياة في حجر غصت بها ، وقد نصبت تماثيل كثيرة

الرسامين من رجال ونساء ؛ كما اقيم للشعراء والعلماء وكبار الكتاب والقواد العظام الذين لهم يد في نهوض الدولة الانكليزية منها ماهو مصنوع من الزمر او الرخام أو البرونز ؛ كلها تشير إلى معاني كثيرة حقيقية وغير حقيقية ؛ كل ذلك آية في الابداع والجمال

الاستديم — بعد ان تناولنا طعام العشاء السابعة السابعة قضدنا رؤية الاحتفالات التي تقام فيه ؛ وتدل كلها على مالا يجلترا من العظمة والقدرة ، وكان من حظنا ان رأينا الاحتفال بتكريم القواد العظام وعرض جميع انواع الجنود الانكليزية في جميع مستعمراتها بازيائهم المختلفة التي تناسب تلك البلاد ؛ وبعض العاب أخرى

اذا عجبت لشيء في حياتك ، وهالك منظره واخذ من حواسك مأخذه وملك عليك مشاعرك واوقعك في حيرة ودهشة فأعجب لمشاهدة ذلك الاحتفال الذي اقيم في الاستديم ؛ فانك تغيب عن رشذك ويخيل اليك انك لست في عالم الدنيا

نظرت الى الاستديم فرأيت فناء واسعا ، لا يدرك الطرف نواحيه وجوانبه ، منخفضا عن الارض ، على شكل دائرة ، يحيط به بناء ضخيم اقيمت عليه الاعلام الانكليزية ، يحيط به أنفتياترو (مدروج) يبلغ ارتفاعه الستين مترا عن سطح الملعب ، قد اكتظ بالناس وحشروا فيه حشرا ، وهذا المدرج المحيط بهذا الفناء يسع نحو ١٢٠ الف نفس تقريبا وقد مثلت به العاب متنوعة مذهشة منها ظهور فتيات حسناوات من ناحية من نواحي الملعب يباغفن نحو مائتي فتاة ، مقسمات الى فرق ، فنهن قلبس ملابس بيضاء ، يتدلى من كل ثوب شريط من الخلف عريض تقبض عليه

من تسير خلفها ، ومنها من تلبس ملابس خضراء وزرقاء وصفراء ، وكل فرقة لها مبرة وشارة خاصة ، وقد سرن بنظام حتى توسطن الملعب ثم وقفن بهيئة أشكال هندسية جميلة تلفت النظر وبعد ذلك انت سيدة كبيرة ، تحمل مظلة منشورة ، ووقفت متوسطة الملعب بينهم ، وعند ذلك سلطت عليهم الاشعة الكهربائية ، من جميع نواحي الملعب ، فظهرت ملابسهم الجميلة بأبداع الالوان والاشكال ، فكان المنظر من اجل ما يرى الناظر ، وهنا أخذ التصفيق يصم الاذان ، بين نغمات الموسيقى والغناء الجميل تردده المغنيات والمغنون من جميع النواحي ، مما جعلني كاني في حلم ، وبعد برهة اعطيت لمن اشارت فسرنا منظمات على هيئة دوائر ، ثم سرن مثنى مثنى ثم اعطيت اشارة أخرى ، فسرنا ربيع ربيع بحركات غاية في الدقة والمهارة وسرنا حيث خرجن جميعهن من باب واحد كل فرقة تحمل علمها يرفرف فوقها بين التصفيق الحاد ونغمات الموسيقى المشجية وهذه الطريقة التي اتبعت كانت على طريقة حفلات العشاء عند الرومانيين القدماء كما اخبرنا بذلك . وبعد ذلك دخلت فرق من الجنود الملعب رجالا وفرسانا ، مختلفي الازياء ما بين ابيض واحمر وازرق ، تمثل ازياء الجنود الانكليزية في جميع مستعمراتها كل فرقة تحمل علمها ، وامامها قائدها ، وسار الجميع بنظام حتى اتت دائرة الملعب ، وهنا وقفت كل فرقة ثابتة في محلهما على هيئة منظمة ، ثم اتى قائد فتوسط الملعب ونادى في جميع هذه الفرق مناداة ، اعقبها اطلاق المدافع ودق الاجراس الضخمة وتصفيق المجتمعين ، وازين المطاود من فوق الملعب حتى خيل الى أن القيامة قد قامت ، وكل نداء منه تحصل حركة عسكرية من جميع انواع الفرق تفعل الاجراس والمدافع فعلها ، ثم

صدحت الموسيقى بالسلام الملوكي ، فوقف الجميع رافعين قبعاتهم ، فكان المنظر مؤثرا جدا ثم عرض جميع القواد المعظام الذين لهم يد في نهوض الدولة ولهم مواقع مشهودة انتصروا فيها على اعدائهم ، سواء كانوا احياء أم امواتا ، فالاحياء ساروا امام فرقهم ، والاموات حملت صور نعوشهم على عجلات تكتنفها المدافع ، ثم خرج الجميع من الملعب بين التصفيق والتهليل والانشيد . ولم ار نفسي قد تأثرت مثل ما تأثرت من هذا المنظر الذي يدل على عظمة الامم ورقبها وصولتها ومجدها وقد اجريت العاب كثيرة يعجز القلم عن وصفها

ومما يزيدك غرابة رؤية معرض الدجاج فان عيني لم تر مثلها نوعا وحجا ويضها كبير جدا يناسب كبر حجمها

وقد رأيت وانا بمعرض استراليا امرأة عظيمة الجثة على كرسي يدفعه الخدم ، سمعتها تقول لشاب يسير بجوارها راجلا (كان سنتين تتسمى العربي) فلفت نظري اليها هذه اللهجة العربية بين لهجات الاعاجم فعرفت مني ذلك فنظرت الى وقالت أنت مصري فقلت لها نعم ، فقالت اهلا وسهلا ، فانست لها كثيرا واخذنا تتجاذب أطراف الحديث تارة عما يحويه المعرض وأخرى عن أحوال مصر ، وطورا عما رأيته من المشقة والتعب في عبور مضيق كاليه وأنها لو كانت تعلم تلك المشقة ما أتت لزيارة المعرض ، فاخبرتها اننا عبرنا المضيق عن طريق (ديب) ونموها فن لم يحصل لنا شيء مما حصل لك فاخترت ان ترجع منه ، ثم اقترقنا ، وقد اكبرتها في نفسي لاهتمامها بزيارة آثار الامم الراقية ولو كانت المصريين المتعلمات اللاتي يزرن اوربا يعنين بزيارة الآثار والمتاحف كما فعلت تلك السيدة المصرية الراقية

لتقدم من كثيرا وقد يجمل أن اذكر عبارة مختصرة عامة عن المعرض
إذا نظرت الى سماء المعرض نهرا رأيت المطاود الطائرة تحلق فوق
ارضه ذاهبة آية ، علقت فيها الاعلانات الكثيرة المدلاة الى الارض تقرا
فيها ما يهم عن الصناعة والتجارة فتكسب المعرض جلالا وجمالا

وإذا نظرت الى المعرض ليلا ، رأيت شعلة متقدة من نار تعم جميع
ارجاء المعرض من ثريات كهربائية ساطعة مختلفة الالوان ينعكس نورها
في بحيرات المعرض وانهاره ، فترى ثريات في السماء وأخرى في الماء تنخر
في تلك المياه الزوارق حاملة الشمس والاقار ، فيأخذك العجب ويوقفك
الاستغراب

وإذا وقفت فوق الجسور الممتدة على البحيرة والانهار رأيت وسطها
الجزر الصغيرة ، اقيمت فيها المراقص على نغمات الموسيقى المشجية
وإذا سرت ناحية أخرى وجدت أنواع الملاهي والمطاعم والقهوات
ومحال المرطبات بانواعها ، مما يسهل على الزائرين الاقامة في المعرض طول
اليوم وهزيع من الليل

وفي المعرض مباني لجميع مستعمرات انكلترا في العالم ما بين صغيرة
وكبيرة من نوع ما يسكنه أهل تلك المستعمرات ، كما أن جميع الصناعات
والباعة والمحصولات الزراعية والحيوانية والمعدنية وتجاريتها وتماثيل عظماء
رجالها وازياء اهلها وكل ما تمثل حالة بلادهم قد حشرت فيها وعرضت على
المتفرجين باهي ، نظام واحسن ترتيب فلا يغيب عن الناظر حالة من حالاتهم

المعيشية ، ولهذا يتسنى للزائر أن يحكم على أهل تلك المستعمرات حكماً تقريبياً إن لم يكن حقيقياً .

وقد اختلفت المباني وتعددت أشكالها وأنواعها من حيث كبرها وصغرها ونفاحتها وحقارتها تبعاً لآحوال أهل المستعمرات ويدهش الإنسان لأقامة هذا المعرض وتنسيقه ونظامه وترتيبه ، وفي أى مدة مثلاً ومباني كل مستعمرة وكيف نقات هذه الأشياء المعروضة ، حقيقة أن هذا العمل لا يقوى على القيام به إلا أمة عظيمة مثل الأمة الانكليزية .

أن هذا المعرض يعطى فكرة حقيقية عن حالة الأمة الانكليزية ، وقدرتها على القيام بجلال الأعمال ، بل ربما كان الغرض الاسمى منه بيان عظمتها وقوتها وما تملكه من مستعمرات وتقدمها فى الصناعة والتجارة والمحاصيل وأنه صفحة من صفحات مجدها ومظهر من مظاهر قدرتها وعظمتها

وقد هولك كثرة المتفرجين ، فأنهم يسرون صفوفاً متراسة فى الطرقات متكاتفين ، كأنك ترى احتفالاً عظيماً بفتح كبير أو حادث خطير ومع سعته نرى كأن الناس قد اجتمعت فى مكان واحد وليس لها طريق الى الانتقال فهم فى هرج ومرج ، فترى منظاراً بديعاً لم تشاهد مثله . وقد سرت فى هذا المعرض اثنتى عشرة ساعة لم اجلس فيها إلا بمقدار تناول طعام الغداء والعشاء ، ومع ذلك لم أشاهد إلا المعارض المشهورة . والنزى يريد مشاهدة ما فيه لا يكفيه أقل من اسبوع كما عرفنا ذلك من الدليل ، وأما من يريد رؤية المعارض الشهيرة فيكفيه يوم بشرط أن يتبع الخطة التى رسمها دليل المعرض

وانى معترف بأن الوصف لا يكفي مطلقا لتصوير شيء عن حالة المعرض وما تحويه من العظمة والجمال والكمال ، وانصح لكل شخص عنده متسع من الوقت والمال يريد أن يقف تمام الوقوف على أحوال العالم وما انتجته يد الانسان وما استنبطه فكره من صناعة وتجارة وزراعة أن يذهب لزيارة هذا المعرض الذى لا يسمح الدهر بمثله ولا يكتفى بالوصف ، لانه لا يشفى ذلة ، ولا يصور حالة من حالاته وليس الخبر كالميان

مربية هيربارك

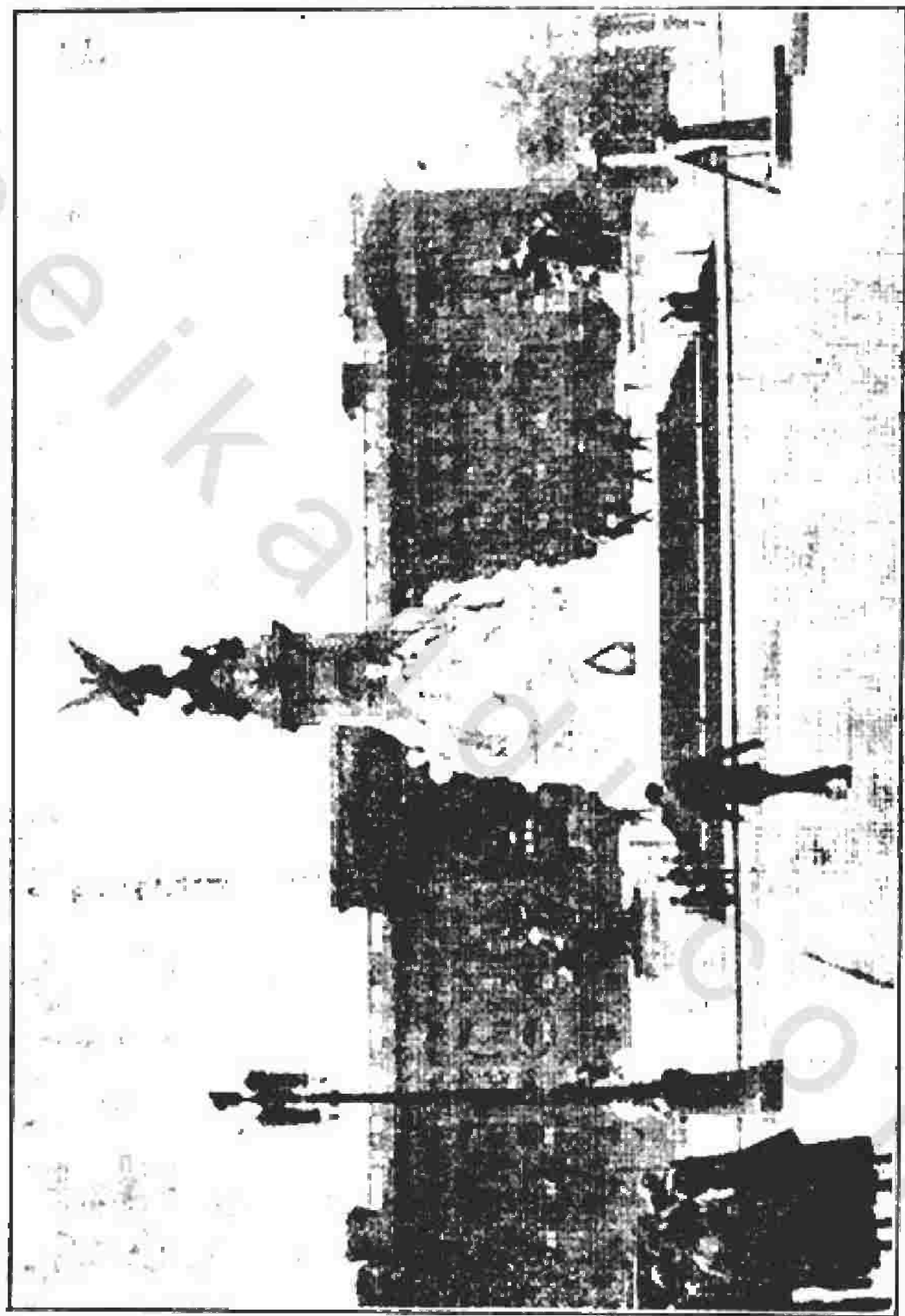
من أعظم الحقائق التى زرتها فى سياحتى حديقة هيربارك ، فلها منظمة الشوارع ، بديعة الترتيب والتنسيق ، غرست على جانبيها الاشجار الباسقة ونضدت فى جوانبها المقاعد الكثيرة التى اعدت للمتزهين ، تدور حول مظلة الموسيقى كراسي كثيرة بلون الخضرة ، والجالس عليها يدفع بنفسين ، والاقبال على سماع الموسيقى كبير ، وقد رأيت رجلا وهو فى حالة السكر يرقص على نغمات الموسيقى ويصيح باعلى صوته ، فكان موضع اضحوة المتفرجين ، والشرطى لا يتعرض له ، وكنت اظن انه لا يوجد فى بلاد راقية كهذه مثل ما يوجد عند عامة قومنا

وقد غصت هذه الحديقة بالمتزهين ما بين راكب وراجل ، غير انى لاحظت ان عدة طرق تمنع فيها مرور السيارات لمجاورتها لحل الموسيقى حتى لا يترتب على ذلك اقلاق راحة السامعين . وجميع ارضها مغطاة بالحشائش والاشجار الضخمة التى تدعو الناس الى الجلوس والنوم عليها تحت ظلها الوارف ، ولتتمتع بمراها الجميل . والكراسي غرست ارجلها فى

الحشائش ، فالجالس عليها ينظر من تحته الحشائش الخضراء ومن فوقه غصون الاشجار الباسقة ، وتجد الاشجار ملتفة بعضها ببعض ، فتكون شبه غابة . وفي الجهة القريبة من البحيرة يجتمع للتنزه فيها أهل الثروة واليسار ، فاذا كان الجو صحواً ، رأيت هناك منظرأً بديعاً ، ورأيت سيارات متواصلة ، بها النساء متزينات بانحر الملبس . ومنظر هذه الحديقة في أيام الصيف يسر النفس ويشرح الصدر لاجتماع الناس فيها بكثرة وترى حولها دور الاكابر والاعيان ، وكثير من هذه القصور نفخ جميل جدير بان يزار ، لمشاهدة ما فيها من آيات الفن والصناعة والزخرف والزينة

والناس فيها حرية كبيرة ، كما لهم في غابات بولونيا بفرنسا ، وقد رأيت منها مناظر غريبة تدب عن حرية الانسان الكبيرة ، وما يأتيه من الامور المخجلة التي لا تنطبق على الذوق والمروعة والانسانية ، فاذا كانت الحرية لا تجعل الانسان يحافظ على المعيزات التي جعلها الله له فرقا بينه وبين الحيوان الاعجم فلا كانت تلك الحرية ولا سطع نورها على أحد . وبعد أن شفقنا اسماعنا بنغمات الموسيقى المشجية ، سرنا حتى وصلنا الى بحيرة جميلة واسعة ، تمخر بها الزوارق الكثيرة التي تحمل كثيرا من الناس ويشاركهم في السباحة البط والبجع ، ويهب منها نسيم عليل ينعش الافئدة ، وقد رصت على شواطئها المقاعد الكثيرة الفاصة بالمتنزهين

ولا يفوتني ان اذكر ان الاجتماعات فيها مباحة لكل شخص يريد ان يخطب في أي موضوع ديني أو سياسي والشرطي لا يتعرض له مطلقا فترى الاجتماعات قائمة فيها في كل ناحية ذلك يطعن في دين من



مذبح و مجسمه امام حسین

الاديان وذاك يقبح رأى الحكومة وآخر يحبذ دين محمد ويذم الاديان
الاخرى وآخر يرى العكس

والحديقة محاطة بسيياج من الحديد لها ابواب كثيرة لمرور الراجلين
والراكبين ، وقد علمت أن هذه الحديقة كانت قديما ملكا لكنيسة
وستمنستر ، وحوّلها بعض ملوك انكلترا الى غابة ترتع فيها الغزلان والتيتل ،
يصطادها ايام تنزهه ، ثم جعلت لسباق الخيل والمتصارعين واقبل عليها
الناس للرياضة وترويح النفس ، ثم حولت الى حديقة غرست بها الاشجار
والازهار والحشائش الجميلة ، حتى صارت اعظم متنزهات لندن

وفصل حديقة هيدبارك عن حديقة (جرين بارك) شارع متسع
ومباني غاية فى الفخامة والجمال ، ولها سور طويل سمرنا بجواره مسافة
طويلة يقصدها كثير من الناس كما يقصدون (هيدبارك)

سوق الخضمر

سرت فى الجهة الشرقية من لندن ، فرأيت مباني ليست ضخمة وودكاكين
ليس بها سلع غالية ، فعرفت أنه الحى الفقير بلندن ، ووجدت محل ينادى
بجودة خضره ورخص ثمنه . وقد كنت لا اعلم أن فى بلاد متمدينة راقية
ينادون كما ينادى فى اسواقنا فيعيبون علينا ذلك ، وقد رأيت ازدحاما
شديدا على باب حانوت ممتد على مسافة طويلة ، فلفت نظرى هذا المنظر
الغريب وكل شخص يجتهد فى الدخول فيه ، وقد سألت عن سبب هذا
الزحام ، فعلمت انهم يزدحمون على محل جمعة (بيرة) لرخصها فيه فكل يجتهد
ليحصل على قدح منها وقد وجدت رجلا ينادى باعلى صوته ان معه

آلة رخيصة الثمن جدا لسن السكاكين وثمنها ثلاث بنسات ، ومن لم يقتنع بصحة مايقول فليقدم مبراته ليسنها له بهذه الآلة ، نخدع صاحبي بقوله وقدم له مبراته فحطم حدها وجعلها غير حادة ، فنظر اليه وقال له هل يصح أن تكون كذابا ؟ فقال له بصوت منخفض لا يسمعه هذا الجمع الملتف حوله ، أرجوك ألا تظهر ذلك امام الناس ، فوجد صاحبي نفسه امام هذا الرجاء عاجزا عن أن يروح بشئ ويخجل الرجل ، ويوقعه في اللوم أمام المجتمعين . فانصرفنا مستغربين لوجود امثال هذا في بلاد اشتهرت بالصدق في معاملاتها

وقد رأيت في الممالك التي زرتها كثيرا من السجاليين والنصايين والمحتملين يستلبون دراهم الناس بغير حق كما كنت اسمع أنه لا يوجد شحاذا في اوربا فوجدت كثيرا منهم فيها . وقد سمعت رجلا في انكلترا صحيح الجسم الا أنه كفيف البصر ينادى بصوت ذليل منكسر مامعناه (الدنيا فانية ولا يبقى الا الاحسان) على انهم في الحقيقة فلائيل جدا لا يذكرون بجانب من اراه في بلادنا من السيل الجارف المقلق للراحة ، من الشحاذين الذين يضايقون المارة ويخجلونهم بكثرة الحافهم في السؤال

أهلرو الانسكيز وعادانهم

أن ماوأيته من بعض أخلاق الانسكيز مع قصر مدة اقامتي في بلادهم لا يعطيني حكما صحيحا عن اخلاقهم وعاداتهم ، غير أنه يمكنني أن اعطي حكما تقريبا عن بعض أخلاق وعادات تلك الأمة بقدر ماأسمح به الحالة .
رأيت في بعض من قابلناهم وعاملناهم أنهم ذوو آداب راقية ، لا يظهرون

انصرفت ولا الكبر ، ولا يصعرون خدودهم للناس ، مع أنهم لو فعلوا ذلك لكان لهم بعض العذر ، لقبضهم على نواصي أمم كثيرة وبسط سلطانهم عليها ، ومع كل هذا فإذا سألت أحدهم عن شيء أجابك بلطف ورقة ، يجعل منك تميل إليهم وتود معاشرتهم ، لا يكذبون ولا يراءون ، ولا يلبسون عليك الحق بالباطل ، (اللهم إلا في الأحوال السياسية)

يسيرون في الشوارع جادين في السير ليصلوا إلى محال أعمالهم ، فلا يتكئون ولا يجلسون على قهوات ولا في حانات إلا وقت فراغهم من أعمالهم في يوم خاص ولم أر قهوة في لندن مدة اقامتي فيها كما أني لم أر جالسا يتعاطى بعض الشراب إلا قليلا جدا بل يتعاطاه واقفا أو جالسا على كرسي عال يساوى عارضه الرخامة الممتدة أمام البائع بحيث تكون رجلاه مرتفعتين لا تصلان إلى الأرض . وترى عليهم مظاهر الفضيحة بين رجال ونساء وفتيات ، ولذا لا تجد للتبرج والزينة مكانا عندهم ، ولا يستعملون الاصباغ ولا التثني في السير كما تفعل النساء الفرنسيات ، صادقين في معاملاتهم ، يحتقرون الكذاب احتقارا مزريا مشينا .

ولقد قص على أحد أصدقائي أن رجلا عظيما من المصريين ذهب لزيارة انكلترا وكان معه لفافات تبغ مصرية ، وهي ممنوعة الدخول عندهم إلا بمكس كبير يؤخذ عليها ، فلما مر بالمكس ، وسئل هل معك ما يصح أن تدفع عليه شيء كما هي العادة عندهم ؟ فأجاب كلا مع عامه أنه يؤخذ عليها مكس كبيرة ، فلم يتعرض لتفتيشه أحد فلما نزل في أسرة أخرج لهم بعض تلك اللفافات وقدمها لهم ففسروا منها كما هي العادة عند الغربي إذ يسر جدا لتدخين اللفائف المصرية بل هي أكبر واسطة للتعارف فسألوه

كم دفعت عاينها في المكس ؟ فاجاب بقوله انهم سألوني عنها فانكبرتها ، فكان ذلك أكبر سبب لاطهار الاحتقار له واعراضهم عنه وبعدهم عن حديثه فاضطر الى اللحاق بأسرة أخرى لا تعرف عن كذبه شيئاً

فانظر يارعاك الله الى تلك الاخلاق الفاضلة ، والصدق أس الفضائل ، فاذا صدق الانسان في معاملاته تلاشت بقية الرذائل الأخرى

وقد نزل معنا في فندقنا شاب انكليزي أتى من الريف ليرى معرض (ومبلى) ولم يكن قد رأى لندن قبل هذه المرة ، فاخبرنا أنه دهش للحركة فيها ، ومع أنه ريفي كان غاية في الأدب ورقة الحديث ، مما جعلنا نعجب به ونكبره في نفوسنا ومعرفته اننا مصريون لم تغير من رقة طباعه وحسن حديثه بل كان يظهر التاطف والود لنا وكان يود أن يصحبنا في غدونا ورواحنا ولكن أغراضنا كانت تخالف أغراضه فلم نتفق معه

وقبل أن اختم رسائلي عن لندن ، يجمل ان أذكر عبارة عن أخلاق الانكليز وعاداتهم عن أحد المؤرخين الشرقيين الذين زاروا انكلترا حديثاً قال : « ان أول خلة يراها القريب من الجمهور العامل من أهل الحرف والصنائع ويلحق بهم الفلاحون ، عدم اكترائهم له ونفورهم منه ، فلا يفرحون لفرحه ولا يحزنون لحزنه ، بل لا يعنى أحد منهم بشأن جاره ، ولا يهتم أمر غير أمر نفسه ، فكل ذي حرفة يشتغل بحرفته طول يومه ، ولا يتطلع الى معرفة شيء غيرها ، فالفلاح لا يعرف شيئاً ، إلا ما آل اليه الحرث والزرع والدرس ، والقين لا يدري ما يحدث في بلاده سوى ما يختص برواج سعر الحديد أو كساده وهلم جرا ، وهذا هو السر في نجاح اعمالهم

ومن طبعهم أنه لا يتزاورون كثيرا ولا يسمر بعضهم عند بعض ،
ويقومون صباحا في الساعة الرابعة ، وإذا اجتمع المتعارفان منهم وتساءلا ،
فلا بد أن يبتدىء أحدهم بوصف الجو وصحوه أو برده ، ثم يخبره بما عرض
له من وجع في كتف أو في رجل ، أو اختلاج في عين ، فيقول السامع
يحزني ذلك جداً ، ولا يكاد أحدهم يضحك ضحكا طبيعيا ، وإنما هو عبارة
عن قهقهة ، ثم يعقبها الكتم والعبوس ، ومن طبعهم أنهم لا يحترمون الشيخوخة
من حيث هي شيخوخة ، ولا يهاب الأولاد والديهم ولا يحسن الوالدون على
أولادهم كما هو الحال عندنا

ومن عادة العامة الملائكة ويقال لها (البوكس) وقد كانت سابقا بمنزلة
المالهي في اجتماع الناس للتفرج عليها وفي أواخر القرن الماضي كانوا يتعاملونها
في المكاتب

ومن طبع الانكليز عموما التهافت على الشهرة والنباهة بين اقرانهم
بأى سبب كان ، ولا سيما في أسباب العلوم والمعارف

ومنهم من يعتقد بالطيرة والتفأول : وظهور روح الميت عند قبره ،
وهذا الوهم فاش حتى عند عامة سكان المدن

ومن عادة النساء اذا كلن أحدا من الخاصة أن ينفحن له عند كل
سؤال وجواب وعادة الغلمان أن يضعوا ايديهم على رؤوسهم ، وكذا هي
عادة الخادم مع مخدومه عند كل سؤال وجواب وإذا خاطبوا أحدا بكلام
توبيخ وغيظ قالوا له سير بمعنى (سيد) حتى أنهم يقولونها عند طردهم كلبا أو
نحوه ، فيقولون « اخسأ ياسيدي » ويستعملونها أيضا للتعظيم المخاطب واجلاله
والرجل يقول عن زوجته معلتي ، والمرأة تقول عن زوجها معلمي ، وإذا

خاطب أحد الخاصة زوجته بلفظ (مادام) كان ذلك اشارة الى تنافرها ،
نخاطب الرضى هو أن يقول لها يا محبتي ويا عزيزتى وربما قالوا يا قلبي ، واما
ياروحى فلا تكاد تعرف عندهم

واذا دخلت على انكيزى أراك أنه مشغول عنك بما هو أهم من
الزيارة، وسألك أن تسرع في عرض حاجتك ، وعند انصرافك ينهض قائماً
ويرافقك الى الباب ، وليس عند الانكيز فضول وتكليف على الدخيل
فيهم ، بل ولا على من هو منهم ، فلا يرونه في غير وقت الزيارة ، ولا يتعرضون
لما يأتيه ، ولا تجد خادماً يطعن في مخدومه أو خادمة تعيب مخدومتها ، وإن
كانا في شقاء

واذا نبغ فيهم انسان في فن أو صناعة ، لم يجد من يتصدى لتجهيله
أو تخطيئه فلا يحسد ولا يبغض حقه ، بل يجد من ينشطه ، وييسره أسباب
العلم ، ومن عاداتهم حسن الترتيب والتدبير في الاشغال والمصالح ، والتوقيت
للمعمل فكل شئ عندهم وقت ، ولكل وقت شغل ، فاذا اتفق ان زارهم
أحد في وقت الشغل ، لم يتحاشوا أن يقولوا له أنسنا بك ولكن علينا
قضاء ما لا بد من المصالح ، فلا تؤاخذنا وزرنا في يوم كذا ، فينصرف عنهم
عاذرا لا عاذلا

ومن الخصال المحمودة الحرص على ما يؤتمنون عليه حتى اذا استرجعته
بعد سنين اعاده عليك كما تسلمه ، بل ربما ازال عنه الوسخ ، ورده اليك
نظيفا ، وقال لك وهو معتذر ، قد تجاسرت على ان ازلت الوسخ ، وأرجو
أنى لم اسئ فيما فعلت ، وينضم الى ذلك احترامهم للرسائل فلا يفتح أحدهم
كتابا باسم غيره ، واذا زارك منهم زائر فلا يمد يده ولا طرفه الى ما بين

يديك من الصحف فاذا أراد أن ينظر في كتاب لم يمسه إلا بعد أن يستأذنك

ومن عاداتهم تنشيط اولادهم على الاشغال وتدريبهم على ما يكسبهم واياهم الرزق الكافي والمواظبة على الاعمال والصبر على ما يتعاطونه جل أو حق ، ولا يقول احدهم اني كبرت عن تعلم شيء فلا يزالون دائبين كالمثل مادامت فيهم نسمة تتحرك ، ومن أراد ان يكرم نفسه عندهم فليظهر لهم انه مستغن عنهم ولا يعرض لهم في طلب شيء ، وبناء على ذلك يصاحبون من يصاحبون أياما وشهورا وسنين ، ولا يسألونه عن مقدار دخله وخرجه ولا يريدون ان يسمعوا ذلك منه اذا ذكره

ومتى وثق احدهم بانسان وعرف منه الجدة والامانة والاستقامة ، يأتئنه على زوجته وبناته فيذهبن معه ليلا ونهارا بلامانع ، ومن يحضر الى بلادهم بوصاية من عند معارفهم احتفلوا به وعدوه منهم ، وصموا آذانهم بعد ذلك عن سماع ما يقال فيه من الذم

ومن عاداتهم خطاب خدمتهم بالرفق واللين وان اظهروا عليهم العجرفة ، فالخدمة تقول لخدمتها هاتي ذلك الشيء ان اعجبك ، وبعد أن تأخذه منها تشكرها وربما تباخت عليها في الاكل والشرب ، وارضتها بمثل هذا الكلام الطيب

ومع هذا الرفق والملاطفة ، فلا تزال الخدمة متباعدة عن الخدمة ، ومظهرة لها فرق المقامين ، واذا غضبت عليها فلا تكلمها بكلام يشف عن سفاهة وخروج عن حد الادب « انتهى ملخصا

فى العودة الى باريس

بعد ان زرنا المعرض وجانا فى بعض شوارع لندن ، وزرنا ما امكننا زيارته من المتاحف والآثار ، اعترمنا العودة الى باريس لنمكث فيها عدة أيام ، لترويح النفس من وعناء السفر ثم الى وطننا العزيز ، فقصدنا محطة فكتوريا الواسعة الكبيرة التى مر وصفها ، وركبنا القطار الذى يقلنا الى مدينة نيوهافن حيث الباخرة ننتظر المسافرين الى فرنسا ، فأخذ ينهب الأرض نهباً ، نارة ينخفض وأخرى يصعد بنا فوق تلال وروابي عالية وطوراً يدخل فى نفق حتى وصلنا بعد ساعة ونصف ساعة الى نيوهافن ، ولا أعيد على القارئ وصف ما مرونا به من نضرة الطبيعة وجمالها الثمان ، وما يتخللها من جبال وأنوار وأشجار وما فيها من انفاق ، يغيب فيها القطار آونة ، ويظهر أخرى . وقبل أن نزل من القطار تسلمنا ورقة بيضاء يكتب كل واحد اسمه فيها ، باللغة الانكليزية ، وحين مرورنا الى السفينة أخذت منا ورقة أخرى خضراء قدمناها الى الواقف على سلم الباخرة ، فسمح لنا بالدخول ، ولم أجد محلاً أجلس فيه لكثرة المسافرين ، فرجوت أحد خدمة الباخرة أن يحضر لى كرسيّاً أجلس عليه ، لأننى لا أقوى على الوقوف مدة السفر ، فلبى طالبى فأعطيته شلناً نظير ذلك ، ثم أقلعت بنا السفينة الساعة الثانية عشرة صباحاً وكان الجو فى ذلك اليوم متبلداً بالغيوم ، والريح صرصرا غاتية ، والمطر ينسكب منذراً بالويل والثبور ، وعظام الامور : والبحر هائج مضطرب ولذا داخلنى الرعب والخوف ، لهذا الانذار المرعب .

وبعد أن فارقت السفينة الشاطيء ، أخذت تلاعبها الامواج لعب الصوالج بالاكرو وأصبح الجو أسود قائماً . والامطار زاد انسكابها ، حتى غمرت سطح السفينة ، وتسرب الماء الى الحقائق وامتعة الركاب ، مما ادخل الرعب والفرع في قلوب المسافرين ، وأصبح كل منا لا يقوى على القرار فوق سطح السفينة ، يترنح الجميع ترنح السكران تبعاً لاهتزازها القوي العنيف ، ولا يقوى أحد على الوقوف ، ولا على الانتقال قدماً واحدة ، بل كل من أراد ذلك يميل يمنة ويسرة ، ولا يلبث أن يقع ، أو يصطدم بحاجز من حواجز السفينة ، فأخذني الدوار والغثيان ، مما جعل قلبي يكاد أن يتمزق ، واعتقدت انى لا أفيق من هذه الشدة ، مع انه لم يلبث أن يلقى دوار مدة سفرى فى البحر الا قليلا ، وما كنت أعلم ان الدوار يكون بتلك الشدة

وفى بادىء الدوار كانت تجلس بجوارى سيدة ، فأخذت تبسم وتشدد عزمى وتطالب منى أن أكون أثبت جأشاً ، ولكن ما لبثت أن اضطربت وظهر على وجهها الشحوب والاصفرار ثم أخذها الغثيان الشديد ، حتى تخيلت انها قذفت خشاشة نفسها . وكان كل شخص منا امامه وعاء لما عسى ان يحدث مثل ما حدث لنا ، وهكذا صار اغلب حال الركاب وازداد الخطب وعم الفرع والهياج ، حين اشتد اضطراب السفينة ، وتعالى الأمواج حتى كادت تملؤها ، واخذ النوتية ، يهدئون روع المسافرين ، وما يزدونهم بهذا الا اضطراباً وخوفاً وفرعاً

وقد كنت اخبرت ان سفينة منذ اسبوع جنحت بركابها فى هذا المضيق ، من شدة الانواء والامواج ، فاعتقدت ان سفينتنا لا تنجو من هذه الامواج الهائلة ، فتالحق باختها ، فأدركنى الجزع والوهن ، فانكأفت

على حاجز من الخشب واسندت رأسي عليه مطبقاً عيناى ، حتى يذهب
عنى الدوار ولا أرى السفينة التى اصبحت فريسة فى يد الامواج تقلبها
كيف تشاء

كريشة فى مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق

حتى كنت أتخيل ان كل موجة تشق لنا وسط المضيق قبراً ،
وايكنها لا تلبث أن تعلو ظهرها ، فكنا بين يأس ورجاء ، وأخذ كل يفكر
فيما ستؤول اليه حالته حتى لاحت لنا من بعد شواطئ فرنسا ، فحمدنا الله
على السلامة ونجائنا من هذه الكارثة العظمى والمصيبة الدهماء . وبعد
وصوانا وجدنا كثيراً من أهل ديب منتظرين على الشاطئ يهتفون
الركاب بالسلامة من هذا النوء الشديد وقد علمنا ان هذا الاعصار قد
خرب جزءاً من شواطئ مدينة ديب وهذا المضيق الذى لاقينا به تلك
الشدة ، معروف انه شديد الاضطراب تتعالى أمواجه ، وتجعل السفر فيه
من أصعب الأمور وأشقها ، فاذا جاءت الأمواج من البحر الواسع ،
انحصرت فيه لضيقه ، وعلت بسبب اضطرابه وهيجانه ، ولذا كان الدوار
فيه لا يوصف . ويظن المسافر فيه فى كل لحظة ، ان السفينة ستهبط الى
مقره لكثرة ارتفاعها وانخفاضها وميلها يمنة ويسرة

وكثيراً ما عرضت الشركات أن تبنى نفقاً تحت مضيق المنش يوصل
انكلترا وفرنسا ، لتسهيل المواصلات بينهما ، وتنجز الأعمال بسرعة فلم
تقبل الحكومة الانكليزية ذلك . لانه يفقدها مزية كونها جزيرة فى

البحر محصنة تحصيناً طبيعياً ، لأنها محاطة بالمياه من كل جانب تحميها
البوارج الحربية الكثيرة القوية

وبعد أن وصلنا وزلنا من السفينة ، وجدنا القطار المسافر الى باريس
في انتظارنا فركبناه وسار بنا ، وأنا أهتز كأني لا أزال في السفينة لان
التعب أخذ مني مأخذه مدة ثلاث ساعات متواليات

وقد فاتني الغذاء ولم أشعر بجوع ، ومع ذلك فاني قصدت حجرة
الاكل في القطار وتكلفت تناول الشاي والبسكوت ، فلم أشعر بلذة ولا
طعم ، فتركته بعد ان دفعت ثمنه سبعة فرنكات (بالقطع الفرنسي) وسار بنا
القطار يطوى الارض طياً ، حتى وصلنا الساعة السادسة والنصف مساء ،
وبذا نكون قد قطعنا المسافة بين انجلترا وباريس في ثمانى ساعات ، وقد
امتنعت عن تناول طعام العشاء هذه الليلة لشدة ما لحقني من التعب
ثم مكثنا في باريس عدة ايام ، امتنعت فيها عن زيارة المتاحف والآثار
وتقييد المذكرات حتى أعطى لنفسى بعض الراحة لتستعيد قوتها

واقصرت على زيارة بعض اخوان المصريين هناك ، وخاصة بمنصل
مصر في باريس والسفارة المصرية لاتسلم منها خطاباتي لاني جعلتها محطاً لها ،
قبل حضوري اليها وبعده ، وكانت باسم صاحب العزة المهذب عبد السلام
بك الجندي فكانت أشهى ايام لدى ، لرؤية اهل باريس ، وحسن جمالهم ،
وما هم فيه من الافراح الدائمة ، والحظ الوفير ، وتهافتهم الكبير ، على انتهاز
السرور والملاذات ، كآز البؤس لم يطرق لهم باباً . وبعد أن انقضت تلك
الايام اللذيذة التي كأنها أحلام نائم ، اعتزمنا السفر الى مرسيليا ومنها الى
جنوه لنبحر منها الى وطننا المغدى ، بعد أن تركت تلك المشاهد والمناظر

القريبة في نفس أثرًا لا يمحي ، لا يدرك حقيقته الا من زار تلك البلاد ،
وقصد أن يرى ما فيها ، ليعرف ما عند القوم من كل تليد وطريف من
الآداب والمجتمعات والمناظر والتحف والآثار

من باريس الى مرسيليا وجنوه

كنا قد أخذنا جواز الرجوع ، من محل كوك في روما ، فلما أردنا
العودة ذهبنا الى محل بياريس ، لنعلم منه ماتم في حجز مال لنا بالباخرة التي
أردنا الرجوع فيها الى مصر ، فلم يكن عند موظفيه علم بها ، فقال المدير ،
سأسأل محلنا في روما وأخبركم بما يتم ، فاخبرناه بعزمنا على زيارة معرض
(ومبلى) فآخذ عنوان فندقنا بياريس فلما رجعنا من انكلترا وجدنا خطابا
منه غاية في الرقة وحسن الأدب والذوق ، يخبرنا فيه ، بالباخرة التي تقوم من
جنوه في التاريخ الذي اخترناه وأرقام حجرنا وختم خطابه بقوله (اني رهن
خدمتكم وانا عبدكم الخاضع المطيع)

أخذنا الخطاب باسم السفينة وارقام حجرنا وأقمنا بضعة أيام بباريس
ثم يمتنا محطاتها ، لتركب القطار الذي يقوم منها الساعة الثامنة صباحا ،
فسار بنا وأخذ كل منا ناحية ، لينظر ضواحيها وهو ناء عنها ، فاشرفت
من إحدى نوافذه ، لأرى ، فرأيت ما يسر النفس ويشرح الصدر :
مزارع نضرة ، وبساتين انيقة ، وحيوانات ترتع في المراعي الواسعة مع
الطيور الداجنة

وقد يسرك منظر أطفال الفلاحين ، وهم يركضون ، وينبطحون على

بطونهم فوق ذلك البساط السندسى الجميل . ومنازل الفلاحين هناك مشيدة على نظام صحى ، مبعثة وسط المزارع والحقول تحيط بكل منزل حديقة جميلة ، مؤلفة من طبقة أو طبقتين ، مغطاة سطوحها بالطوب الاحمر ، وهو نظام سطوح جميع منازل أوربا ، لتنزلق الامطار الكثرة عنها الى الارض

والقطار يقطع المسافة بين باريس ومرسيليا فى نحو اثنتى عشرة ساعة ، فى ارتفاع وانخفاض ، وانفاق ، وجسور فوق انهار ووديان ومروج غاية فى الابداع وجمال المنظر لا يمل الناظر رؤيتها . وبعض المنازل تغطى سطوحها وجوانبها بالخضرة والازهار ، تحفك الجبال الشاخنة المكسوة سفوحها بجميل الاشجار ، فتري عظمة الجبال وعلوها

ومما يزيدك غرابة اشتراك المرأة مع زوجها فى زرع الحقل وحفظه ، ورعى الانعام ، وقيامها بالتطريز اثناء ذلك . وما كنت اظن أن المرأة فى غير بلادنا تشترك مع زوجها بهذا القدر والاجانب يعيرون علينا اشتراك الفلاحة المصرية مع زوجها فى مثل تلك الاحوال

وترى كذلك الفياض الجميلة ، وجداول المياه المتسربة من الامطار تدب ديب الثعابين بين تلك المزارع ، وترى بحيرات صغيرة تحفها المنازل والمزارع وقد أخذ القطار يجد فى السير فى تلك المناظر من الوديان والروابي والجبال ، حتى اشرفنا على مدينة ليون العظيمة ، وهى مدينة كبيرة يشطرها نهر الرون شطرين عظيمين ، مشيدة على روابى عالية ، مبانيها من اضخم مباني المدن التى رأيتها ، محطتها واسعة جدا يدخلها عدة قطر ولها عدة خطوط الى جهات كثيرة ، والمدينة ضوايح جميلة .

والطريق من ليون الى مرسيليا لا يختلف كثيرا عن المناظر السافقة
الذكر ، إلا أنها قليلة الخصوبة ، وبها تلال وجبال جرداء صماء
وبعد أن قام القطار من ليون أخذ ينهب الأرض نهبا لا يقف إلا
بعد ساعات ، وقد يخيل لي أنه لم يقف بين باريس ومرسيليا إلا أربع مرات
مع أن المسافة بينهما أكثر من اثنتي عشرة ساعة . وقد لاحت لنا مدينة
مرسيليا إذ كانت الساعة التاسعة مساء ، فرأينا منظر الانوار المتلاألثة تأخذ
محاسنها بمجامع القلوب ، وكلما تقدم القطار اليها غمرتنا أنوار المصابيح ، حتى
وصلنا الى محطتها الساعة التاسعة والنصف مساء

ولما نزلنا في محطة مرسيليا سألتنا عن القطار الذي يقوم الى مدينة جنوه
فأخبرنا أنه يقوم الساعة الواحدة والثلاث صباحا فاعترمنا السفر فيه فإودعنا
حقائبنا في مخزن الأمانات ، ونزلنا في المدينة لتناول العشاء وانرى بعض
شوارعها ومنازلها وحركة الناس فيها ، وبعد أن اكلمنا واسترحنا قليلا
سرنا في الشوارع فرأينا القهوات الواسعة خاصة بالنساء اللاتي يزدن عن
الباريسيات في تبهذهن حاسرات عن اقفيتهن وصدورهن وسواعدهن
بحالة تخجل الناظر اليهن ولم يكفهن ذلك بل يتعرضن لبعض المارة ممن
يلوح عليهم انهم غرباء

وقد رأينا حركة الناس في الشوارع ليلا كبيرة . وقد أدى بنا المطاف
في الشوارع الى عدم الهداية الى الطريق الموصل الى المحطة فسألنا عنها .
فارشدنا بعض الناس إرشادا غير كاف . وكانت الساعة إذ ذاك الثانية عشرة
ونصف . وبذلك سرنا على غير هدى . فاخترقنا شوارع عدة . ظهر الفجور
فيها باجلى معانيه . فالنساء فيها يعترضن المارة ويمسكن بهم ولذلك هلمت

قلوبنا . وخفنا خوفاً شديداً أدى بنا الى الاسراع فى السير بل الى إلهرولة
ثم الى الركض خوفاً من لحوق الأذى بنا كما توهمنا ذلك ، حتى وصلنا الى
الشارع الموصل الى المحطة بعد أن تصبينا عرقاً ، وحمدنا الله على نجاتنا
من هذه المصيبة العظمى

ولقد سألنا عن كثرة النساء وتبذهن فى مرسيليا فاخبرنا أن
الموانئ تكثر فيها مثل هذه الاحوال خصوصاً مرسيليا فانها مشهورة
بذلك . ولما وصلنا الى المحطة تسامنا حقائبنا من المخزن وسامناها الى رجل
من الموظفين فيه ليحضرها لنا وقت مجئ القطار مقابل رضيخة (بقشيش)
وكذلك فعل ، فلما جاء القطار وركبناه قام بنا فى موعده ، ومن
حسن الحظ ان حجرتنا لم يكن بها أحد ، فحمدنا الله على ذلك ، لان السفر
طويل يحتاج الى راحة . سار بنا القطار ونحن بين النوم واليقظة ، ولم
تغمض عيناي . لاني أخبرت ان فى هذه المسافة التى تقطعها ليلاً اجترأ
لصوص على المسافرين وقتلوا بعضهم وسلبوا أمتعتهم ، فاستمعى النوم
على ، حتى لاح الفجر فظهر شاطئ البحر ، والاشجار تحفه ، والامواج
تنبسط مياهاها على بساط من الرمل فيتجمد ، فلزنا النوافذ وان كان البرد
شديداً انرى حسن الطبيعة وجمالها الفتان الذى جعلنا نسبح الله الواحد
القهار الذى أحسن كل شئ خلقه

وما زلنا نشاهد الطبيعة وجمالها ، والجبال الشامخة وعلوها ، والاشجار
الباسقة وارتفاعها ، والمنازل البديعة وحسنها ، والحدائق وأزهارها وشوارع
المدين ونظافتها ونظامها ، حتى أرسلت الغزالة أشعتها الذهبية على سطوح
المنازل الحمراء ، تغمرها الحدائق الواسعة الغناء

وقد كنت أسمع بحال ساحل الريفييرا وتجلي الطبيعة فيه بحسنها
وجمالها فتشتاق نفسي لرؤيته ولو في المنام ، حتى رأيته رأي العين . رأيت
جماله الساحر الباهر ، تجلت فيه آيات القدرة الالهية ، والعظمة الربانية ،
يقف الانسان أمام مناظره حاراً لا يدرى ماذا يقول في ابداع الخالق مهما
أوتي من الفصاحة وقوة البيان لان وصفه فوق مقدور الانسان

يسير القطار في هذا الساحل متعرجاً تابعاً ساحل البحر في الدخول
والخروج فكان البحر والشاطئ عن يميننا ، والجبال الشاخنة المكسوة
بالاشجار والمنازل بحدائقها فوق الروابي وسفوح الجبال عن يسارنا فلا
ندري إلى اليمين فنظر حيث البحر والأمواج المتكسرة على الشواطئ أم
إلى اليسار حيث الجبال الشاخنة والأشجار الباسقة فخرنا بينهما كما يحار
الانسان في اختيار احد شيئين جميلين ، فوقفت بين النافذة وباب الحجر ،
التي نظرى إلى اليمين تارة ، وأخرى إلى اليسار ، حتى وصلنا إلى مدينة نيس
الجميلة ، كثيرة الحدائق والمنازل البديعة ، المشيدة فوق الجبال وسفوحها ،
ترى الفنادق فوق قنن الروابي وقد نظمت الطرق الموصلة إليها وغرست
على جوانبها الأشجار مشرفة على البحر من بعد لعلوها الشاهق أعطى
منظراً بديعاً يملأ العين نوراً والقلب سروراً

وقد اخترقها القطار في سيره فشاهدنا أحسن ما اكتشفت بمراة
العين ، من المناظر التي لهج الناس بذكرها ، وقصد التنزه فيها القريب
والغريب جودة هوائها وجمال مناظرها

ولبت القطار بحاذي انشاطي تارة ويمر في نفق تارة أخرى وهنا
ننفس في ظلام حالك يحيف ، لكننا لم نكثر به ولم نفرغ له بعد ان

مرورنا في أطول نفق بين إيطاليا وسويسرا ، ثم لاحت لنا مدينة موناكو الشهيرة بمبانيها الفخمة وجبالها الشاخنة وفنادقها الواسعة ، ولم نلبث الا قليلا حتى ظهرت مدينة (مونت كارلو) التي يعجز القلم عن وصفها وجمالها وحسن موقعها ، ونخامة فنادقها ، لأنها مصيف لأغنياء العالم ، يقصدها السقيم والصحيح فالأول يستشفى بهوائها ، والثاني يتمتع بجمال مناظرها وحسن موقعها ، لأن جزءاً كبيراً منها مشيد على جبل ملتبس داخل في البحر فيكون لساناً شيدت المنازل على قنته وسفحه فتشرف على البحر من ثلاث جهات ، والجزء الآخر مشيد على الروابي أيضاً تعمر منازل الحدايق الواسعة ، وهذه المدينة ومناظرها ، أشبه كل الشبه مناظر سويسرا وجمالها الطبيعي . وقد وقف القطار بنا فيها مدة طويلة ، فتمعنا النظر في غضوناتها بجمال الطبيعة ، وعرفنا السر في أنها محط رجال الثروة والخلاعة يقصدها الناس من جميع أنحاء العالم ، يفضلونها على كل مدن فرنسا حتى باريس ، وهي مشهورة بأنها مركز مقاصري العالم ، يدخلها المئري مملوء الحقايب والجيوب ، فيخرج منها خالي الوفاض بادي الانفاض . فيفضل أن يخرج من دنياه على أن يبقى فيها يتجرع كأس الندم ويعض بنانه أسفاً وحسرة على ما فات . يرى نفسه فقيراً معدماً بعد أن كان غنياً مثرياً . وقد انتحر فيها كثير من الرجال العظام الذين يفضلون الموت على العار ، واللغائيات الفاتنات اللاتي يحضرن اليها ليصدن الأغنياء لإيابهن أن يقعن في شرك القمار فيفلسن بعد الغنى والثروة فيفضلن الانتحار . وقد أخبرت أنه انتحر فيها أكثر من ألف من الرجال والنساء وهنا تذكرت قول الشاعر المجيد نجيب الحداد

لكل نقيصة في الناس عار . وشر معايب المرء القمار
تشاد له المنازل شاهقات وفي تشييد ساحتها الدمار
يصيب النازلين بها سهاد فافلاس فيأس فانتحار
وبعد أن فارقناها سار القطار مسرعاً حتى وصلنا الى حدود ايطاليا
الساعة الثامنة والنصف صباحاً . فعرضنا حقائبنا على مركز التفتيش كما هي
العادة في حدود الممالك . وطلبوا منا أجوزة السفر فسلمناها لهم فاعلموها
بما يفيد السماح لنا بالمرور كما اعلموا الحفائب بالطباشير حتى لا يتعرض لها
أحد بعد ذلك

وقد ركبنا القطار فسار بنا في مثل المناظر السالفة الذكر الا أنه
أكثر من دخول الانفاق وهنا شعرنا بتغير الجو فجأة . وانقلب البرد الى
حر ونزعت الشمس برقعها الذي كانت محجبة به في فرنسا وانكثرا .
وارسلت أشعتها الحارة التي كنا نتمناها هناك . كما اننا شعرنا بثقل ملابسنا
التي كانت لا تغني عن البرد شيئاً في جو فرنسا وانكثرا الممطرين

وقد كنا نسينا الجو الحار فلم نفكر مطلقاً في أن نشعر بحرارة في
جو ايطاليا ومصر كما ينسى الانسان في الشتاء حر الصيف

وقد تغير سير القطار تغيراً كلياً . فأصبح بعد السرعة الهائلة يسير
بطيئاً يتلصق في كل محطة صغيرة وكبيرة اذ يركبه المستحمون في البحر .
ليصلوا من محطة الى اخرى قريبة منها . فشعرنا بالمضايقة الشديدة بعد
هذا السفر الطويل وان لم يكن مملاً . وسار القطار على هذا النحو حتى
وصلنا الى مدينة جنوة في ايطاليا بعد سفر احدى وثلاثين ساعة لم يتخللها
الا انتقالنا من قطار الى آخر

مدينة جنوة

هي مدينة ليست كبيرة ولا ضخمة البناء ، ولكنها جميلة أكثرها مشيد على تلال ومرتفعات فالمنازل على هيئة مدرج عجيب من اسفل الجبل الى اعلاه ، فترى حدائق المنازل كأنها معلقة في السماء ، يصعد اليها بدرجات حفرت في الجبل متعرجة حتى يسهل الصعود فيها ، فترى لها منظرا شيقا جميلا ، وقد صعدت في احداها ، فسمرت مسافة طويلة حتى تعبت ولم آت الى آخر البناء ، ففضات الرجوع على المضي ، وكلما صعدت نحو مائة درجة أو أكثر تنتهي بشارع كبير به منازل جميلة وحوانيت عامرة ، ومن هذا الشارع تبتدىء درجات سلم آخر تنتهي بشارع آخر وهكذا حتى يصل الانسان الى اعلى بناء شيد فوق القمة ، ومن هناك تشرف على منازل جميع جنوه ، وجل منازلها على هذا النمط ، وقليل من شوارعها مستقيم ، فهي تشبه شوارع نابلي في ارتفاعها وانخفاضها ، وكلها عامرة بالدكاكين ، والحركة بها كبيرة ، ويقطع هذه الشوارع ازقة ضيقة منخفضة عن سطح الشارع ينزل اليها الانسان بعدة درجات ، تشبه الازقة القديمة عندنا ، الا انها نظيفة ، مرصوفة جميعها بالاحجار وفي بعض ميادينها تقام سوق الخضار صباحا ، فيفقد اليها الفلاحون يحملون الخضار والفواكه ، وينادون بجودتها وحسنها باعلى اصواتهم ، وهنا يقبل عليها الشارون وقد لاحظت أن القوطة عندهم تسوى بالفواكه لارتفاع ثمنها

ولا اعتراض الهضاب للشوارع حفرت بها انفاق ، بعضها خاص بمرور الناس والبعض الآخر خاص بمرور المركبات الكهربائية ، ويحرس هذه

الشوارع جنود الفاشست ، فى كل مسافة صغيرة شرطيان متلازمان لا ينفترقان
كانما شدا بحبل وكلهم شبان ، يلبسون ملابس سوداء بشرائط احمر على
الجنب كما يلبس ضباط البوليس عندنا ، والسترة مصنوعة على هيئة ريديجود
مشقوقه من الخلف ، يلبسون قبعة منحنية الى الامام ، لها طرفان ممتدان من
الجانبين وضع فى مقدمها تاج ، يحملون السيوف والمسدسات ، فافت نظرى
كل هذا النظام الخاص ، فسألت عن حكمة المصاحبة والتسليح ، فعاتت أنهم
يخافون من مهاجمة الاشتراكيين على غرة . وفى مفارق الطرق العامة ، تقف
جنود تخالفهم فى الملابس وفى كبر السن ، وضخامة الاجسام ، لا يحملون
سلاحاً مطلقاً ، ولم أعرف السبب فى ذلك

وعلى الجملة فمدينة جنوة لطيفة جميلة ، يصح أن تكون مصيفا حسنا
لجودة هوائها ، ولتشديد بعض منازلها فوق الجبال والمضاب ، وأهلها على
جانب كبير من الهدوء والسكينة ، ليسوا كاهل نابلى فى شراسة الاخلاق .
ولما وصلنا الى جنوة الساعة الثانية والنصف بعد الظهر نزلنا فى فندق جميل
أمام المحطة فتعذينا فيه وخرجنا لندرى بعض متاحف المدينة وشوارعها فسرنا
حتى وصلنا الى متحف صغير يسمى (بنجوه) فيه صور بديعة تمثل حالات
حرية ودينية وسياسية كلها غاية فى الغرابة وجودة الرسم والتمثيل ، سقفه
مطلى بالذهب مزخرف ومزين بأبداع زينة ، ومن بين هذه الصور صورة
ملك مصر كليوباترا حاضرة عن بطنها وتديها وقابضة بيدها على ثعبان فيه
فى حامة تديها وهى فى حالة غيبوية شديدة ، تمثل الطمع والجزع والالم ،
فكان المنظر مؤثراً ، خصوصا من يتخيل عظمتها واجتهادها فى ملكها ، وما

لعفته من الادوار مع أعظم رجال السياسة والحكم في روما ، وما كانت فيه من العز ورفعة الجاه حتى كانت تحمل على الاعناق في الشوارع فترمي بالازهار والياحين من جميع النوافذ ، وما أعقب ذلك من خذلانها وافول نجمها في شباب حكمها ، ثم خرجنا منه الى زيارة

كنيسة اوتونسيانو

هذه الكنيسة لها مدخل نفخ بسلام عريض تدل على العظمة ، مقامة على أعمدة من الرخام الابيض الجميل ، وعلى حنايا كثيرة ، ولها دواخل كثيرة في الحوائط رسم فيها عدة صور مختلفة تشير الى أحوال دينية قديمة ، أو تمثل حالة العذراء ومعها السيد المسيح وهو صغير ، أو صورته وهو مصلوب والدم يسيل من رجليه . ولها مذبح غاية في الجمال والزخرف والزينة ، نصبت أمامه الشموع الملتدة ليل نهار . سقفها مموه بالذهب الوهاج من ابداع مارأيته في الكنائس التي زرتها ، مرصوفة ارضها بالرخام الابيض وهي ليست كباقي الكنائس في الكبر والاتساع إلا أنها من أعظمها أبهة وزينة

وفي اليوم الثاني من حلولنا بجنوة اصبحتنا قاصدين ميدانها العظيم فادى بنا السير في الشوارع والتفرج على البضائع وحركة الناس ومراقبة احوالهم الى ميدان فسيح فيه تمثال أحد ملوكها الابطال (فكتور عمانويل) يمتطى جوادا فوق قاعدة من الرخام الجميل ماسكا قبعته بيده ، وهو الملك الذي سعى في توحيد ممالك ايطاليا وجعلها مملكة واحدة يحكمها ملك واحد فوصل الى ذلك بجده واجتهاده وعزيمته التي لا تقل كما هو معروف في التاريخ وأمام هذا تمثال آخر على ربوة عالية هو تمثال الخطيب السياسي

المشهور (مازينى) وهو مقام على باب حديقة تسمى (نجرو) غوست اشجارها وازهارها فوق تل كبير من تلال جنوة ، يصعد المتنزه الى أعلاها فى طرق متعرجة حتى يصل الى أعلى نقطة فيها فاشرفنا منها على سطوح مباني جنوة وحددنا مبانيها بالنظر المجرد ، وشاهدنا الجبال العالية التى تحيط بالمدينة من خلفها ، والمنازل المدرجة من اسفل الجبال الى أعلاها ، فكان المنظر شيقا تسر له النفس وترتاح لرؤيته العين . وفى هذه الحديقة طيور متنوعة منها ما ينسبح فى جداول تسير بين الصخور ، ومنها ما هو فى اقفاص ، كما توجد بعض الحيوانات الداجنة وغير الداجنة . وبها شلال جميل تنحدر منه المياه بقوة فيسمع لها دوى عظيم ، وجميع طرقها مظلة بالاشجار الباسقة ، فيطيب السير والجلوس فيها ، فجلسنا على مقاعدها الطبيعية من حجرية وخشبية كما جلس غيرنا من المتنزهين ، وفى اعلاها دائرة جميلة دارت حولها المقاعد لجلوس الناس ، بها عدة مصورين ، يأخذون صورة من يريد ذلك تذكرا لزيارة هذه الحديقة ، ثم خرجنا منها معجبين بحسن ترتيبها وتنسيقها فوق هذه الربوة العالية ، ويقابلها من الجهة الاخرى حديقة مثالا فها يكتنفان الميدان من جهة والمباني والشوارع من الجهتين الآخرين ويتفرع من هذا الميدان ستة شوارع عظيمة سرنا فى أحدها حتى وصلنا الى الميدان الكبير وهو ميدان واسع تحيط به العماثر الضخمة والمباني الفخمة ، مثل البورصة ومصرف روما وغيرها من الحيوانات الكثيرة المكتظة بالسلع الغالية ، وبه جلاريا (مازينى) وهى على هيئة شارع طويل مغطاة بالزجاج ، فهى ليست فى القامة والعظم مثل جلاريا روما ونابلى ، بها القهوات الفاخرة والحيوانات الخاصة بانفس السام

خرستوف كلب ومنزله

مقام خرستوف كلب تمثال عظيم في ميدان المحطة يراه الانسان اول دخوله من باب المحطة الى المدينة ، اقيم وسط حديقة صغيرة فوق قاعدة عالية من الرخام الابيض زيه القديم ، وقد ذكرته رؤيته أعماله العظيمة التي قام بها من كشف امريكا وايجاد دنيا جديدة عادت على العالم بالفوائد الجمّة ، فكانت مورد رزق عظيم ومهجر الكثير من الممالك التي اكتظت بسكانها فهاجر اليها كثير من أهالي أوروبا ، وطاب لهم المقام فيها ، وتغلبوا على سكانها الاصليين الحمر فاندمجوا فيهم وبتوا الى السنين هضموهم فاصبح عددهم قليلا جداً لا يكاد يذكر وهم يشتغلون في أعمال الفلاحة ، وقد أصبحت امريكا بفضل اجتهاد الاوربيين أغنى ممالك العالم ثروة وتجارة وعلماء ، فالفضل كله يرجع الى هذا الملاح الصغير الذي ذاق الألم وتجرع كأس الصبر في سبيل تحقيق فكرته يقصد ملوك أوروبا يشرح لهم ما يجول بأفكاره ويطلب منهم المساعدة بامداده بالرجال والاموال فيردونه خائباً فيعض بنان الاسف والحسرة نحو عشرين سنة حتى قبض الله له أحد ملوك اسبانيا فامده بما يحتاج لسفرتة المشهورة ثم رجع الى قارة اوربا مكلة أعماله بالنجاح ، فتقاطر زوار العلم على هذه القارة حتى اتموا كشفها ، ومع كل هذا فقد قام في وجهه الحساد وجعلوا عمله هذا معلوما بالضرورة ، وفي امكان البعض القيام به ، واعقبت ذلك مناظرة أمام حفل من الناس ، فكان من رده عليهم ان أحضر اناء فيه ماء وبيضة وكلف أحد مناظريه ان يجعل هذه البيضة على أحد طرفيها في ذلك الاناء ، فلم يمكنه ذلك ، فاخذها خرستوف كلب ، وكسر الجزء

المدبب فيها . ووضعها عليه فاستقرت ، فقال مناظروه ، في قدرة كل واحد منا أن يفعل ما فعلت ، فأجابهم بقوله ولكنكم لم تفكروا في هذا ، ومع ذلك فقد مات مسجوناً ، ولم تسم حتى القارة باسمه بل سميت باسم رجل يسمى (امريك فسبوس) قد كشف سواحل امريكا الجنوبية ، وقد قامت ايطاليا بتكريمه واقامت له التماثيل العدة ، حتى أصبح مفخرة ايطاليا في العالم كله وقد شغفت برؤية منزله الذي كان يسكنه صاحب هذه النفس التواقة اعظام الامور ، كما شغفت بزيارة منزل دانتي الشاعر الايطالي المشهور أيضاً ، فسرنا من شارع الى شارع ومن زقاق الى آخر ، حتى وصلنا اليه ، فوجدناه في حي فقير جداً بجواره الازقة والطرقات الضيقة والمباني الحقيرة وهو منزل صغير لا يزيد طوله عن عشرة أمتار في ارتفاع عشرة أقدام ، واجهته لا تزيد عن خمسة أمتار ، بابه مصنوع من الحديد ، تعلوه نافذتان صغيرتان ، ليس به نوافذ غيرهما ، وهو الذي كان يسكنه وهو ملاح صغير ولم نجد من يسهل لنا زيارته من الداخل ورقم هذا المنزل (٣٧)

وهنا تذكرت ان أعظم الرجال من الصناع والعلماء والفلاسفة الذين سطعت أنوار معارفهم على العالم فاهتدى الناس بها الى أمور معاشهم ومعادهم نبتوا من مثل هذا الكوخ الحقير

وقد رجعنا الى فندقنا ونحن مسرورون من رؤية منزل هذا المفكر الجليل وقد استيقظنا في اليوم الثالث من حلولنا في جنوه وهو اليوم الذي تركب فيه الباخرة الى وطننا العزيز ولم نعمل فيه شيئاً سوى تجهيز حقائبنا وإعداد أنفسنا الى السفر . وبعد اتمام المعدات ذهبنا الى الميناء لنعرف محل رسو الباخرة فعرفناه وعرفنا ميعاد قيامها فاتقنا مع أحد الخماليين على ان يأتي

الفندق الساعة الثالثة بعد الظهر ليأخذ الحقائق إلى الباخرة ، ورجعنا نسير في الشوارع على غير هدى فرأينا رجلا في ناحية من شارع يبين للناس ما بهم من أمر مستقبل حياتهم بالنظر إلى وجوههم وأيديهم وعيونهم وقامتهم ويقيد كل ذلك في ورقة عنده يقدمها لمن يريد معرفة مستقبله مقابل ليرتين فتقدم إليه شيخ طاعن في السن فأخذ يصوب نظره فيه ويصعده والرجل واقف أمامه كالصنم لا يتحرك ، فكان موضع اضحوكة الواقفين فجل ولما تسام ورقته وضعها في جيبه وبعد أن فرغ منه أخذ ينادى بأعلى صوته بأنه يعرف المستقبل بوضوح وهو على مرأى من الشرطي ولم يتعرض له

ثم ذهبنا إلى الفندق فتناولنا طعام الغداء وانتظرنا الحال حتى حضر وحمل الحقائق وسرنا خلفه لقرب الميناء من الفندق وخوفنا من أنه ربما يكون خالا مزيفا فخرج من سفرتنا بخفي حين ثم أتى حاملوا الباخرة وتسلموها منه ونقلوها إلى حجرتنا مقابل عشر ليرات ، وقد انتظرنا قيام الباخرة بفروغ صبر ، إذ تقوم الساعة الثامنة مساء

من مهنه إلى نابلي

لما حانت الساعة الثامنة مساء ، أقلمت بنا الباخرة من ميناء جنوة تقودها باخرة صغيرة ، وهنا ظهرت المدينة بجمالها البديع ، إذ تراها واقفة بالأنوار المتألقة ، الصاعدة بعضها فوق بعض ، حيث تتدرج المنازل المشيدة على سفح الجبل ، مما صيرها تشبه مدينتي ريجيو ومسيني ليلًا ، فوقف المسافرون في طرقات السفينة ، ليشاهدوا جمالها الرائع ، وقد ظهر لنا أنها مشيدة على قوس من الجبل ، يحيط بالميناء الواسعة ، فكان لهذا المنظر

هزة في النفس وروعة في القلب . ولما خرجت السفينة من الميناء تلوت قوله تعالى : (وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) فسارت تمخر عباب البحر ، جلست على كرسى استأجرته عند قيام الباخرة ، لأرى ضواحي المدينة الممتدة على مسافة بعيدة فوق التلال ، ولأرى الأضواء تملأ الفضاء ضياءً وجمالاً ، حتى وافت الساعة التاسعة والنصف مساءً ، وقد كانت الباخرة تسير بهدوء . وقد سرني ذلك كثيراً ، فذهبت الى ضجعي ، لا ريح نفسي من تعب اليوم ، فتمت هذه الليلة هادئاً ، وقمت مبكراً منشرح الصدر حيث لا اهتزاز ولا امواج ، لأن البحر كان وهو أساكناً كالخصير تتجمد مياهه تجعداً خفيفاً

في صباح اليوم الثاني تناولت طعام الافطار ، وجلست على كرسى أكتب مذكري فجلست بجوارى سيدة تلوح عليها مخايل الحشمة والوقار ، وطابت منى مبرة بلهجة عربية فسررت بذلك وأعطيته المبرة ، فكانت واسطة التعارف وقد أخذنا نتجاذب اطراف الحديث في شئون شتى ، وعن أغرب ما شاهدناه من أخلاق القوم وورق آدابهم في معاملاتهم واجتماعاتهم ومناظر البلاد التي نجمت فيها محاسن الطبيعة ، وغير ذلك مما يعد نموذجاً حسناً لعلو الآداب وبلوغها درجة تقرب من السكال ، فلهاني حديثها عن مشاق السفر ومتاعبه وقتا طويلاً ، وقابل في السفينة من يتكلم باللغة العربية ، فكانت يملوني عند شعوري بالمضايقة ، ومما زادني اثتناساً ، اتفاق هوانا في الحنين الى رؤية أولادنا الصغار ، وكانت أشد منى شوقاً كما هي عادة الامهات ، وتتمنى أن تطير لترى فلذات كبدها ، فسكنت أساطرها ذلك ، وقد علمت من خلال حديثها أنها سورية متوطنة القاهرة من زمن بعيد ،

وكانت السفينة تسير محاذية للشاطئ ، فظهرت المدن الإيطالية المشيدة
أكثرها على المرتفعات ، وبرزت الطبيعة بأبهى جمال وزينة ، فكانت تسلية
لقلوبنا وراحة لأفكارنا. وعلى الجملة فقد كان سير الباخرة ساراً ونسيم البحر
يهب فينمش قلوبنا ويحيي افئدتنا ، فتسرب اليها القوة والنشاط
ولما حان وقت الغداء ، اجتمع من في الباخرة حول المائدة كأُسرة
واحدة يزينا اشراق الفتيات الجالسات بينهم ! وكل شخص له مقعد معين
لا يتغير مدة السفر ، ولا يجلس عليه غيره ولو لم يحضر صاحبه
ومما لفت نظرنا على المائدة أن سيدة المانية تصحب زوجها كانت تأخذ
كمية كبيرة جداً من الطعام الذي يقدم لنا ويقلدها في ذلك زوجها مما لفت
نظر جميع الآكلين ، وقال صاحبي مازحاً (أن من تكون هذه زوجته
لا بد أن تهدد دخله)

وقد رأيت شاباً يلاحظني ذهاباً وإياباً ثم حياني وجلس بجواري وسألني
بأدب هل حضرتك فلان فقلت له نعم فأعاد التحية وقال انى كنت تلميذك
وأنا طالب الآن في مدارس المانيا ، وأريد قضاء العطلة الصيفية في بلدنا
بين أهلى وأقاربي فسررت به وحادثته عن حالة المانيا النفسية ، فشرح لى
كثيراً من اخلاق أهلها مما يدل على علو تربية هؤلاء القوم

وقد ظهر لى من كلامه أنهم لا يزالون يحافظون على قوميتهم وما زال
يحادثنى حتى اقتربنا عند العشاء ، ثم عاد الى بعد تناول الطعام ومعه طالبة من
المانيا من سيليزيا العليا ، لا يزيد سن اكبرهم عن سبع عشرة سنة ، وعرفنى
بهم فقلنوا عيني نورا وقلبي سرورا ، وقلت هكذا تحيا الأمم بأبنائها العاملين
سبعة طلاب اصطحبوا لىروا اخلاق وعادات الأمم المجاورة لهم فاخترقوا

ليروا أخلاق وعادات الامم المجاورة لهم فاخترقوا النمسا وسويسرا وزاروا
أغلب بلادها ، ثم زاروا أكثر مدن ايطاليا ، وقد استمروا معنا حتى آخر
ميناء ايطالية ، تخرج منها السفينة الى الاسكندرية ، لباسهم كلباس الاجناد ،
تلوح على وجوههم علامة الجدد والنشاط والذكاء ، فعجبت كل العجب لسماح
آبائهم لهم بهذا السفر الطويل ، وتركهم يعتمدون على أنفسهم في اختراق
هذه الممالك والبلدان ، حتى ربوا فيهم ملكة الاعتماد على النفس في كل أعمالهم ،
لا يرهبون السفر والتجوال في مشارق الارض ومغاربها . إذا دعت
الضرورة لذلك فيشبون رجالا مستقلين عاملين يعتمدون على أنفسهم في
مباشرة أعمالهم ، فتي يصل أبنائنا إلى معرفة هذا المعنى من الاعتماد على
النفس ، وحب الحل والترحال طلباً للعلم أو المال

ولو أحسنت ورادة المعارف صنعا ، لشجعت طلابها ، على الرحلات
العلمية بأن تعطيمهم مساعدة مالية ، وترسل معهم من يكون خبيراً بأحوال تلك
البلاد ، ودرس كثيراً من آثارها ومتاحفها وعاداتها حتى يرشد الطلبة ارشاداً
كافياً ، فيكون ذلك أفيد وأقوم لنفوسهم من هذه المعلومات الجغرافية التي
تشحن بها أذهانهم ، من غير أن يعرفوا لها معنى ، بل مجرد الفاظ تتلى عليهم
فيحفظونها ليكتبوها في ورقة الاجابة ولا تترك أثراً في النفوس فتي
عرف تلك المشاهد والمناظر والمتاحف ، تصغر قيمة نفسه في نفسه ، ومتى
رأى عظمة المدنية والحضارة وأثرها في مدينة لم يأخذ عنها في علم تقويم
البلدان إلا أنها حاضرة مملكة كذا وان عدد سكانها كذا وهي مشهورة
بكذا الخ علم أنه لم يعرف عنها شيئاً ، وهذا ما جربته في نفسي .

ولقد كنت أعتقد أن جميع الاراضي كأرض مصر مدحوة ، فاذا جلها

تلال وجبال ووديان ولم أشاهد سهلاً متسهماً إلا سهل لومبارديا في إيطاليا
وجزءاً من شمال فرنسا ويكون من المفيد جداً دراسة علم تقويم البلدان
بالسما (الخيالة) حتى تمرض تلك المناظر الطبيعية بجبالها ووديانها وأنهارها
فتتكون لدى الطلبة معلومات حقة حصلوا عليها بالمشاهدة فيكون الطالب
كأنه جاب تلك البلاد ورآها رأى العين وإن كان هذا غير كاف ولا يقوم
مقام المشاهدة بالنفس والعين

ولقد كان هؤلاء الطلبة الالمانيون موضع إعجابى واحترامى، ولما كانت
هيئة ملابسهم تدل على فقرهم وعاموا من الطالب المصرى المتأنق فى ملبسه
أنه ينكر عليهم هيئة ملابسهم، أجابوه بأنها ملابس أعدت للسفر للذين
ولا للتنعم مع ملء الجيب ذهباً، فوجدت الاجابة حسنة تدل على عدم
حبهم للظهور والغرور، وانهم شبان أعمال ومعارف، لاشبان أزياء وخلاعة
ثم اقترقنا النوم فنمت مستريحاً واستيقظت الساعة الخامسة والنصف صباحاً
وصعدت الى سطح الباخرة، فرأيتها قد أشرفت على ميناء نابلى، وظهرت
مبانيها الجميلة وكان ذلك يوم الخميس الساعة السادسة صباحاً فيكون ماقطعناه
بين جنوه ونابلى ليلتين ويوماً فى أحسن ما يكون من الهدوء وملاءمة الجو
دخلت السفينة الميناء رويداً رويداً فظهر بركان ويزوف الثائر دائماً،
وظهر دخانه الذى انعقد فوقه فكان عمامة بيضاء يظنها الراى طبيعية،
ورأيت زورقاً بخارياً قصد السفينة وارتبط معها بحبل متين واقتادها حتى
قربت من المرسى، فادار مؤخرها الى البر ومقدمها الى البحر حتى لا تضطر
عند السفر الى الاستدارة فتلاقى صعوبة وبعد رسوها صعد الخدم ينادى
كل باسم فندقه كالعادة

وقد اقبل النساء اللاتي ينتظرن اقاربهن واجباءهن ، وعند التلاق
أخذت القبلات تتبادل والدموع تتساقط ، مما يدل على طول الغيبة وكثرة
الشوق ولواعجه

فهاج هذا المنظر بلابلي ، وملك التأثر على مشاعري وكادت تسقط
لذلك عبراتي وتذكرت في هذا الموقف قول الشاعر يصف حالهم

هجم السرور علىّ حتى أنه من فرط ماغد سرنى أبكاني

ونزل الركاب الذين يقصدون مدينة نابلي وغيرهم ممن يريدون التفرج
حيث ستبقى الباخرة في الميناء يومين ، ولما كنت قد مكثت في نابلي مدة ،
ورأيت أهم ما فيها فضلت البقاء في الباخرة بقية اليوم على الخروج منها
واكتفيت وأنا بالباخرة بمشاهدة المنازل والجبال والضواحي مما يظهر من
الميناء واضحا جليا ، حتى حان وقت الغذاء فتناولناه ، وبعد أن استرحنا قليلا
صعدنا فوق ظهر الباخرة ، وأخذنا نتجاذب أطراف الحديث مع من تعرفنا
هم حتى المساء

ولما أصبحنا قمت من نومي نشطا ، فجاءني صاحب عرفته بالباخرة ،
يعرف العربية والطيانية جيدا ، وعرض عليّ أن أذهب معه لزيارة المدينة
فلبيت طلبه . وجلنا في اغلب شوارعها ، وشاهدت بها ما لم اشاهده من
قبل ، من تماثيل ومتاحف ، رأيت جامعها ضخمة البناء مزدانة شرقاها
بالتماثيل الكثيرة الجميلة ، يحيط بها من الخارج بناء على شكل نصف دائرة ،
ورأيت متحف الآثار به من التماثيل والصور ما يحل عن الحصر ، خصوصا
ما استخرجوه من مدينة بومبي واحضروه بحالته الطبيعية سواء أكان

مأخوذاً من الحوائط او مستخرجاً من ارضها ؛ ثم دار البلدية والشرطة وهى
بناء عظيم امامها اكبر ميدان غرس بالازهار الجميلة ، اقيم فيه تمثال يمتطى
جواداً على قاعدة مرتفعة من الرخام لأحد ملوك ايطاليا ، وغير ذلك
من المناظر الجميلة

وقد التقينا بالطلبة الالمانيين فى أحد شوارع المدينة فساروا معنا وفى
اثناء السير وجدت طالبا منهم اخترق الشارع بسرعة ووقف امام رجل برهة
من الزمن ثم عاد يحمل ورقة ، فسألناه عن عمله هذا ، فقال انى حصلت على
امضاء اكبر ممثل ايطالى فى السما (الخيالة) فلما وقع نظرى عليه عرفته
انه هو الممثل الكبير ، فرجوته ان يسمح لى بامضائه ؛ وهذه اكبر هدية
اقدّمها لاهلى فى العودة اليهم ؛ فقلت ما ادق ملاحظات هؤلاء القوم ؛
حتى الصغير منهم ؟ وما قيمة هذه الامضاء التى سر بها هذا السرور واعتبرها
انفس هدية يقدمها لاهله ؟ ان للقوة معنى ورموزا لانفهمها ؛ ولا نغيرها
التفاتا ؛ وصلوا الى درجة عظيمة فى الملاحظة الدقيقة ؛ ومعرفة قيمة ما يعملون
وهو فى نظرنالاعتبار له ، وما يدريك ان هذه الامضاء ستكون لها قيمة
فنية كبيرة على ممر الدهور والاعوام ؛ كما رأينا مثل ذلك فى المتاحف المصرية
ثم رجعنا الى الباخرة لتناول طعام الغداء وعند الساعة الرابعة ازدحمت
السفينة بالركب المسافرين الى قطنيا او الى مصر ، ومن الذين نزلوا بالباخرة
حضرة الشاب المذهب محمود بك عبده فنصل مصر فى نابلى ، ومعه محمود
عارف الذى قيل عنه انه سافر ليقتل دولة سعد باشا فى باريس ؛ فقبض
عليه فى ميناء نابلى فى شهر يوليه ؛ وبقي مسجوناً الى شهر سبتمبر حتى
تمت المخبرة بين مصر وايطاليا بشأن تسليمه ؛ لانها كانت تتمسك بعدم

تسليمه في مقابلة عدم تسليم الطرابايسيين الذين التجئوا إلى مصر وأطلقت
سراحهم وزارة سعد باشا ولم تسامه إلا بعد أن طلب هو العودة إلى مصر
ومع ذلك فقد أنزلته في السفينة التي قدم بها حراً والقنصل المصري قبض
عليه داخل الباخرة فسافر معه محمود بك إلى آخر ميناء إيطالية ووكّل
بحراسته جندياً مصرياً

وقد قابلت هذا الطالب ، وحادثني في شأنه كثيراً ، فاستنبطت من
حديثه ، أن خروجه من مصر ، كان لخلاف بينه وبين والده ، وأثبت ذلك
بمحوادث كثيرة دلت على اضطهاد والده له ، حتى كان سبباً في خروجه من
وظيفته ، التي كان يتقاضى منها مرتباً حسناً ، وليس في حديثه ما يدل على
أن في طبيعته حب ارتكاب الجرائم لأن حديثه كان غاية في الصراحة وكان
يصحبه شيء من الأفكار الساذجة

ولقد كان يسخط على الحكومة المصرية لاثمائه بما هو بعيد عنه بعد
السماء عن الأرض ولأنها عرقلت مساعيه في عدم الحصول على بقية بما
كان معه من الدراهم التي ذهبت أيام سجنه وقد وصف حالة سجن نابلي
ومعاملة المسجونين فيه مما يدل على نهاية القسوة وخشونة المعاملة بدرجة
لا يتصورها العقل

من نابلي إلى قطانبا

أقلعت بنا الباخرة من ميناء نابلي الساعة السابعة مساءً ، وربما كانت
أعظم ميناء في إيطاليا ، وكان موعدها الساعة الخامسة مساءً ، فظهر لنا جمال
المدينة وبرز نورها الساطع المدرج فوق سفوح الجبال والتلال ، كنظيراتها

مما تقدم وصفه في مدن إيطاليا ، وبعد أن غادرت الباخرة الميناء ، ظهر
بركان ويزوف بلهبه الاحمر العجيب ، وظهر الطريق الموصل إلى قته ، بنوره
المتلألئ ، كأن السكرباء فيه تقود الجمان ، قامت بتنظيمه وتمهيده شركة
كوك الشهيرة في العالم ، فالسياح يقصدون زيارة ويزوف ليلا ليمتعوا أنفسهم
بهذا المنظر البديع ، خصوصاً أيام الصيف ، وليتناولوا طعام العشاء على قته ،
وكثير من الأمريكيان يفعلون ذلك ، وقد ذكرت في رسائل السابقة ما يقوم
به كوك من تسهيل السياحة على السائحين من كل وجه ، فله الفضل الجزيل
على جميع سائحي العالم

وفي هذه الليلة هاج البحر وماج ، فاضطربت الباخرة ، واخذ أغلب
الركب الدوار ، وقد تعبت جداً من الدوار ، فذهبت إلى حجرتي على أن
أستريح ، ولكني لم أنم لما لحقني من الالم ، وبعد مدة نمت نوماً متقطعاً ،
حتى الساعة السادسة صباحاً ، فخرجت من حجرتي ، وأخذت أسير في
طرقات الباخرة ، واذا ذاك ظهر بركان استرامبولي الذي وصفته فيما تقدم
من الرسائل ، وبعد تناول الافطار ، جاست على كرسي لا كتب مذكراتي
إذ حضر حضرة محمود بك عبده ، فأخذنا نتجاذب أطراف الحديث في
مئون حتى الساعة العاشرة صباحاً ، فلاح لنا مضيق مسيني ، فوقفنا في
طرقات الباخرة لنتمتع الطارف بمجال جباله العظيمة ، والاشجار الكاسية سفوحها
ويرى المضيق من بعد ان ليس به منفذ لانزوائه خلف الجبال ، وكلا
قدمنا ظهر لنا جزء منه ؛ حتى انكشف لنا جميعه ، فكان له منظر بهيج ،
كتناف الجبال له من الجانبين ، والمنازل مبعة ومجموعة فوق سفوح الجبال
ومما يلفت النظر في هذا المضيق شيثان

(١) رأيت عمودا من الخشب على الشاطئ يبلغ ارتفاعه نحو ثلاثين مترا تقريبا في اعلاه رجل قد علمت أنه يراقب طول اليوم سمك التونة الذي يكثر وجوده في هذا المضيق ، وبالقرب منه على الشاطئ عدة قوارب ؛ فاذا ظهر السمك على سطح الماء ؛ عين الى نوتية القوارب محل ظهوره ؛ فيخرجون بسرعة ويحيطون بهذا السمك الذي لا يستمر محتجبا تحت الماء ، ويضربونه بألة عندهم جعلت لذلك ، فيغوص تحت الماء ولا يلبث إلا قليلا حتى يظهر ، فيضربونه مرة أخرى ، ولا يزالون به حتى يميتوه ويخرجوه ، فيكون لذلك عندهم رنة فرح ، لأن جزءا كبيرا من الناس تتوقف ارزاقهم على صيده والتجارة فيه ؛ وهذا السمك عظيم الجثة ؛ وقد يبلغ طوله نحو خمسة أمتار ؛ واذا تعب المراقب حل محله آخر ، ويكون سخطهم عظيما اذا لم يظهر هذا النوع من السمك ، كما أخبرنا من يعرف ذلك

وقد رأينا المنازل الجميلة المنتشرة فوق الجبال وسفوحها ، وقد جددت بعد خراب مدينة مسيني بزلزال سنة ١٩٠٦ ، فنظرها غاية في الجمال ، وكلها مركبة من طبقة او طبقتين خوفا من حدوث الزلازل فتؤثر فيها وتهدمها وقد رأينا بالمنظار المعظم اطلال المنازل التي هدمها هذا الزلزال وجعلها بالية وقد غرست اشجار الفاكه وكروم العنب بكمية وافرة على سفوح الجبال وهي تنمو هناك جيدا ؛ وقد ظهر لنا من الشاطئ الايسر مدينة رجيو التي مر وصفها عند مرورنا بهذا المضيق ليلا

(٢) رأيت ان فطر السكك الحديدية عند ما تصل قادمة الى هذا المضيق تنزلق بركابها في بواخر اعدت لذلك ؛ وتسير وسط هذا المضيق الواسع حتى تصل الى الشاطئ الثاني ويتبع هذا القطار نحو اربع عربات بركابها

وبضائعها ، حتى يسهل عليهم المسافة ولا يتحملون مشاق نقل الامتعة الى البواخر واخر واخر واخراجها منها ، فلا يشعرون انهم يجتازون بحرا ، ومتى وصلوا الى الشاطئ الثاني انزلت هذه العربات الى القضبان وسارت في طريقها . وقد رأيت بالمصادفة هذه البواخر تحمل العربات سائرة أمام باخرتنا فعجبت لهذا التسهيل الغريب

اما وكاب الدرجة الثالثة فينقلون الى الشاطئ الآخر بالبواخر كالمادة المتبعة وقد استغرق سير السفينة في هذا المضيق نحو ساعة ونصف ساعة ، لم نجلس فيها لنتمتع بالطرف بمحاسن الطبيعة التي تجلت في هذا المضيق والجمال المحيطة به ، وعند الساعة الثالثة والنصف أخذت السفينة تدخل ميناء قطانيا ، حتى رست على الشاطئ المعانة الرابعة ، فنزلنا منها يصحبنا حضرة محمود بك عبده وكنا خمسة ركبنا عجلة اوصاتنا الى فندق يسمى (رستول) فاودع القنصل حقيبته فيه وسرنا معا في اكبر شارع في المدينة يسمى (استسكورى) وهو شارع متسع ، تسير فيه المركبات الكهربائية في الوسط ، وله طواران واسعان تسير فيهما الناس ذهابا وإيابا ، وكله غاص بالدكاكين الحافلة بالسلع والبضائع المتنوعة . وقد أدى بنا السير فيه الى ميدان واسع ، اقيم فيه تمثال عظيم يعلو قاعدة من الرخام ، يحيط به عدة تماثيل أخرى ، ترمز كلها الى معاني الحرية عندهم ، فاخذ أحد اصحابنا صورنا الشمسية ، لتكون تذكارا لزيارة تلك المدينة ، ثم أخذنا نسير وتفرج على ما في الدكاكين من البضائع الى أن وصلنا الى حديقة تسمى (فلايىنى) فدخلناها فوجدناها غاية في حسن الترتيب والنظام والتنسيق رصت طرقاتها بالحصى الملون كحديقة الحيوان عندنا .

ويرى الداخل فى مدخلها نافورة عظيمة تصب ماءها فى بحيرة جميلة ،
دارت حولها المقاعد الخشبية المتزهية ، غرست اشجارها وازهارها على تل
مرتفع ، يسير الانسان فى طرقها صاعدا متعرجا ، حتى ينتهى الى اعلاه
فيرى مظلة الموسيقى غطيت بالزجاج الملون الجميل نسقت حولها الكراسى
والمقاعد ، وبه تماثيل كثيرة محيطة بفناء واسع ، وقد اخذت صورنا
الشمسية فيه

وبهذه الحديقة نافورات صغيرة ترمى مياهها على زرع عريض الاوراق ،
على هيئة نقط متفرقة ، فتسقط عليها وتسيل كأنها الثؤلؤ المنشور ، فافقنا
هذا المنظر الجميل ردحا من الزمن

ومن هذا المكان تشرف على سطوح المنازل وعلى الجبل المحيط بجزء
من المدينة المكسو سفحه باشجار الفاكه المتنوعة ، فكان المنظر شهيد
أغرانا ان نقف نتأمل فى محاسنه نصف ساعة

ثم خرجنا من هذه الحديقة عائدين فى شوارع اخرى ، وقد ادى بنا
السير الى ميدان واسع يحيط به مبان ليست ضخمة ، يسمى ميدان (الدومو)
به نافورة وسط حوض تصب فيه وفى هذا الحوض قاعدة مرتفعة عليها
تمثال فيل اقيمت فوقه صورة مسلة وكل هذا يكون منظرا غريبا ، وفى
هذا الميدان اكبر كنيسة لهذه المدينة

وقد تبينت وجوه القوم فرأيت انها فى الوانها اميل الى وجوه المصريين ،
نساؤهم يمشون عن الخلاعة والتبرج ، كما انهن لا يستعملن الاصباغ الا قليلا

والحركة في الشوارع ليست مثلها في المدن الإيطالية الكبيرة، والمدينة جميلة، بعض مبانيها على نظام خاص يخالف مباني المدن الإيطالية الأخرى ثم رجعنا إلى الباخرة إذ كانت الساعة السادسة والنصف مساءً، تناول طعام العشاء ننتظر قيام الباخرة الساعة التاسعة مساءً، وقد تأخرت عن موعدها نصف ساعة، وعند اقلاعها من الميناء وقف الركب في طرقاتها، ليرى منظر المدينة من البحر ليلاً، فظهرت بانوارها الساطعة التي كشفت ربواتها للناظرين وهي تشبه بعض الشبه مدينة جنوة

ويحذر ان اذكر بمناسبة تأخير قيام الباخرة عن موعدها، اني رأيت مواعيد القطر والبواخر في إيطاليا مضطربة، فلم تقم باخرة أو قطار في ميعاده المحدود الا قليلاً وقد سألت حضرة محمود بك عبده عن سبب الاخلال في المواعيد فاجابني بان الحالة كانت أشد من هذا بكثير لاضطراب الحالة السياسية حتى صار الاخلال بالنظام من لوازم العمال، وقد تحسنت الحالة كثيراً ايام موسوليني، بعد أن كانت القوضى ضاربة اطنابها، وكل شخص في إيطاليا الآن يشعر بالتحسين الكبير في كل شيء ومع هذا فان بعضهم يقومون في وجهه، ويودون ابعاده عن الحكم، لاغراض نفسية وحزبية، وقد اتخذوا مقتل (ماتيويني) النائب الاشتراكي الكبير الذي كان يعارض كثيراً في سياسته موسوليني سلاحاً بحاربونه به، ليصلوا الى اغراضهم، وقد نجحوا بعض النجاح في ذلك، وغيروا نفوس بعض الشعب على موسوليني. وقد رأيت وانا بمدينة ميلانو التي هي مدينة العمال صورة (ماتيويني) معلقة على جدران حوائطها مكتوب تحنها، (ليجي ماتيويني) مما يدل على تغير النفوس من حكم موسوليني وكل هذا وهو قابض على ازمة الحكم بيد من

حديد ، ويهدد اعداءه في خطبه بجيشه العظيم ، وقد انتشر جنود الفاشست في كل مكان حتى في المحطات ، يراقبون الناس مراقبة شديدة في الدخول والخروج ، يسهلون لهم اعمالهم ، ويمنعون الغش والرشوة التي لا تزال باقية الى الآن وان كانت قليلة جدا بالنسبة الى الحالة الاولى

وقد حدثت مظاهرات كبيرة ضد موسوليني والفاشست في مدن ايطاليا مثل نابلي وغيرها عند ماعتروا على جثة (ماتيني) مهشمة ، وطالبت امرأته أن تنام بجواره ليلة قبل دفنه ، فرجاها الفاشست في أن تمتنع عن هذا خوفا من تهيج الشعب فقبلت ذلك بعد مشقة كبيرة ولكن ما لبثت الحالة ان رجعت الى ما كانت عليه ، وامكنه ان يتغلب على اعدائه

وموسوليني محبوب عند اكثرية الشعب ، ويمدون أيامه ايام اصلاح ونظام ولو لم يكن ذلك ماثنى لموسوليني أن يسيطر على شعب عريق في المجد والتاريخ بقوة جيشه وسلاحه . وقد عرفنا من تاريخ الامم ما يعزز ذلك الاعتقاد وان الامم لا تحكم الا بارادتها لان مدة الظلم قصيرة مقامة على غير أساس وعدل منها هدد صاحبها واوعد ، والتفريق سبب من أسباب طول مدة الظلم ، كما ان الاتحاد قوة لا تهوى وسبب من أسباب تقلص ظل الظالم ونقول انه لو زرع كل منا ما في صدره من غل وحقد ، وباعد ضميره عن بغض الغير وحب الانتقام والتشفى ، وجعل غرضه خدمة وطنه خدمة حق ، وتعاون الناس جميعا في الوصول الى هذا الغرض ، لما كان مانحن عليه الآن من التباغض والتنابد ، والتقاطع والتدابير ، حتى فتحنا ثلمات كثيرة في صفوفنا ولجها العدو بسهولة ، وفرقنا ايدي سبا ، وأتى على البقية الباقية من اتحادنا ، ونحن لا نعتبر ولا نتمتع بل غشي بصائرنا وطمس على قلوبنا ، وحب

الانتقام والنكاية، فذهب ويحنا، وحقت علينا كلمة العذاب والخذلان
فاللهم قيض لنا من ينقذنا من هذه الهاوية المظلمة، ويهديننا الى سواء
السبيل . حتى لا نحرم من إشراق شمس الحرية التي يتمشقها كل كائن حي
حتى الطيور في سمائها والسموك في مائها

من قطانيا الى الاسكندرية

اقلعت بنا الباخرة من ميناء قطانيا الساعة التاسعة مساء فوقفنا في
طرقاتها لنرى منظر المدينة ليلا، فظهرت ربواتها العالية مجللة بالانوار المتألقة
تشبه في منظرها العام مدينة جنوه . ومازلنا نراقبها وضواحيها حتى توارت
عنا، فقصدنا مخادعنا، ونمنا مستريحين حتى اصبح الصباح فرأيت البحر
ساكنا هادئا، فحمدت الله على ذلك، وجلست على كرسي استقبل نسيم
البحر العليل، لا اشعر باهتزاز ولا اضطراب . وقد أصبحنا بعد أن اقلعنا
من ميناء قطانيا بين السماء والماء، لا نرى جبالا ولا مدنا ولا جزرا، كما كنا
نراها من حين الى آخر من جنوه الى قطانيا، لأن الباخرة بينهما كانت
نسير قريبة من الشاطئ . فكانت تمر بتلك المناظر التي تؤنسنا أما الآن
فلا، اذ نحن متوجهون الى الاسكندرية، فلا ترسو الباخرة إلا في مينائها
وقد كنا كل يوم نتعرف الى جملة من الراكب في الباخرة من المتوطنين
مصر، وجاهم من ايطاليا. فكان الاجتماع شهيا. وقد أصبحنا كأُسرة واحدة
نحاجس على المائدة ضاحكين مسرورين

وفي صباح اليوم الثاني لنزوحنا من مدينة قطانيا هب الهواء شديدا
فعلت الامواج سطح البحر، وظهرت الرغوات البيضاء، وتحركت الباخرة

وأخذت تعلو وتهبط . وتميل يمنة ويسرة . ولكنها لم تخش صولة البحر . بل أخذت تشق لها طريقاً بين الامواج الهائلة مما جعلها تندحر امامها وهذا ثانى منظر رأيته مخيفاً ، والاول فى بحر المنش . ومع اضطراب السفينة لم يحدث للركب هلع ولا ذعر .

ثم لاحت لنا أشباح جزيرة قنديا الساعة الثانية . وما زالت تقترب منا حتى كنا الساعة الثالثة امامها ، فبرزت جبالها الشاغرة يتقطع عليها السحاب ، وتلاها المرتفعة المكسو بعضها بالحشائش والاشجار

وقد رأينا منها الجزء الصخرى المجاور للبحر الذى ليس به بلاد ولا سكان وقد علت الامواج واضطرب البحر أثناء مرورنا بالجزيرة ، مما غير البحر عما الفناه فى عودتنا . وقد اخبرنا ربان الباخرة أن هذه الامواج ستهدأ الساعة السادسة مساء . وقد كان ذلك . فانها بعد هذه الساعة أخذت الامواج فى الهدوء والسكينة . حتى انمحت عند ذهابنا الى النوم

وقد اذكرتنى رؤية هذه الجزيرة فزيلوس الذى لعب بسكانها وبلاد اليونان دوراً مهماً واطهر دهاء كبيراً . فانتشر ذكره حتى بلغ آذان ملك اليونان فاستدعاه ليكون وزيراً له ومشيراً . فنال عنده وعند عامة الشعب منزلة سامية . وعاهد الملك على أن يخلص له ويساعده . وقد طرأت على بلاد اليونان حوادث لم يفز فيها كثيراً فخرج من بلاده متجولاً فى فرنسا وانكلترا ليجد له جواً صالحاً . يبذل فيه المساعي ضد تركيا . فتمكن من تحريض انكلترا عليها حتى يتصيد فى الماء العكر . وتنتج عن مساعيه

وقوع الحرب بين اليونان وتركيا . بعد أن أخذ وعدا صادقا من انكثرا
بإمباداد بلاده بالمال الكافي . ولكن الزمن لم يحقق حلمه إذ تغلب الترك
على اليونان وكسروهم شر كسرة تعد من أعاجيب الحروب وفنوتها

فلما رأى أن سياسته كانت شرا ووبالا على بلاده فر مع زوجته
وابنه الى فرنسا . بعد أن أخذ كثيراً من المال : مما يجعلهم في مجبوحة
وخفض العيش وترك بلاده تقاسى آلام نتيجة أعماله . وظهر لهم مقدار
البلايا والروايا التي جرّها عليهم . فكرهوه وتقموا عليه بعد الاحترام
والتقديس . وساد الاضطراب والاختلال بلاد اليونان وقامت الثورات
المتعددة إلى الآن ولا يعلم ماذا تكون نتيجة أمرهم

وقد استمرت السفينة تسير أمام الجزيرة الى الساعة السابعة ليلا ،
وهي شهيرة بتصدير الصابون المسمى باسمها ، وكذا العسل والفواكه
والزيتون ، ولها تجارة كبيرة في هذه الأنواع مع مصر

ولقد كان أغلب ركاب الباخرة على جانب عظيم من الاخلاق ، وحسن
الحديث وحب الألفة ، يمازح بعضنا بعضا رجالا ونساء فتيات وفتيانا ،
ومما لفت نظري ان شيخا ايطاليا تمدى لحيته الى صدره طويل القامة
واسع المينين جميل الحيا حلو الحديث ، وان كانت الايام قد محت سواد
شعره ، أصبح به ابنته العذراء ، هذا الشيخ كان يدعو ابنته للعزف على المعزف
(البيانو) وهو يرقص بين الحاضرين على نعماته ويوقعها بفيه ، فكان مظهر
من مظاهر التسلية والمجون كما أنه كان يتولى العزف ويكلف ابنته الرقص

ويدعو بعض الفتيات الى ذلك ، فكانت كل واحدة تقوم بدورها مما جعلنا
في سرور عظيم

وقد كان ذلك موضع الغرابة عندي ، لأنني لم آلف أن رجلا مهما
بلغت به خفة العقل ، ان يرقص امام ابنته وهو في هذا السن ولا في غيره
كما أنه لا ينبغي له مهما كانت الظروف والاحوال أن يكلف ابنته الرقص
أمامه وأمام الحاضرين ، ولكن للقوم عادات وحالات ليست لنا ، ولهم
حياة في أسرهم ، لا يسمح الشرق لنفسه بها ، لأنه يعتقد أن ذلك يذهب
بجلاله واحترامه أمام أولاده وزوجه ، بل يجعلهم يحطمون الفوارق والآداب
الواجب اتباعها أمامه وهذا هو اعتقادي

إذا كازرب الدار بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وأرى ، ولكل شخص رأيه ، ان الآداب في الأسر الشرقية أرقى
منها في الأسر الغربية

وفي اليوم الثالث قت من نومي نشطا مسرورا وصعدت فوق ظهر
الباخرة فوجدت لهواء ليلا والنسيم عريلا ، فارتاحت نفسي لذلك ، لأنه
لم يبق على الوصول الى مدينة الاسكندرية إلا هذا اليوم ولياته

وفي هذا اليوم تعرفت بشاب عراقي يسكن بغداد ، جاب أكثر
ممالك أوربا يسمى (جورج يوسف عذاريا) فقد قضى فيها خمسة أشهر ،
وهو من الشبان الاذكياء

وقد حدثني عن العراق من وجهة التعاليم ، فقال إن أهله ليسوا على
جانب كبير فيه ، وان الامية ضاربة أطنابها ، وأن جزءا كبيرا منهم باق

على بدويته ، يسكنون الجبال والخيام ، بعيدين عن كل مدنية وحضارة .
وليس عندهم ميل الى التعليم

أما الحالة السياسية هناك ، فبعض أهل العراق يرغبون في بقاء
الانكليز في بلادهم ، خوفا من تطلع الامم المجاورة الى بلادهم خصوصا
الترك ، وقد ذاقوا مرارة حكمهم القديم ، حتى يشتد ساعدعم ، ويقولون
على القيام بشئون انفسهم ويكونون لهم جيشا ، يمكنهم أن ينتقموا به عند
الطواريء ، عند ذلك يسعون في التخلص من الانكليز واستقلال بلادهم
فقلت له هيهات أن يتخلصوا من ناب الانكليز اذا كانت هذه افكارهم
لان الانكليز اعطونا اكثر من ثلاثة وستين وعدا ، لم يبروا في واحد
منها ، ولو بقي جندي انكليزي واحد في العراق أو في مصر لاعتبرنا
محتلتين .

كما حكى عن « جحا » انه أراد بيع بيته ، واشترط على الشاري ان
يبقى له ملك مسمار في البيت ، فامتنع الشاري عن شرائه ولكن كثيرا من
الحاضرين قالوا له ماذا عسى يصنع هذا المسمار حتى تترك فرصة شراء
البيت ، فاقنع بكلامهم واشتراه ولكن جحا كان يزور مسماره كل يوم
وقت الغداء والعشاء ، فيزاحم أهل البيت مزاحمة اضرت بهم ، فكلّمه
صاحب البيت في هذا ، فاجابه بانه يتمتع بماله من الحق الذي اشترطه
لنفسه ، فلا يجد الرجل سبيلا إلى التخلص منه ، ولما ضايقه اضطر الى
الخروج من البيت وتركه له

فقال نحن نعلم ذلك ، ولكن ما الحيلة ، وهم متوغلون في كل شئ ؟
فقلت له أما نحن فلسنا تاركين لهم امرنا ، ولو زعموا لانفسهم ان
لهم عندنا الف مسمار

وقد حدثني ان افراد الامة العراقية لا يرغبون في مفارقة اوطانهم
ليروا عجائب اوربا واميركا ، ولم يظهر الرغبة في ذلك الا افراد يعدون على
الاصابع ، ويمكن أن اكون أول شخص ساح هذه السياحة الكبيرة في
بلاد اوربا . وسأشر ما علمته عن تلك البلاد متى رجعت الى بلادى ، حتى
اولد فيهم حب الهجرة والسياحة ، لان فوائدها اجل من أن تحصر ، ولا
يعرف ذلك الا من عالجها ، وعلم ما فيها من الفوائد الجمّة ، والعلم الغزير ،
والاطلاع الواسع والفضل الكبير

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيتها
وهذا الفتى مراسل لجريدة فرنسية وانكليزية وعربية ، وجريدة الهلال
بمصر كما اخبرني بذلك

وقد تمنا ليلتنا هذه التي يعقبها صباح الوصول الى الاسكندرية
فرحين مستريحين . ثم قت مبكرا ، فرأيت طيورا بيضاء ، تطير قريبة من
السفينة ، فقلت يا الله ، كأنها طيور (خرسنوف كلب) التي دلتها الى قرب النجاة
والوصول الى امنيتها ، وهي كذلك دلتنا على قرب وصولنا الى وطننا العزيز
المقدي . وما وافق الساعة السادسة حتى لاح لنا من بعد مدينة الاسكندرية
فوقفنا في طرقات الباخرة ، لنرى منظرها الجميل من البحر ، وكيفية دخول
الباخرة الميناء حتى دخلتها الساعة السابعة صباحا ، وهنا رأيت الزوارق
قد احاطت بالباخرة ، ناشرة الاعلام المصرية ، ترفرف فوق الطرايش

الحرء ، التي حرمتنا رؤيتها زمنا طويلا ، وهي تحمل الاطباء الذين يقابلون ربان الباخرة ، ليعرفوا منه ما في السفينة من مريض وصحيح ، ومعه ضباط الشرطة يتسلمون اجوزة الركاب ويعلمونها ، دليلا على السماح لهم بالنزول من الباخرة مقابل شيء من النقود

ولما رست الباخرة غصت الميناء بالمنتظرين ، وأخذت المناديل تلوح من الجانبين ونحن ننظر اليهم ، ثم رجعنا الى داخل الباخرة ، منتظرين اعلام أجوزتنا ، وبعد الانتهاء من ذلك سمح للمنتظرين والجمالين بالصعود الى الباخرة ، وهنا اختلط الحابل بالنابل ، واشتغل كل بنفسه ، واقترب الاحياء الذين اجتمعوا بالباخرة زمنا ، ولبت كل يشيع الآخر بنظرات تشف عن أسف وانتهاء مدة السرور والاجتماع ، ويبحث عن الطرق التي تسهل له الخلاص الى المكس ، وقد يبحث الانسان عن حقه بظلمه

رأيت في مكس الاسكندرية ما لم أراه في مملكة من الممالك ، رأيت العطل كثيرا والبحث دقيقا ، لا يكتفى العامل بما يراه أمامه في الحقائق بل يبحث بحثا دقيقا في كل ما تحمله من حقيقة وصرة وحذاء ، فيقلب مامعك رأسا على عقب ، فيفكك أوصاله ويباعد بين أجزائه ويسألك عن الثمن الذي اشتريته به . واذا لم يرق له الثمن الذي رصده في قائمة جعلت لذلك في المكس أخذ مامعك من الاشياء مبعثرة مفككة مفرقة ، وعرضها على مئمن بالمكس أعد لذلك يحدد لها اثمانا كما يشاء ويختار . وتمسك في انتظار وأخذ ورد نحو ساعتين حتى تسأم نفسك ، وتسكبه أن تأتي بهدية لأولادك أو أقاربك من المشقة التي لا تراها في غير مكس الاسكندرية ، مع قلة الذوق ، في المعاملة والجفاء في المخاطبة

والويل لمن لم تكن لديه وصية يجعلها المستخدى المكس ، فإنه يقاسى الآلام ويعانى الصعاب ، فإذا خلصت من هذا وقعت فيما هو انكى لما يفرض عليك من ضريبة الجمالين التى لا تطاق والتى لا تتناسب مع عملهم فإذا لم تسلم بها بادئ ذى بدء مكثت تحاول معهم مستحيلاً ، وترقب عجيراً يجتمعون عليك كالاصوص فلا تخلص من يدهم حتى تدفع ما طلبوه صاغراً وإلا حجزوك طول يومك ، وتشعر شعوراً تاماً بأنك لم تصادف طول سياحتك فى الممالك والبلدان ما صادفته فى ميناء الإسكندرية . وبعد الانتهاء من هذا كله ركبنا أول قطار قام من الإسكندرية الى القاهرة فرحبنا بسلامة العودة

هذه ، أيها القارئ الكريم ، نبذة عرضناها على مسامحك الشريف ونظن أننا قد أبرمنا عليك فى مشاهدات قد يكون فيها ما لا يتناسب مع رأيك ، ولا يتصل بشعورك ، ولا يمتزج بوجودك ، ولكننا رأينا أن نعرض امامك ما شاهدناه ، كما يعرض البائع سلعه ، لتكون متناول الانظار ، فيختار منها الشارى ما يشاء ، ونحن وإن كنا نعتقد أن بضاعتنا غير موفورة ، ولكن تشجيعاً للعاملين من أهالي اقننا بهذا الواجب على ضآلته وإنا نستودعك داعين الله سبحانه وتعالى أن يوفق كلاً منا الى خدمة بلاده بما يستطيع ، والله المستعان

